الأعمالُ القَلبيَّةُ والفَوائِدُ التَّربَويَّةُ

مِنَ

الأَربعِينَ النَّوَوِيَّةِ

إعدادُ

د. عقيل بن سالم الشمري





الطبعة الثانية


الأعمَالُ القَلبيَّةُ والفَوائِدُ التَّربَويَّةُ
مِن
الأربعين النووية

ⓒ **دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٤٤هـ**
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشمري، عقيل بن سالم
الأعمال القلبية والفوائد التربوية من الأربعين النووية./
عقيل بن سالم الشمري ـ ط ٢ ـ الرياض ١٤٤٤هـ
٢٥٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٩-٠٨-٨٤٠٤-٦٠٣-٩٧٨
١ ـ الأربعون حديثاً ٢ ـ الحديث الصحيح أ. العنوان
ديوي ٢٣٧,٧ ١٤٤٤/٩٤٧٧

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٩٤٧٧
ردمك: ٩-٠٨-٨٤٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية
١٤٤٤هـ ـ ٢٠٢٣م



دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤١٦١٣٩ – ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨
البريد الإلكتروني: daralhadarah@hotmail.com

الأعمَالُ القَلبيَّةُ والفَوائِدُ التَّربَويَّةُ

مِن



إعدادُ

د. عقيل بن سالم الشمري




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وبعد:

إن أجلَّ نعمة في الوجود كله أن يتكلم الله لعباده، وأن يخبرهم عن نفسه المقدَّسة، وأسمائه وصفاته وأحكامه، وما يحبه وما يبغضه، وما فيه صلاحهم وهلاكهم، وهذا أثرٌ من آثار اسمه الرحمن الرحيم، واسمه المبين ﷻ، فكان الوحي هو الحياة الكاملة الذي تحيا به القلوب، وحياتها على قدر أخذها له، فأوفر الناس حياةً وأنعمهم من أخذ من الوحي بالنصيب الوافر، ومن انتقص حظه من الوحي كُدِّر عليه بقدر انتقاصه، والناس ما بين مقلٍّ ومستكثر.

وكدُّ الذهن وإعماله بالتأمل للنصوص الكتاب والسنة = الوحي مما يحبه الله، وهذا هو التدبر وتثوير النصوص الذي ذكره الله بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وعناه النبي ﷺ بقوله: «**رحم الله امرأ سمع مقالتي فوعاها**»، والوعي هو الفهم والعمل؛ ولهذا أحببت أن أَعمل بالتدبر المأمور به شرعًا من خلال التأمل بأحاديث الأربعين النووية ـ المتن المبارك بشهادة العالمين ـ سائرًا على المنهج التالي:

١ ـ اقتصرت على الأربعين النووية للإمام النووي دون زيادات الحافظ ابن رجب رحمهم الله.

٢ ـ شرحت الأحاديث شرحًا موجزًا؛ لكون الأحاديث مخدومة خدمةً علمية تليق بها في كتب أهل العلم.

٣ ـ استنبطتُ عددًا من الفوائد التربوية من هذه الأحاديث، وحرصتُ على التربوية دون غيرها بشكل أكبر؛ للحاجة الماسة في زماننا، وقد أسميته: «**الأعمال القلبية والفوائد التربوية من الأربعين النووية**».

ومما أُضيف في هذا الكتاب: إبراز العنوانين التاليين:

الأعمال القلبية المتعلقة بالحديث:

لأن ذلك هو مقصود النصوص، فالنصوص إنما سيقت لأجل صلاح القلب، وعلى ذلك مدار جميع النصوص لا يُستثنى من ذلك شيء، والمنهج في معرفة الأعمال القلبية من خلال الحديث:

إما أن يُذكر العمل القلبي صريحًا في الحديث كقوله ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ يَحفَظك، احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**» فالعمل القلبي هو: حفظ الله بالغيب، وهذا منصوص الحديث.

وإما أن يكون العمل القلبي مستنبطًا من الحديث؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**» فهو يختص بالكلام عن الورع وهو من أعمال القلب.

وأثناء ذكر العمل القلبي أذكر وجه ارتباطه بالحديث، مع بيان أهم أركان هذا العمل، وشوائبه، وكل ذلك من كلام ابن القيم رحمه الله، معتمدًا في الغالب على كتاب تقريب مدارج السالكين التي أعدها مجموعة من الباحثين؛ ليسهل الرجوع إليها لمن أراد، كما أن العمل القلبي قد يتكرر وروده فأكتفي بما سبق غالبًا إلا حال وجود فائدة لم تُذكر.



الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

وهو أساس العلم ورأســه، وعنه تتفرع أنواع التوحيد كلها، فأعلم الناس بالله هو أعلمهم بأسمائه وصفاته وأكثرهم تَعَبُّدًا لله بها، وكل آية أو حديث نستطيع أن نتعرف على أمرٍ يختص بالله من أسمائه أو صفاته أو أفعاله التي هي آثار الأسماء والصفات، فرجعت كل النصوص إلا معاني الأسماء والصفات لله سـبحانه، فقول النبي ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ يَحفَظك**»؛ تختص باسـم الله الحافظ والحفيظ، فكان من الواجب بيان هذا العلم المبارك؛ علم الأسماء الحسنى والصفات العليا.

وإنــي أطلب من إخواني مــن طلبة العلم وأهله أن يســتخرجوا الأعمال القلبية، والأســماء الحســنى والصفات من نصوص الآيات والأحاديث؛ لأن بهــا صلاح القلــوب والجــوارح، ولأنها مقصود النصوص الشــرعية، وكم نحن بحاجة إلى مشــروعٍ علمي يستخرج ما كتبه أهــل العلم مــن الأعمال القلبيــة على الأحاديــث النبوية، ويستظهر آثار الأسماء والصفات من خلال تلك الأحاديث؟ ثم يجمع ذلك كله؛ ليستخرج منه قواعد لأعمال القلوب وأركانها وعللها، والله هو الفتاح العليم.

وإني أســأل الله أن يبارك لنا وفينا جميعًــا، وأن يغفر زللنا وجهلنا وظلمنا، وأن يغفر لوالدينا وذرياتنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

١

الحديث الأول

عَنْ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ أَبي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوله فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوله، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَو امْرأَة يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» متفق عليه.

المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين جليل القدر كثير الفوائد، بيَّن فيه النبي ﷺ أن جميع الأعمال لا تصح ولا تقبل بدون النية الصالحة، فإذا صَلُحت النية صَلُح العمل وإذا فسدت فسد العمل، ثم ذكر النبي ﷺ مثالين على تفاضل النية بأصحابها:

• **المثال الأول:** رجلٌ هاجر إلى دار الإسلام حبًّا لله تعالى، ورغبة في الإسلام وتعلم الدين والعمل به، فكانت النتيجة حصوله على جزاء ما نوى وأتم الله له هجرته.

• **والمثال الثاني**: رجلٌ هاجر من بلده إلى بلد الإسلام كان القصد من هجرته أمورًا دنيوية كدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فكان جزاؤه أن وكله الله إلى الشيء التافه الذي هاجر وتعب من أجله.

لطائف حديثية: في الحديث عدة لطائف إسنادية، وهي[1]:

١ ـ هذا أول حديث في صحيح البخاري، وشيخ البخاري الذي روى عنه هذا الحديث هو: الحميدي عبد الله بن الزبير، وهو قرشي النسب، ولعل البخاري قصد البدء به دون سائر شيوخه اقتداء بقول النبي ﷺ: «**قدموا قريشًا**».

٢ ـ كذلك الحميدي مكي البلد، وقد ابتدأ نزول الوحي بمكة فناسب أن يُقدم على غيره من الرواة.

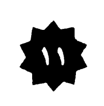
٣ ـ في إسناد الحديث ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض وهم: يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص، ففي الحديث رواية التابعين عن بعض.

٤ ـ اجتمع في إسناد الحديث أكثر صيغ المحدثين استعمالًا وهي: التحديث والإخبار والسماع، حيث قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: «حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الأَنْصَارِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيّ».

٥ ـ جاء عند الطبراني عن عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ قَالَ: «مَنْ هَاجَرَ يَبْتَغِي شَيْئًا فَإِنَّمَا لَهُ ذَلِكَ هَاجَرَ رَجُلٌ لِيَتَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا أُمُّ قَيْسٍ، فَكَانَ يُقَالُ

---

(١) انظر: فتح الباري ١٠/١.



لَهُ: مُهَاجِرُ أُمِّ قَيْسٍ»[١]، وصححه ابن حجر وقال: «وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ أَنَّ حَدِيثَ الْأَعْمَالِ سِيقَ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَلَمْ أَرَ فِي شَيْءٍ مِنَ الطُّرُقِ مَا يَقْتَضِي التَّصْرِيحَ بِذَلِك»[٢] أ.هـ.

٦ ـ تواتر النقل عن أئمة الإسلام بأهمية هذا الحديث، فقد قال البخاري: ليس في أخبار النبي ﷺ شيءٌ أجمع وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث.

وجعله ثُلُث الإسلام عدد من الأئمة منهم: عبد الرحمن بن مهدي، والإمام الشافعي، والإمام أحمد، وعلي بن المديني، وأبو داود، والترمذي، والدارقطني.

٧ ـ الحديث متواتر تواترًا معنويًا؛ لاشتهاره وقبول أئمة الإسلام له وتلقي الأمة له بالقبول.

٨ ـ الحديث فردٌ في أعلى إسناده، متواتر في نازل الإسناد، فلم يروه عن عمر إلا علقمة، ولم يروه عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم، ولم يروه عنه إلا يحيى بن سعيد.

ثم تواترت روايته عن يحيى بن سعيد؛ حيث رواه خلقٌ كثير وصل إلى أكثر من ثلاثمائة طريق، وبالغ الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: كتبته من سبعمائة طريق عن أصحاب يحيى، وقال ابن حجر معلقًا على ذلك: «وَأَنَا أَسْتَبْعِدُ صِحَّةَ هَذَا فَقَدْ تَتَبَّعْتُ طُرُقَهُ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمَشْهُورَةِ وَالْأَجْزَاءِ الْمَنْثُورَةِ مُنْذُ طَلَبْتُ الْحَدِيثَ إِلَى وَقْتِي هَذَا فَمَا قَدَرْتُ عَلَى تَكْمِيلِ الْمِائَة»[٣].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٨٥٤٠/٩.

(٢) فتح الباري ١٠/١.

(٣) الفتح ١٠/١.

٩ ـ من رجال هذا الحديث: الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومع هذا لم يخرجه في كتابه الموطأ.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى**: قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنما الأعمال بالنيات**»؛ يدل على أهمية النية وعِظَمُ شأنها؛ إذ أن جميع الأعمال مدار صحتها وقبولها على ما يتحقق في قلب صاحبها من النية والإخلاص، قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما يريد الله منك نيتك وإرادتك».

والنية هي: عزم القلب على فعل شيءٍ.

• **الفائدة الثانية**: قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» في أغلب الروايات بالإفراد «بالنية»، ورواية الإفراد تناسب محل النية إذ محلها القلب وهو واحد، ورواية الجمع «بالنيات» تناسب تنوع الأعمال وتعددها، وفي تعدد الروايتين بالإفراد والجمع دليل على صحة رواية الحديث بالمعنى إذ أن النبي ﷺ تكلم بأحدهما ولكلٍ وجهٌ.

• **الفائدة الثالثة**: قوله ﷺ: «**وإنما لكل امرئ ما نوى**»؛ يدل على أن اختلاف الناس في قبول العمل وثوابه بناءً على اختلافهم في النية، فكلما كانت النية أتمَّ كان الثواب أكمل، ونقصان النية ينقص الأجر.

• **الفائدة الرابعة**: قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكلٍ امرئ ما نوى**» هما جملتان متنوعتان في الدلالة:

فالجملة الأولى: «**إنما الأعمال بالنيات**» المراد بها: أن الأعمال مرتبطةٌ بالنية صلاحًا وفسادًا.

والجملة الثانية: «**وإنما لكل امرئ ما نـوى**»، المراد بها: أن ثواب العامل وعقابه بناءً على صلاح نيته وفسادها.

• **الفائدة الخامسة**: في الحديث دلالة على أن مدار الثواب في الأعمال عند الله مبنيٌ على النية الصالحة وليس مجـرد الفعل، فالأعمال تتفاضل حسـب ما يوجد في القلب من حقائق الإيمان وما يقوم بقلب العامل من النية والصدق، وبهذا يدرك المؤمن الصادق الأجر العظيم بأعمالٍ يسيرة.

• **الفائدة السادسة**: يدل الحديث علـى وجوب تعاهد النية والعناية بها ومعالجتها والتفقه فيها، وقد كان السـلف الصالح يتعلمون تحقيق النية ويتدربون على تصفيتها لعلمهم بـأن أجورهم وقبولها مبني على النية، فقد قال يحيى بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعلَّموا النية»، وكان تلامذة الإمام أحمد يسألونه عن كيفية النية، كما سـأله الفضل بن زياد، فقال: يا أبا عبد الله: كيف النية؟! أ.هـ.

فمن سرَّه أن يكمل له أجره فليُحسِّن نيته، ومن تأمل كلام السلف في النية وتحقيقها يخرج بالنتائج التالية[1]:

١ ـ أن السلف رحمهم الله يهتمون بتحقيق النية في أصل العمل بأن يكـون لله، ثُمَّ يجاهدون أنفسـهم في ثباتهـا حتى نهايـة العمل، فإن للشيطان مداخلٌ على الإنسان قبل العمل وأثناء العمل وبعده.

٢ ـ تتابع كلام السلف على أن النية تحتاج إلى **مجاهدة في تحقيقها ودوامها**، ولما سُـئل الإمام أحمد عن النية، قال: يعالج نفسـه إذا أراد عملًا لا يريد به الناس. أ.هـ.

---

(١) انظر: كتاب (الإخلاص والنية) لابن أبي الدنيا، ومصنف ابن أبي شيبة وغيرها ممن يعتني بكلام السلف رحمهم الله.

وقال سفيان الثوري: ما عالجتُ شيئًا أشد عليَّ من نيتي؛ لأنها تتقلب عليَّ. أ.هـ.

٣ ـ تحقيق النية لله إنما يتحقق بأن يكون منشأ العمل، والدافع من ورائه هو ابتغاء وجه الله، والشأن عند السلف إنما هو في تجريد النية وتخليصها مما يعلق بها، كما قال يوسف بن أسباط: تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد. أ.هـ.

فطول الاجتهاد في الطاعة كالصلاة مثلًا مع ما فيه من التعب والنصب إلا أن المؤمن قادر عليه بالصبر والمصابرة، لكن تنقية النية من دواخلها يحتاج إلى فقه ومراقبة وصدق، فكان أشد على العابدين من مكابدة الليل والصلاة فيه.

٤ ـ تتابع السلف على التحذير من تلقب النية على صاحبها، وهذا يسترعي علمًا بها ومراقبة لها.

٥ ـ حذَّر السلف الصالح من إرادة ثناء الناس في الأعمال، وهذا أحد مفسدات النية وتحذير السلف ليس لتخصيصه دون غيره، وإنما لكثرته وابتلاء الشيطان عباد الله به، ولا زال عدو الله يفسد على الصالحين والعاملين نياتهم بتعليق قلوبهم بثناء الناس عليهم، فكان من الفقه والإيمان أن يغلق الإنسان على نفسه هذه المداخل وأن يعلم أن من هرب عن ثناء الناس عوضه الله بثناء من عنده، فيزداد الناس رغبة فيه ويزداد هو قربًا لربه وبعدًا عنهم.

٦ ـ في فقه السلف يعتبر إخفاء العمل بوابة الإخلاص التي من ولجها فقد دخل الإخلاص وبقي عليه إغلاق بقية منافذ النفس، فإن النفس تُحب أن يعلم الناس بعملها وجهادها وعلمها، وقد حرص

السلف رحمهم الله على إخفاء الأعمال، كما قال محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يحكي أفعال السلف: «إن الرجل ليبكي عشرين سنة ومعه امرأته ما تعلم به»[١] أ.هـ.

وكما قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وهو يحكي حال السلف من الصحابة والتابعين: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الْقَوْمُ أَوْ يَجْتَمِعُونَ يَتَذَاكَرُونَ، فَتَجِيءُ الرَّجُلَ عَبْرَتُهُ فَيَرُدُّهَا، ثُمَّ تَجِيءُ فَيَرُدُّهَا، ثُمَّ تَجِيءُ فَيَرُدُّهَا، فَإِذَا خَشِيَ أَنْ يَفْلِتَ قَامَ»[٢].

ومع هذا الإخفاء والحرص عليه إلا أن الله يأبى إلا أن يظهرها فيُقْتَدي بهم ليكون لهم الأجر، وهذا فضل الله يؤتيه الْمُخلِصِين.

٧ ـ أُثِرَ عن السلف قولهم: «مَن أصلح سريرته أصلح الله علانيته»، وتتابعوا على هذا القول، وكان علماء السلف رحمهم الله يوصي بعضهم بعضًا بهذه الكلمات كما ذكره ابن أبي الدنيا[٣].

والمقصود بعبارتهم أن من أتعب نفسه بصلاح نيته وجاهدها على الاستقامة، وسعى في تنقيتها من شوائب الرياء، وتجرد بقصده وإرادته وجه الله = عاد ذلك على علانيته بالصلاح فدانت له جوارحه بالطاعات وأتته فتوح الله سبحانه.

ونرجع الآن لفوائد الحديث.

• الفائدة السابعة: قوله ﷺ: «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله**» فيه أن:

---

(١) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا، ص٤٨.

(٢) الإخلاص والنية، ص٦٣.

(٣) الإخلاص والنية، ص٥٤.

الهجرة وهـــي: الانتقال من بلـــد الكفر إلى بلد الإســـلام لإظهار شعائر الدين، إنما يختلف أجرها بناءً على الدافع للمهاجر في هجرته، فإن كانت نيته أن يهاجر لله ورسوله ويظهر دينه فكُتِبَ له أجر هجرته، وقد أعاد النبي ﷺ أجره بقوله: «**فهجرته إلى الله ورسوله**»؛ وذلك يفيد أن هذا المهاجر قد حصل على كُلِّ مطلوبه من الهجرة، فكأنه وصل لله ورسوله ﷺ.

• **الفائدة الثامنة**: في الحديث بيان أســلوب من أســاليب التعليم النبوي وهو: ذِكرُ قاعدةٍ، ثم ذكرُ مثالٍ يوضحها؛ وهذا يربي على تسهيل العلم وبذله وفي ذلك خيرٌ كبير، فالنبي ﷺ ذكر قاعدةً في النيات، ثم أوضحها بمثال الهجرة، فكأنـــه يريد أن يقاس غيـــر الهجرة على هذا المثال ويحتذى حذوه.

• **الفائدة التاسعة**: قوله ﷺ: «**ومن كان هجرته لدينا يصيبها أو امرأة ينكحها**» يدل على أننا مطالبون شـــرعًا بالحكم على الظاهر، فلم ينفِ النبي ﷺ مسمى الهجرة عن هذا الرجل، وإنما حبط أجرُهُ بفساد نيتِهِ.

• **الفائدة العاشرة**: قوله ﷺ: «**فهجرتـــه إلى ما هاجر إليه**» لَمْ يَقل النبي عليه الصلاة والسلام: فهجرته إلى دنيا يصيبهـــا أو امرأة ينكحها، كما أعاد في المثال الأول حيث قال: «**فهجرته إلى الله ورســـوله**»، والســـبب من عدم الإعادة:

أ ـ كثرة غايات الدنيا التي تفسد النية، فقال النبي ﷺ: «**فهجرته إلى ما هاجر إليه**» ليشمل كل مَن هاجر لغير الله.

ب ـ ليبين تفاهة كل مَقْصِدٍ غير وجه الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «**فهجرته إلى ما هاجر إليه**» ليقلل من شأنه واعتباره.

• **الفائدة الحادية عشرة:** فوائد النية بالنسبة للأعمال تتمثل في ثلاثة أمور:

أ ـ تميز العبادة من العادة: مثل تميز غسل الجنابة عن غسل التبرد والتنظف.

ب ـ تميز العبادات بعضها من بعض: مثل تميز صلاة الظهر عن صلاة العصر.

ج ـ تميز المقصود بالعمل أهو الله وحده أم لا؟

• **الفائدة الثانية عشرة:** مع أهمية النية التي يقررها الحديث إلا أنها لا بد أن تكون موافقة للسنة النبوية كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، قال: «أصوبه وأخلصه»، وإنما دخل الخلل على الصوفية في تحقيق كثيرٍ من أعمال القلوب لأنها لم تكن على السنة النبوية.

• **الفائدة الثالثة عشر:** دلَّ الحديث على أن العمل الكبير رُبَّما تصغرُهُ النية الفاسدة، فالرجل في هذا الحديث هاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، ولم تقبل هجرته بسبب نيته الباطلة.

• **الفائدة الرابعة عشر:** قوله ﷺ: «**إنما الأعمال**» يشمل جميع الأعمال:

أ ـ الأقوال.

ب ـ أفعال الجوارح.

ج ـ أعمال القلوب.

وهذا قول ابن جرير الطبري، وأبي طالب المكي، وأشار إليه الإمام أحمد كثيرًا، ورجحه ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويؤيده سلوك السلف الصالح



وتجريدهم الإخلاص، قال زُبيد اليامـي: «إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الطعام والشراب».

وعلى هذا فالتقدير في الحديث يكون: الأعمال صالحة أو فاسدة أو مقبولة أو مردودة أو مثاب عليها أو غير مثاب عليها بالنيات، والمراد: صلاح الأعمال وفسادها بحسب صلاح النيات وفسادها.

• **الفائدة الخامسة عشر**: قوله ﷺ: «**فمن كانت هجرته**»؛ دليل على أن النية هي التي تتعلق بأصل منشأ العمل، فالنية الباطلة هي التي يكون أصل منشئها لغير الله، والنية الصالحة هي التي يكون أصل منشئها إرادة وجه الله سبحانه، وهذا ضابط تحقيق النية.

• **الفائدة السادسة عشر**: قوله ﷺ: «**ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها**»؛ هي كلمة عامةٌ تشمل جميع ملهيات الدنيا ومغرياتها، ومع هذا خصَّ النساء بقوله ﷺ: «**أو امرأة ينكحها**»، وهذا التخصيص بعد العموم يدل على خطورة الشهوات وفتنة النساء فينبغي الحذر من الانسياق وراءها، وقال بعض العارفين: ما أيس الشيطان من أحدٍ إلا أتاه من قِبل النساء، ومثل هذا القول مبنيٌ على النظر والسبر، فكثيرٌ ممن ضلَّ بعد هدى كان بسبب الشهوات والافتتان بالنساء.

الأعمال القلبية المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الإخلاص**: وهو «تصفية العمل من كل ما يشوبه من شوائب إرادات النفس، إما:

طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم



وقضائهم حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب، التي عقد متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله، كائنا ما كان»[1].

فالمخلص يعالج ثلاث آفات تعرض للمؤمن في عمله، وهي:

أ ـ رؤية وملاحظة العمل بعين النفس والإعجاب به: والذي يُخلِّصُه من هذا: رؤية منَّة الله عليه، وفضله له، وأنَّه بالله لا بنفسه، فكل خير في العبد فهو مجرد فضلٍ الله ومنَّته وإحسـانه، وهو المحمود عليه، فرؤية العبد لأعماله في الحقيقـة كرؤيته لصفاته الخَلْقِيِّة من سـمعه وبصره وإدراكه، فالكل مجرد عطاء من الله.

ب ـ طلب العوض عليه من الناس: كالمدح والثناء وحب الشهرة، وعلاجه علمه بأنه عبدٌ محض، والعبد يخدم سـيده بمقتضى عبوديته له، فما يناله من سـيده من الأجر والمثوبة والعوض تفضُّل وإحسـان وإنعام لا معارضة.

ج ـ رضا النفس بالعمل والسكون إليه: وعلاجه يكون في أمرين:

• مطالعة عيوبه وآفاتـه وتقصيره، وما في عمله من نصيب حظّ النفس ونصيبٌ حظ الشيطان.

• علمه بما يسـتحقه الرب من حقوق العبوديـة، وآدابها الظاهرة والباطنة، وأن العبد أضعف وأعجز من أن يوفيها حقها[2].

٢ ـ هجرة القلب إلى الله: لقوله: «**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوله فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُـوله**» وهجرة البدن من بلد الكفر إلى بلد الإسلام

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٣٠٢.

(٢) تقريب مدارج السالكين، ص٣٠٢ وما بعدها مختصرًا.



تابعةٌ لهجـــرة القلب إلى الله، فمن هاجر قلبـــه لله فبدنه يهاجر، والمراد بهجرة القلب: «هي الهجرة التي تتضمن (مـــن) و(إلى)؛ فيهاجر بقلبه من محبـــة غير الله إلى محبته، ومـــن عبودية غيره إلـــى عبوديته، ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه، ومن دعاء غيره وســؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له إلى دعائه وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له، وهذا بعينه معنى الفرار إليه قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريـات: ٥٠]، والتوحيد المطلوب من العبد هو الفرار من الله إليه»[١].

وركن الهجرة القلبية: هو محبة الله، فـإن كان داعي المحبة أقوى كانت هــذه الهجرة أقوى وأتــم وأكمل، وإذا ضعــف الداعي ضعفت الهجرة حتى لا يكاد يشعر بها علمًا، ولا يتحرك لها إرادة[٢].

ومثل هذه الهجرة القلبية: الهجــرة إلى النبي ﷺ بعد مماته من خلال ما يلي: «سفر النفس في كل مسألة من مسائل الإيمان، ومنزل من منازل القلوب، وحادثة من حوادث لأحكام إلى معدن الهدى، ومنبع النور الملتقى من فم الصادق المصدوق، الذي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]، فكل مسألة طلعت عليها شــمس رســالته، وإلا فاقذف بها في بحر الظلمات، وكـل شاهـدٍ عدَّله هذا المزكي وإلا فعُـدَّه من أهل الريــب والتهمات، فهذا حد هذه الهجرة»[٣].

---

(١) الرسالة التبوكية، ص١٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الرسالة التبوكية، ص٢٣.



الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

- الله: لقوله: «**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوله فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوله**» فالله هو المألوه المعبود الذي تُصرف له؛ «لأن المألوه المعبود هو الذي تألهه القلوب وترغب إليه وتفزع إليه عند الشدائد؛ وسبب تألهها له كونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به الله من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع[١]، وهذا الحب هو أعظم ما يكون من المحبة.

فحديث الباب يدل على أن مَن هاجر إلى الله ورسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ محبةً لله، حتى أنه ضحَّى ببلده وأهله وعشيرته فتركهم لأن الله يريد ذلك؛ فكان حبه لله أعظم من حب غيره، فمَن هاجر لله بهذا القصد؛ فقد هاجر لله على الحقيقة، ووقع أجره على الله.

والرجل الذي هاجر لدنيا يصيبها، فقد كان القصد من وراء هجرته غير الله، حيث صرف مشاعر حبِّه وأفعال جوارحه في طلب غير الله؛ فلهذا ردَّ الله هجرته ووكله إلى نيته، واسم الله يجمع العديد من الأسماء الحسنى ولهذا اقتصر في ذلك عليه.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤٩/١٠.

٢

الحديث الثاني

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» رواه مسلم.

المعنى الإجمالي للحديث:

يخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رجلًا لا يُعرف خرج عليهم، وهم جلوس عند النبي ﷺ، فجلس بين يدي النبي ﷺ جلسة المتعلم؛ فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فأجابه النبي عليه الصلاة والسلام بأركان الإسلام وهي: الإقرار بالشهادتين، والمحافظة على الصلوات الخمس، وأداء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وأداء فريضة الحج على المستطيع.

ثم أجابه عن أركان الإيمان وهي: الإيمان بالله، وملائكته، والكتب المنزلة على الرسل، والإيمان بالأنبياء المبلغين عن الله دينه، والإيمان بيوم القيامة، والإيمان بالقضاء والقدر وأنه مكتوب على الإنسان خيره وشره.

ثم أجابه عن الإحسان وهو: أن يعبد الله كأنه يشاهده سبحانه، فإن لم يقم بهذه العبادة فليعبد الله تعالى خوفًا منه لعلمه أنه مطلع لا تخفي عليه خافية.

ثم أخبره عن الساعة وأنه لا يعلمها أحدٌ من الخلق، ومن علاماتها أن تلد الأمة ربتها، وقد اختلف العلماء في تفسيرها وأشهر المذاهب قولان:

- أحدهما: أن في ذلك إشارة إلى كثرة الفتوحات الإسلامية وكثرة التسري فتحمل الأمة من سيدها الذي يملكها فيكون ولدها هو سيدها لأن المولود يتبع أباه في النسب والحرية.

- والثاني: أن ذلك إشارة لكثرة العقوق حيث يعامل الولد أمه معاملة السيد عبده من الضرب والشتم.

ثم ذكر علامة أخرى للســاعة وهي: أن رعاة الغنم والفقراء تبسط لهم الدنيا فيتفاخرون فيها.

ثم بيَّن النبي ﷺ في نهايــة الحديث أن هذا الســائل، إنما هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء ليعلمهم دينهم.

لطائف إسناد الحديث: للحديث عند الإمام مسلم في صحيحة عدة لطائف حديثية هي:

١ ـ أن الحديث من سُــباعيات الإمــام مســلم؛ أي: أن بينه وبين النبي ﷺ سبعة رجال، وهذا من أطول طرق مسلم.

٢ ـ الحديث مسلسلٌ بالرواة الثقات المروزيين وهم:

إســحاق بن راهويــة، والنضر بن شُــميل، وعبد الله بــن بُريدة، ويحيى بن يعمر.

٣ ـ فيه رواية ثلاثة من التابعين بعضهم عن بعص وهم: كَهْمَس عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر.

٤ ـ وفيه رواية صحابــي عن صحابي وهــم: عبد الله بن عمر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٥ ـ في الحديث رواية الابن عن أبيه وهم: ابن عمر عن أبيه.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى:** يدل على أن العناية ببياض الثياب وصلاح الشعر من أخلاق طالب العلم وباذلــه، فالعلم يوصل لها ويحث عليها؛ لقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ».

• **الفائدة الثانية**: يتضح في الحديث بيان أهمية اليقظة والانتباه في مجالس الذكر؛ فعمر بن الخطاب ﵁ كان يقظًا في معرفة حال الرجل لقول عمـر: «لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ»، ونتيجة لهذه اليقظة حفظ الأسئلة وأجوبتها.

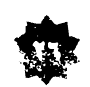
• **الفائدة الثالثة**: قـول عمر بن الخطـاب ﵁: «فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ» يدل على أن آداب طالب العلم تسبق طلب العلم، فجبريل تأدب في جلسـته، ثم سأل، وعلى هذا ينبغي أن يسير طالب العلم في سلوك العلم أن يتأدب ثم يتعلم.

• **الفائدة الرابعة**: سؤال جبريل ﵇ بقوله: «**أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟**» وقوله: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟**» وقولـه: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ**» يبين أهمية الحديث لأن هذه الأسئلة هي مراتب الدين.

• **الفائدة الخامسة**: الحديث يدل على أن أسلوب السؤال والجواب من أساليب التعليم النبوية، وهذا ظاهر.

• **الفائدة السادسة**: يدل الحديث أيضًا على أن السـؤال من مفاتيح العلم، فمن اسـتحى منه أو اسـتكبر عنه لا يناله كما جرت به السـنة العلمية في طلب العلم.

• **الفائدة السابعة**: في الحديث الاقتصار على أهم المهمات في الإجابة على الأسئلة العامة، فجبريل ﵇ سأل النبي ﷺ أسئلةً عامة عن مراتب الدين، فجاء جواب النبي ﷺ مقتصرًا على أهم المهمات في كل مرتبة، إذ المقام ليس مقام تفصيـل؛ وهذا من فقه الجواب والتعليم.



• **الفائدة الثامنة**: يدلُّ هذا الحديث على أن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا في نصٍ واحد؛ فالإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة، والإيمان يفسر بالأعمال القلبية الباطنة، كما فسره النبي ﷺ حيث قال عن الإسلام: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» وقال عن الإيمان: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

• **الفائدة التاسعة**: يدل الحديث على أن الدين ليس على درجة واحدة، بل هو درجاتٍ بعضها فوق بعض، كما أن المرتبة الواحدة يتفاوت الناس فيها حسب ما يقوم في قلوبهم من تحقيق مقاماتها.

• **الفائدة العاشرة**: بيَّن الحديث أركان الإسلام وهي:

الشهادتان، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا.

• **الفائدة الحادية عشرة**: قوله ﷺ: «**وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ**» لفظ الإقامة مقصودٌ لبيان أن تحقيقها يكون بأداء صلاةٍ قائمة لا اعوجاج فيها.

• **الفائدة الثانية عشرة**: بيَّن الحديث مراتب الإيمان وهي:

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

• **الفائدة الثالثة عشر**: يدلُّ الحديث على أن أعلى مراتب الدين وهي: الإحسان؛ تقوم على مراقبة الله، فمن حقَّق المراقبة فقد نال عالي الرتب في دين الله لقوله ﷺ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

• **الفائدة الرابعة عشر**: في الحديث دلالة على أن قول الشخص: «لا أعلم» لا ينقص من قدره، كما قال عمر ﵁: «**اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**» وهي بمعنى لا أدري.

• **الفائدة الخامسة عشر**: الحديث يظهر لنا فضل جبريل ﵇ على هذه الأمة لقوله ﷺ: «**أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**» وجبريل ﵇ له علاقة بهذه الأمة؛ حيث أنه الذي تنزل بالوحي ويشارك في معاركها، ويتمثل على صورة سائل ليعلمنا ديننا فصَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم.

• **الفائدة السادسة عشر**: في الحديث فضلُ حضور مجالس الذكر لما فيها من الفائدة التي قد تفوت، وفي هذا تربيةٌ على تتبع مجالس الذكر تحصيلًا للفائدة.

• **الفائدة السابعة عشر**: يدل الحديث على أن آخر الزمان تنعكس فيه القيم والمفاهيم؛ فيكثر العقوق والجهل، ويفشو التفاخر بين الناس بالماديات كالبنيان، وهذا نتيجة للبعد عن الهدي النبوي، وكلما تأخر الزمن عن وقت الرسالة كلما ازداد الناس بعدًا عن الوحي.

• **الفائدة الثامنة عشر**: دلَّ الحديث على أن مذاكرة العلم من سُبُل نشره؛ فلم يكن جبريل ﵇ ليجهل هذه الأسئلة، لكنه أراد مذاكرة النبي ﷺ بها لينتفع بها غيره.

• **الفائدة التاسعة عشر**: فيه مجالسة النبي ﷺ لأصحابه، وهذا من كريم أخلاقه وتواضعه، كما أن فيه دلالة على عدم غياب المربي عن أتباعه وطلابه.

• **الفائدة العشرون**: دلَّ على أخذ العلم مشافهةً، فعلى طالب العلم ألا يكتفي بتلقي العلم عبر وسائل التواصل الاجتماعي؛ بل عليه أن يلتقي بأهل الذكر ويسمع منهم.

• **الفائدة الحادية والعشرون**: في الحديث الأدب مع الضيف، بحيث يقدَّم في الكلام على غيره، فالصحابة الكرام لم يتقدموا على جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في الكلام، وإنما سكتوا حتى تكلم جبريل وسأل، فالعلم والإيمان يربي على الأدب.

• **الفائدة الثانية والعشرون**: الحديث يدل على تصديق أهل العلم بعضهم لبعض؛ كما قال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «صدقت».

الأعمال القلبية المتعلقة بالحديث:

١ ـ **التصديق**: لقوله: «**أن تشهد**»، وقوله: «**أن تؤمن**»، والإيمان هو التصديق الجازم بالله، وهو بمعنى الشهادة التي هي الخبر الجازم، والتصديق بالله وبما أمر ونهى وأخبر، وهو أول مراتب تعظيم الأمر، وهو مقدمة العزم، وعلى قوة التصديق تكون قوة العزم، ثم الفعل، وتصديق القلب يتبعه عمل القلب، ثم يتبعهما عمل الجوارح، «فليس التصديق مجردًا اعتقادًا صدق المخبر دون الانقياد له، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيمانًا؛ لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمدًا رسول الله كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين»[١].

«فإن التصديق الحقيقي بلا إله إلا الله؛ يستلزم التصديق بشعبها وفروعها كلها وجميع أصول الدين وفروعه من شعب هذه الكلمة، فلا يكون العبد مصدقًا بها حقيقة التصديق حتى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه»[٢]. «وكذلك التصديق بها يقتضي الإذعان والإقرار

---

(١) الصلاة وأحكام تاركها، ص٥٠.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ص٨٥.

بحقوقها وهي شرائع الإسـلام التي هي تفصيل هذه الكلمة بالتصديق بجميع أخباره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه هو تفصيل لا إله إلا الله فالمصدق بها على الحقيقة الذي يأتي بذلك كله»[1].

٢ ـ **الإحسان**: وهو أن تعبد الله كأنك تراه، وهو لب الإيمان، وروحه وكماله، وهذه المنزلـة القلبية تجمع جميع المنـازل، والمحرك لهذا الإحسان هو إحسان القلب؛ بأن يعبد الله كأنه يراه، ويرى خدمته لعباده ابتغاء وجهه، ولأن الله يحب المحسنين، ويذكر علماء السلوك أنه على ثلاث درجات:

أ ـ **إحسان القصد والإرادة**: ويكون إحسانه:

بجعله تابعًا للعلم الشرعي الصحيح، وإحكامه بالعزم، وتنقيته من شوائب الفتور والأكدار التي تكدر النية.

ب ـ **إحسان الحال والعمل**: ويكون ذلك بالاجتهاد بتحقيق أعمال القلب، وتخلصيها من الأمراض، وبحفظها وصيانتها من الرياء، والوفاء بأوقاتها وأركانها وآدابها، وبحفظها من اطلاع الناس عليها؛ «لأن إظهار الحال للنـاس عند الصادقين حمـقٌ وعجز، وهو مـن حظوظ النفس والشيطان»[2].

٣ ـ **الرضا**: لقوله: «**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَـرِّهِ**»، وليس من شـرط الرضا ألا يحس بالألـم والمكاره، وإنما من شـرطه ألا يعترض على الحُكم ولا يتسخَّطه، وفي منزلة الرضا عقبات ثلاث صعبة وهي:

أ ـ الهمة العالية.

---

(١) المصدر السابق، ص٩٥.

(٢) تقريب مدارج السالكين، ص٥٢١.



ب ـ النفس الزكية.

ج ـ توطين النفس على كل ما يَرِدُ عليها من الله.

ويسـهل ذلك بعد توفيـق الله: علم العبد بضعفـه وعجزه، وعلمه برحمة ربه، وشفقته عليه[1]. ويجمع ذلك كله الرضا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ ﷺ نبيًا رسولًا.

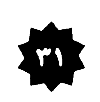
٤ ـ **العلم**: حديث الباب كله تعليم، وفي آخره قال النبي ﷺ: «**أتاكم يعلمكم دينكم**»، وأصل العلم هو وعي القلب، فإذا علم القلب علمت الجوارح، وإذا عمـل القلب عملت الجوارح، وأصـل العلم هو العلم بالله، وحديث البـاب يؤصل أصول العلم بالله، وأنـه يرجع إلى أركان الإسـلام والإيمان والإحسان، فلا يسـمى علمًا في الشرع إلا ما تعلق بهذه الأركان الثلاثة، وكل علمٍ لا يزيد هذه الأركان فهو من العلم الذي اسـتعاذ منه النبي ﷺ، والعلم بالله هو غذاء القلب، وشُبِّه في نصوص الوحي بالماء الذي به الحياة والنبات والنمـو، والعلم بالله يفعل مثل ذلك بالقلب، والعبادة لا بد لها من علمٍ بالكتاب والسنة، وعلم السلوك يجب أن يتقيد بعلم الوحي وإلا فإن النفس تنحرف يمينًا أو شـمالًا، كما قال عمرو بن عثمان المكي: «العلم قائد، والخوف سائق، والنفس حرونٌ بين ذلك، جموحٌ خداعةٌ روَّاغةٌ، فاحذرها وراعها بسياسة العلم، وسقها بتهديد الخوف؛ يتم لك ما تريد»[2].

وفي باب السلوك والسـير إلى الله تغتر النفس بما وصلت إليه من حالٍ ومقامات قلوب، واسـتحضار لله ولذكره؛ فيغرها الشيطان بذلك

---

(١) المصدر السابق، ص٣٥٩ وما بعدها مختصرًا.

(٢) تقريب مدارج السالكين، ص٥٢٦.



وترضى بما وصلت إليه، بينما لا يتوقف المؤمن عند منزلة إلا ويقوده العلم بالله إلى منزلة أعلى منها، كما أن العلم يُبصِّر المؤمن التقي بآفات الأعمال القلبية التي يضعها الشـيطان في طريـق العبادة، فللإخلاص آفات تقدح فيـه، وللتوكل عللٌ تنقصـه، وللمحبة شـوائبُ تكدرها، وكذلك الحال بالنسبة للخوف والرجاء وسائر المقامات الإيمانية؛ مما يتعين معه طلب العلم الشرعي بفهم السلف الصالح.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **العليم الخبير**: فـالله هو العليم سـبحانه الذي وسـع علمه كل شيء، وذو الخبرة التي أحاطت بكل شيء، ومن علمه وخبرته أنه علَّم الملائكة دينهم، وعلَّم أنبياءه دينهم وحجتهم، ثم علَّم الناس، وحديث الباب أثر من آثار علم الله؛ حيث أرسـل جبريل يعلمنا ديننا، ومن آثار ذلك على إيمان العبد: تعظيمه الله وإجلاله، والسـعي في طلب العلم بالله، والحرص على الإتقان العلمي، فالله علام يحب العلماء الراسخين.

٢ ـ **الرحمن الرحيم**: وهما اسمان ثابتان لله ﷻ، وهو واسع الرحمة، ومن رحمته أنه أرسـل جبريل ومحمد عليهما السلام يعلموننـا ديننا كما أفاده حديث الباب، ومن آثار هذين الاسمين: محبة الله فإن القلوب تحب ذا الرحمة، كما أن تَعَلُّم العلم وتعليمه رحمةٌ من رحمات الله، ومن رحمته أن يسَّر سبل العلم، ويسَّر القرآن للذكر؛ وهذا من كمال رحمته.

٣

الحديث الثالث

عَنْ أَبِـي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللهِ بْـنِ عُمَرَ بْن الخَطَّـابِ ﭬ قَالَ: سَمِعْتُ النبي ﷺ يَقُوْلُ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُـوْلُ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البِيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». متفق عليه

المعنى الإجمالي للحديث:

أخبر النبي ﷺ أن الإسلام بُني على خمسة أركان هي:

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: في الحديث تشبيه للإسـلام بأنه بناء، فالإسلام دينٌ متكامل كالبناء المتكامل، فلا يؤخذ بعضه ويترك بعضه.

- **الفائدة الثانية**: فـي الحديث أهمية الأركان الخمسـة؛ حيث بني عليها دين الإسلام، وخطر التفريط.

• **الفائدة الثالثة**: فيه تفاوت شعائر الإسلام، ففيه الأركان التي يُبنى عليها غيرها، وما عدا ذلك مبنيةٌ هي على غيرها.

• **الفائدة الرابعة**: دلَّ الحديث على أن الشهادتين ركن واحد مع بعضهما البعض لا تكفي إحداهما عن الأخرى؛ ولهذا قُرن بينهما في الحديث.

• **الفائدة الخامسة**: فيه أن الإسلام دين كامل لا يقبل الزيادة ولا النقصان لقوله: «**بُني الإسلام**»، فهو بناءٌ اكتمل وليس بحاجة إلى إكمال؛ إذ لو كان كذلك لما وُصف بأنه بُني وفُرغ منه.

• **الفائدة السادسة**: فيه أمانة الصحابة ودقتهم في نقل الحديث، فلما قال رجل: «صوم رمضان والحج» قال ابن عمر: «حج البيت وصوم رمضان هكذا سمعته».

• **الفائدة السابعة**: فيه تشريف النبي ﷺ إذ جمع اسمه مع اسم الله جل وعلا.

الأعمال القلبية المتعلقة بالحديث:

أبرز علمٍ قلبي هو:

ـ **التسليم والاستسلام**: فدين الإسلام بُني على خمسٍ ولا يحتاج إلى زيادة، وقد بُنِيَ واكتمل بناؤه كما يفيده لفظ الحديث، فلم يبقَ للمؤمن إلا التسليم والاستسلام والانقياد والإذعان، وعليه مدار الإسلام، ومنه سُمِّي المسلم لاستسلامه لربه، وهذا مقتضى العبودية، ولفظ الاستسلام يجمع بين الانقياد مع الذل والمسكنة، وهذا هو محبوب الله من العبد، ومن كمال التسليم أنه يصاحب جميع مقامات

القلب؛ فما مــن منزلة إلا وهــي تتضمن التســليم، وكل مرض قلبي فيتضمن نقصًا في مقام التســليم؛ ولهذا كان مقام المؤمن الاتباع وهو فرع التسليم.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

ـ **الحكم والحكيم**: الــذي لــه الأمر كلــه، فأمر بأركان الإســلام الخمسة، وأمر بلوازمها وتحصيلها، ونهى عما يضادُّها، ولا يجيز لأحد التغيير أو التبديل، ولا النقص أو الزيادة، وهذا أيضًا من آثار اســم الله الملك الذي له الملك وحده، والمؤمن يتعبد لله بهذا الاسم من خلال: اتباعه لأوامر ربه، وطاعة مولاه، وبغض من بدَّل دين الله ومعاداته.

٤

الحديث الرابع

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُوْدْ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيَنفُخُ فِيْهِ الرُّوْحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيْدٌ، فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» رواه البخاري ومسلم.

المعنى الإجمالي للحديث:

يخبر النبي ﷺ عن أمرٍ غيبي، ولهذا صدَّره الصحابي بقوله: «حدثنا الصادق المصدوق»، وقد بيَّن النبي ﷺ فيه أطوار خلق الإنسان، وأنه يكون نطفةً استقرت في الرحم أربعين يومًا؛ ثم يكون قطعةً من دمٍ غليظ مثل ذلك، ثم يكون قطعة لحم بقدر المضغة التي تمضغ مثل

ذلك، ثم يرسل الله ملكًا فيكتب أربع كلمات وهي: الرزق والعمل والأجل والشقاوة أو السعادة.

ثم بيَّن النبي ﷺ أن العبد يعمل بعمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس، فإذا قرب منه أجله ووفاته، فإنه يسبق عليه الكتاب الذي كتبه الله أنه من أهل الشقاوة، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وهناك من يعمل بعمل أهل النار، فيما يبدو للناس، فإذا حضر أجله وحانت وفاته سبق عليه ما كتبه الله عليه من السعادة؛ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى**: منزلة النبي ﷺ في قلوب أصحابه، لقول ابن مسعود رضي الله عنه: «الصادق والمصدوق».

• **الفائدة الثانية**: فقه ابن مسعود إذ أتى بجملة تناسب الحديث «**الصادق والمصدوق**»؛ لأن مضمون الحديث غيبي لا يعلم إلّا عن طريق الوحي.

• **الفائدة الثالثة**: عظمة المولى وقدرته، فمن النطفة يخلق علقة ومنها مضغة ومنها بشرًا سويًا، وهذا يعود على تعظيم الله في قلب العبد بالهيبة والإجلال، والله ذو الجلال والإكرام.

• **الفائدة الرابعة**: رحمته سبحانه وحفظه؛ حيث يحفظ تلك النطفة إلى أن تكون علقة، ثم يحفظ العلقة حتى تكون مضغة، ثم يحفظها بعد ذلك وقبله، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢١].



• **الفائدة الخامسة:** الحديث علاج للكبر، فالمتكبر عليه ألا ينسى أصل خلقه، فمَن عرف أصل خلقته وأنه من ماءٍ مهين ثم من قطعة دمٍ غليظ زال الكبر عن قلبه، ولهذا كثيرًا ما يكون هذا المعنى في القرآن بأن يذكر الله المتكبر بأصله.

• **الفائدة السادسة:** فيه الحث على شكر العبد لربه على نعمه العظيمة التي أحاطته.

• **الفائدة السابعة:** الحديث يربى الإنسان على التفكر في نفسه، وفي أصله، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

• **الفائدة الثامنة:** فيه التسليم للأمور الغيبية التي ثبت فيها النص؛ وهذا من الإيمان باسم الله العليم علَّام الغيوب.

• **الفائدة التاسعة:** فيه سعة علم الله الذي أحاط بكل شيء علمًا، فيكتب المقادير قبل ولادة الإنسان، وفي هذا تربية على تعظيم الله.

• **الفائدة العاشرة:** الحديث يبعث على الراحة والطمأنينة في الرزق والأجل؛ لأنها كتبت وفرغ منها، وأكثر ما يشغل العباد في زماننا هي قضية الرزق، فالحديث بيَّن أنها محسومة مكتوبة مقضية، وهذا يجعل العبد يطلبها بلا قلق ولا اضطراب.

• **الفائدة الثانية عشرة:** فيه الحث على بر الوالدين خاصة الأم، فكل قضايا الحديث حدثت في بطنها، فرحم الله والدينا وأمهاتنا.

• **الفائدة الرابعة عشر:** دلَّ الحديث على أن العبرة بالخواتيم فلا يغتر بظاهر العمل، والخواتيم لا يعلمها إلا الله، والمؤمن عليه أن يجتهد في أعمال بره، ويحسن الظن بربه.

• **الفائدة السادسة عشر**: في الحديث تربية على الخوف من سـوء الخاتمة، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال بعض السلف: ما أبكى العيون ما أبكاها الكتاب السابق»، وقال سفيان لبعض الصالحين: «هل أبكاك قط علم الله فيك؟ فقال له ذلك الرجل: تركني لأفرح أبدًا»، وكان سفيان يشتد قلقه من السوابق والخواتيم، فكان يبكي ويقول: «أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيًا»، ويبكي ويقول: «أخاف أن أُسلب الإيمان عند الموت».

وهذا الخوف ضروري للقلب؛ لأنه يورث الجد والاجتهاد، ويطرد العجز والكسل.

• **الفائدة السابعة عشر**: الحديث يربي في النفس خوفها من النفاق الأصغر والأكبر ومن الكفر؛ لأن قوله: «فيما يبدو للناس» «إشارةٌ إلى أنَّ باطنَ الأمر يكونُ بخلافِ ذلك، وإنَّ خاتمة السُّوءِ تكونُ بسبب دسيسةٍ باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سُوءَ الخاتمة عند الموت»[٢].

فعلى العبد أن يفتش عن ما فيه من خصال النفاق أو الكفر ويتوب منها.

• **الفائدة التاسعة عشر**: فيه أن الشخص له إرادةٌ واختيار، فقد أضاف العمل له» إن أحدكم ليعمل»، وفي هذا ردٌ على نفاة القدر والجبرية.

• **الفائدة الحادية والعشرون**: فيه الحرص على أعمال أهل السعادة والثبات عليها إلى أن يموت، والاستكثار من خصال الخير «فالرجلُ قد

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص١٨١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص١٨١.

يعمل عملَ أهل النَّارِ وفي باطنه خصلةٌ خفيةٌ من خصال الخير، فتغلب عليه تلكَ الخصلةُ في آخر عمره، فتوجب له حسنَ الخاتمة»[١].

• **الفائدة الثانية والعشرون:** فيه أن أحكام الدنيا معلقة بالأعمال الظاهرة دون الدخول في النيات، لقوله: «**فيما يبدو للناس**» فالناس يحكمون على ما ظهر لهم، وهذا تكليفهم الشرعي لا يُلامون عليه.

• **الفائدة الثالثة والعشرون:** فيه نفاذ أمره سبحانه وتعالى؛ لقوله: «**حتى ما يكون بينه وبينها إلّا ذراع فيسبق عليه الكتاب**» فما قدَّره الله وقضاه فهو نافذ، فإن الله إذا قضى قضاء فإنه لا يُرد، كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

• **الفائدة الرابعة والعشرون:** في الحديث الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، وهذا من أركان الإيمان الستة.

• **الفائدة الخامسة والعشرون:** فيه الاجتهاد بالإخلاص وتنقية الأعمال من الشوائب الخفية، التي قد تحبط عمله.

• **الفائدة السادسة والعشرون:** الحديث دليل على إثبات البعث والنشور؛ فمن ابتدأ الخلق قادرٌ على إعادته.

• **الفائدة السابعة والعشرون:** في الحديث دليل على أن الملائكة تدبر الأمر بإذن ربها، فالله يأمر بكتب أربع كلمات، والملائكة تنقاد وتنفذ، وفي هذا تجديدٌ للإيمان بالملائكة الذي هو ركن من الأركان.

• **الفائدة الثامنة والعشرون:** الحديث يربي المؤمن على مقامي الخوف والرجاء، فعلى العبد أن يعبد الله على ضوء هذين العملَين، فيخاف من سوء الخاتمة، ويرجو حسنها.

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص١٨٠.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

في الحديث العديد من الأعمال القلبية التي يجب الإيمان والعمل بها، ومنها:

١ ـ **التسليم والتصديق**: فالحديث أمرٌ غيبي يقابله العبد بالإيمان والتسليم والتصديق.

٢ ـ **المحبة**: فالرب الذي يحفظ عبده وهو في رحم أمه، وتقلب حالاته؛ أحب أن يُحب.

٣ ـ **الخوف**: فحال الرجل الذي سبق عليه الكتاب ولم يكن بينه وبين الجنة إلا ذراع فخُتم له بخاتمة سوء حالٌ تستدعي الخوف من الله الذي يطلع على خفايا النفس.

٤ ـ **الرجاء**: وحال الرجل الذي سبق عليه الكتاب ولم يكن بينه وبين النار إلا الذراع، ومع هذا أدركته رحمة الله، فذلك يربي رجاء الله في القلب وحسن الظن به.

٥ ـ **إجلال الله وتعظيمه**: فالله الذي يكتب المقادير، ويعلم كل شيء، ويقدر على كل شيءٌ، وأمره نافذ ولا بدَّ يربي في القلب التعظيم والإجلال والهيبة، والله أحق أن يُجل ويكرم.

٦ ـ **الطمأنينة**: أخبر النبي ﷺ أن الرزق مكتوبٌ، وأن الأجل محتومٌ، وهذا يجعل العبد مطمئنًا على رزقه فلا يقلق، بل يسعى وهو هادئ البال، ولا يقطع نفسه حسرات على فواته، ومَن تأمل مشكلات الحياة المعاصرة وجد أغلبها يعود إلى القلق بشأنه.

٧ ـ **اليقين**: الحديث يعطي العبد يقينًا بالله، وما عنده من الرزق والأقدار، وأن كل شيءٍ مكتوب بقدر.

٨ ـ **القناعة**: وهو العمل القلبي المترتب علـى اليقين، فمَن أيقين بالله أورثه ذلك القناعة بما عنده، وخرج من قلبه الطمع والحرص الذي سبب أمراضًا كبرى اليوم في الحياة المعاصرة.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

ذكر في الحديث عدة أفعالٍ لله ﷻ، ومنها:

١ ـ **الجمع**: فالله يجمع الخلق في بطون أماتهم كما في الحديث، والله يجمع الرسـل، كمـا قـال تعالـى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩]، والله يجمع الناس ليوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمـران: ٩]، وقـال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [النسـاء: ٨٧]، وهـذا الفعل يدل على علم وقدرة، والله هو العليم القدير، والحديث يؤكد العلم والقدرة، فمن قدرته أن شـكَّل النطفة علقـة، والعلقة مضغة مخلقة وغير مخلقة، ومن علمه أن كتـب مقادير رزق العبد وأجله وشقاوته وسعادته قبل أن يولد.

٢ ـ **الإرسال**: يرسل الله الملك فينفخ في الحمل الروح، والله هو الذي يرسل كما ذكر عن نفسه سـبحانه في القرآن كثيرًا فقال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ [الرعد: ١٣]، وهو الذي يرسـل الأرواح فلا يقبضها كما قال: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمـر: ٤٢]، والإرسـال من أفعـال الملك، فالملك يرسل وجنده تطيعه سبحانه.

٣ ـ **الأمر**: فالله لــه الأمر، وهو الذي يأمر، وفــي الحديث: «**فيؤمر ـ يعني الملَك ـ بأربــع كلمات**»، والأمر صفة ألوهيــة، والعبد عليه أن يطيع ويستسلم، وقد قال الله عن نفسه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالذي خلق هو الذي أمر، فكما يستســلم له في خلقه فيستســلم له في أوامره ونواهيه.

٤ ـ **الكتابة**: فالحديث يتضمن الإشــارة إلــى كتابة الله، فالله يكتب كتابةً تليق بعظمته وجلاله، فقد قال في الحديث: «**فيسبق عليه الكتاب**» أي الذي كتبه الله أو أمر بكتابته، وقد قــال الله في كتابه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ [المجادلة: ٢١]، فالله يكتب ما شاء متى شاء، وهذا دليل عظمته، وفيه إقامة الحجة على عبــاده بكتابة أعمالهم، وفيــه قوة الله وعظمته ونفاذ أمره كما قال: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

٥

الحديث الخامس

عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ: «مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث عليه مدار الإسلام في كثيرٍ من أحكامه، وهو إبطالٌ للبدع، فقد أخبر النبي ﷺ أن من عمل عملًا وليس عليه دليل من الشرع؛ فهو مردود عليه ولا يقبل.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى**: في الحديث كمال الشريعة الإسلامية؛ فلا تحتاج لزيادة، وهذا يجعل المؤمن مكتفيًا بدين الله عن غيره من الفلسفات والأديان والنظريات الشرقية والغربية.

• **الفائدة الثانية**: دلَّ الحديث على أن كل عملٍ ليس عليه أمر الشريعة فهو مردودٌ، وهذا ينطبق على البدع كلها، فكل بدعةٍ ضلالة، وبهذا يتربى المؤمن على اتباع الدليل وتعظيمه.

• **الفائدة الثالثة**: في الحديث دلالة على أن جميع شؤون الحياة يجب أن تكون تحت حكم الشريعة؛ لقوله: «**كل أمر**»، فجميع مظاهر الحياة يجب أن تتقيد بالشريعة، وبهذا نعرف خطأ كثيرٍ ممن يحصر الشرع بالمسجد دون جوانب الحياة الأخرى.

• **الفائدة الرابعة**: دلَّ الحديث على أن مَن أتى بعبادةٍ لم تأمر بها الشريعة فقد أحدث في الدين ما ليس منه؛ لقوله: «**مَن أحدث**»، فسمى العمل الجديد حَدَثًا، وهذا اللفظ يشعر بأن العمل جديد لا تعرفه الشريعة في أصله.

• **الفائدة الخامسة**: الحديث أصلٌ في رد جميع البدع لقوله «**فهو رد**»، ولهذا يستدل بهذا الحديث علماء السنة في إبطال كل البدع.

• **الفائدة السادسة**: الحديث يدل على أن البدعة لا دليل عليها لقوله: «**ليس عليه أمرنا**»، فكل بدعة هي خالية عن دليل شرعي معتبر.

• **الفائدة السابعة**: الحديث ذكر ضابطًا للبدعة: فهي إحداث في الدين ما ليس منه؛ لقوله: «**أحدث**».

• **الفائدة الثامنة**: الحديث أصلٌ في طلب الدليل وإتِّباعه بعد ثبوته.

• **الفائدة التاسعة**: فيه حث ضمني على طلب العلم حتى يُعرف أمر الله ودليله وبالتالي تُعمل السنة وتجتنب البدعة.

• **الفائدة العاشرة**: دلَّ الحديث على أن منشأ جميع البدع الجهل بالأدلة، إذ لما فاتت الأدلة ظهرت البدع.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **الاستسلام لله والثقة به**: بأن يُسِّلم العبد نفسه لأوامر سيده، ويترك منازعته ثقةً به وحبًا، والاستسلام يقود بعد ذلك للتفويض والتوكل.

٢ ـ **الانقياد لله والمتابعة لرسوله** ﷺ: وهو فرعٌ عن الاستسلام بأن يذعن لله ويخضع له ولأوامره وأحكامه، ويعقد العزم على اتباع شرعه ودينه، ويلزم من ذلك اتباع الدليل على سنة النبي ﷺ.

٣ ـ **القبول**: يؤخذ من الحديث أمر المؤمن بقبول كل ما جاء من الله ورسوله ﷺ من الأخبار والأحكام.

٤ ـ **الخضوع والذل**: الحديث يربي المؤمن على الخضوع لله ولكلامه وكلام رسوله ﷺ، والاكتفاء بهما، وفيهما غُنية عمن سواهما.

٥ ـ **الإخلاص لله**: لقوله: «**أمرنا**» ففيه نسبة الأمر لله، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ففي ذلك تجريد القصد لله وحده بأن يكون المطلوب هو وجهه سبحانه دون ما سواه.

٦ ـ **المحاسبة**: الحديث يربي المؤمن محاسبة نفسه على طلب الدليل واتباعه محبة لله ولرسوله ﷺ، فإذا زادت محبة الله في القلب أصبح المؤمن مقتديًا في كل شؤونه بالنبي ﷺ حتى في أكله وشربه وجميع هديه.

٧ ـ **الاستقامة**: وهي السداد والإصابة في النيات والأقوال والأفعال؛ فمَن عمل عملًا عليه أمر الله فقد أصاب ومن ذلك أعمال القلب، وعلى هذا فليتنبه المؤمن إلى أن يكون إخلاصه وتوكله واستعانته ومحبته وخوفه موافقًا لأمر الله وأمر رسوله ﷺ.

٨ ـ **تعظيم الوحي**: بأن يكون تابعًا لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، مقدمًا لهما على غيرهما، ردًّا لما سواهما، يحملهما على أحسن الوجوه، ومن تأمل بعض الأمراض المعاصرة وجدها سببها ضعف تعظيم نصوص الوحي في القلب، ومن علامات التعظيم ألا يسلط على نصوص الوحيين الاعتراضات التي تضعفها، ولا الشهوة التي تكدرها.

٩ ـ **الخوف**: بأن يخاف المؤمن من رد أعماله، ويحسن الظن بربه بقبولها، ويتلمس أسباب الرد فيجتنبها، ومن ذلك مخالفة الدليل الرباني، والملاحظ أن الحديث لم يتعرض لمشقة العمل أو ضخامته وإنما جعل الاعتبار للدليل فقط، فمن عمل عملًا ليس عليه أمر الله فهو مردود ولو كان عمود الإسلام وسنامه.

١٠ ـ **المراقبة**: الحديث يربي المؤمن على مراقبة أفعاله وأقواله بأن يوقعها موافقة لأمر الله ﷻ؛ لعلمه باطلاع الله على ما في قلبه من إيمان وتقوى، ولا يكون ذلك إلا بأن يقع عملًا صالحًا صوابًا.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

ذكر في **الحديث** صفة الرد: فكل فعلٍ أو قولٍ ليس عليه أمر الله ورسوله ﷺ فالله يرده ولا يقبله؛ لأن الله لا يقبل إلا ما كان خالصًا صوابًا.

ويتضمن **الحديث** اسم الله وصفة **الألوهية**: فكل عملٍ يتعبد فيه لله يجب أن يكون على وفق أمر الله ودينه وشرعه، فإن الله شرع لنا شرعًا وأمرنا أن نتعبد من خلاله، فلم يترك تالهنا لله على اختيارنا؛ وإنما اقتضى كمال العبودية لنا أن يشرع لنا المنهج الذي نسير عليه في عبادتنا لله ﷻ.

ذكر النبي ﷺ أن كل أمرٍ ليس عليه أمر الله فهو مردود.

٦

الحديث السادس

عَــنِ النُّعمانِ بنِ بشــيرٍ رضي الله عنهما قال: سَــمِعتُ رَسُــولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ الحَلالَ بَيِّــنٌ وإنَّ الحَــرَامَ بَيِّــنٌ، وبَينَهُما أُمُورٌ مُشْــتَبهاتٌ، لا يَعْلَمُهنّ كثيرٌ مِــن النَّاسِ، فَمَن اتَّقى الشُّــبهاتِ اســتبرأ لِدينِهِ وعِرضِه، ومَنْ وَقَعَ في الشُّــبُهاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ، كالرَّاعي يَرعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَرتَعَ فيهِ، ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وإنَّ حِمَى اللهِ محارِمُهُ، ألا وإنَّ في الجَســدِ مُضغَــةً إذا صلَحَتْ صلَحَ الجَسَدُ كلُّه، وإذَا فَسَدَت فسَدَ الجَسَدُ كلُّه، ألا وهِيَ القَلبُ».

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ أن الأمور ثلاثة أقسام:

١ ـ الحلال البين الظاهر الواضح.

٢ ـ والحرام البين الظاهر الواضح.

٣ ـ وأمر مشتبه في حكمه هل هو حلال أم حرام؟ وهذا النوع يخفى على كثيرٍ من الناس، فمن ترك الشبهات؛ فقد طلب براءة نفسه وعرضه عند الناس بحيث لا يقولون: وقع فلانٌ في الحرام، فيستبيحون بذلك عرضه.

ثم ضرب النبي ﷺ مثلًا للذي يقع في الشـبهات؛ بأنه يشبه راعي يرعى حول حِمى ملِك، ثم مع الأيام تجاسـر ودخل في حِمى الملِك ورعت بغنمه في حِمى الملك، فيوشك أن يغضب عليه الملِك ويعاقبه، ولكل ملِك حمى يحميه عن رعيته يغضب إذا أُفسـد عليه؛ وكذلك الله له حِمى، وحماه هو المحارم.

ثم بيَّن النبي ﷺ منزلة القلب بأنه مضغة لحمٍ إذا صلحت صلح كل الجسد، وإذا فسدت فسد كل الجسد، فعلى العبد أن يهتم بقلبه ليصلح سائر جسده.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى**: دلَّ الحديث علـى أن ما أحله الله وحرمه واضحٌ بين لا لبس فيه، وهذا من آثار اسم الله المبين والظاهر.

• **الفائدة الثانية**: الحديث يدل علـى التفريق بين الحلال الخالص والحرام الخالص، وهذا من يسـر دين الله أن جعل أمور شرعه واضحة بينة لا يختلط حلالها بحرامها.

• **الفائدة الثالثة**: الحديث يدل على أن هناك أمورًا مشتبهة لا يعلمها كثير من الناس، فيجب الحذر منها.

• **الفائدة الرابعة**: فيه التحذير من ثقة الإنسان بعلمه، فإن الحلال قد يشبه بالحرام؛ ولهذا قال: «**لا يعلمهن كثير من الناس**».

• **الفائدة الخامسة**: فيه فضل العلم؛ حيث أن العالم تصبح الأشياء كلها عنده بينةٌ؛ لقوله: «**لا يعلمهن كثير من الناس**»، فذكر الناس يُخرج العلماء لأنهم يعلمون.



• **الفائدة السادسة:** دلَّ الحديث على أن من ترك الشبهات فقد برَّأ دينه من الهمز وعرضه من كلام الناس.

• **الفائدة السابعة:** براءة الدين من الخدش والعرض من الكلام والهمز واللمز أمرٌ مقصود من مقاصد الشريعة، فعلى المؤمن أن يحرص على سلامة دينه وعرضه.

• **الفائدة الثامنة:** دلَّ الحديث على أن ممارسة الشبهات يدنس النفس والعرض، والتدنيس يكون على قدر مماسة الشبهات ومواقعتها.

• **الفائدة التاسعة:** في الحديث دلالة على أن المكروهات والإصرار عليها يقود للمحرمات؛ لقوله: «**وقع في الحرام**»، فطريق كمال التقوى هو السلامة من المكروهات والمحرمات.

• **الفائدة العاشرة:** دلَّ على أن ضرب المثال من أساليب التعليم، فليحرص عليه المربي.

• **الفائدة الحادية عشرة:** دلَّ الحديث على أن الشريعة بينت جميع أمور الحياة الحلال والحرام والمشتبه، وذكرت أصل ذلك وهو القلب.

• **الفائدة الثانية عشرة:** في الحديث بيان سعة رحمة الله بعبادة بأن جعل دائرة الحلال أوسع من دائرة الحرام؛ فالمحرم هو فقط الحمى.

• **الفائدة الثالثة عشرة:** دلَّ على أن صلاح القلب يُصلح الجسد، وفساد القلب يُفسد الجسد.

• **الفائدة الرابعة عشرة:** دلَّ الحديث على أهمية القلب، وأنه ملكٌ والأعضاء الجنود، فتجب مراقبته، والعناية به؛ إذ بصالحه تصلح الجنود.

• **الفائدة الخامسة عشرة:** في الحديث دلالة على أن اتقاء الشبهات نابعٌ من صلاح القلب ولهذا ذكر القلب بعد ذكر الشبهات، فمَن أراد اتقاء الشبهات فليصلح قلبه.

• **الفائدة السادسة عشرة:** فيه أن الوقوع في الشبهات، ثم المحرمات نابعٌ من فساد القلب؛ إذ بفساده فسدت الجوارح فخالفت الأوامر وارتكبت النواهي.

• **الفائدة السابعة عشرة:** فيه أن براءة الدين أهم من الحرص على براءة العرض؛ ولهذا قدمت في الحديث فقال ﷺ: «**فقد استبرأ لدينه وعرضه**»؛ أي: أصبح بريئًا من نقص الديانة، ومن حرص على سلامة دينه حفظ الله عرضه وسمعته.

• **الفائدة الثامنة عشرة:** الحديث أصل في سد الذرائع، فينبغي للإنسان ترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، فالراعي الذي يرعى حول حِمى الملك يكاد أن يدخل الحمى ويستحق العقوبة لتهاونه؛ فكذلك المؤمن عليه أن يترك الشبهات لئلا يقع في المحرمات، ومن تأمل واقع الناس أدرك أن تساهلهم في المبالغة في المباحات، أو المكروهات أوقعهم في المحرمات.

• **الفائدة التاسعة عشرة:** يؤصل الحديث عند المؤمن باب الورع وهو ترك ما قد يضر في الآخرة؛ لقوله: «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**».

• **الفائدة العشرون:** في الحديث ضرب الأمثال ولله المثل الأعلى؛ لقوله: «**آلا إن لكل ملك حمى، آلا إن حمى الله محارمه**».

• **الفائدة الحادية والعشرون:** في الحديث قطع العذر على من أراد مخالفة أوامر الله؛ فالحلال البين يُعمل به، والحرام البين يجتنب، ومالم يكن واضحًا بينًا فإنه يُتقى ويُترك.

• **الفائدة الثانية والعشرون:** فيه أن للشـيطان خطـوات وتدرُّج في إيقاع المؤمن فـي الحرام، فيوقعه أولًا بالمبالغـة بفعل المباحات، ثم يوقعه بالمكروهات، ثم بالمحرمات.

• **الفائدة الثالثة والعشرون:** فيه التعظيم لشـأن المحرمات؛ لأنها حِمى الله ﷻ، وحمى الملك لا يسـمح لأحد أن يقـع فيه، فالواقع بالمحرمات منتهك لحِمى الله.

• **الفائدة الرابعة والعشرون:** فيـه أن صـلاح الباطن يؤدي لصلاح الظاهر، فصلاح القلب يُصلح الأعضاء.

• **الفائدة الخامسة والعشرون:** فـي الحديث دلالـة على أن القلب الوارد في نصوص الشـرع يراد به القلب العضوي الصنوبري الشكل؛ لقوله: «**آلا إن في الجسد مضغة**».

• **الفائدة السادسة والعشرون:** في الحديث تنويع أسـاليب التشويق في إيصال العلم؛ فالنبي ﷺ ضرب مثالًا، واستعمل أداة التوكيد: «إن» وأداة التنبيه: «ألا» ثلاث مرات.

• **الفائدة السابعة والعشرون:** ذكـر الراعي دون غيره؛ إشـارة لمنزلة العبودية والافتقار، فالراعي يوجد فيه معنى الذل والخضوع أكثر من غيره.

• **الفائدة الثامنة والعشرون:** ذكر الراعي أيضًا فيه إشارة إلى أن العبد مؤتمن على ما استرعاه سـيده عليه، والله هو السيد وقد استرعى العبد المؤمن على حرمات الله.



• **الفائدة التاسعة والعشرون:** الحديث يدل على المحرمات لها جواذب في النفس؛ فالراعي الذي رعى حول الحِمى أغراه جمال الأرض المحمية وخصوبتها، وغياب الرقيب عنها، وقلة السالك فيها، وكذلك المحرمات لها جواذب في النفس البشرية، فمن وُقي شر جواذب النفس والهوى فقد سَلِم.

• **الفائدة الثلاثون:** في الحديث دلالة على أن أكل الحلال والحرام والشبهات يؤثر على القلب، ولهذا ختم حديث الحلال والحرام بذكر القلب، فمن أراد رقة القلب فليأكل الحلال وليتق الشبهات، ومن وجد قسوة في قلبه وامتناعًا في جوارحه فليحاسب مطعمه ومشربه.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **الورع:** وهو ترك ما قد يضر في الآخرة، ويشمل أمرين:

• المحرمات ويدخل فيها مقدماتها من المكروهات.

• والشبهات ويدخل فيها مقدماتها من المبالغة في المباحات.

وليحذر المؤمن في زماننا من كثرة الشبهات والحيالات على التحليل، خاصة في المعاملات المالية.

٢ ـ **البصيرة:** وهو نورٌ يقذفه الله في القلب يرى به المؤمن حقيقة ما أخبرت به الرسل[١]، فيعرف الحلال والحرام، ويمايز بينهما، ومن أعمى الله بصيرته لا يعرف الحلال، ولم يميز بينه وبين الحرام، ولا يزال كذلك حتى يذهب نور قلبه.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٥٨.

٣ ـ **المحاسبة**: فالحديث يربي في المؤمن محاسبة نفسه على الحلال والحرام، وما التبس عليه أمره، فيفعل الحلال، ويجتنب الحرام، ويتقي ما اشتبه عليه.

٤ ـ **الفرار**: الحديث يربي في المؤمن الفرار إلى الله؛ فيفر من الحرام إلى الحلال البين، ومن الشبهات إلى التقوى، وبهذا فسر أهل العلم قوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠]؛ أي: فروا منه إليه واعملوا بطاعته.

٥ ـ **الخوف**: وهذا ظاهر في تخويف الراعي من أن يرتع في حِمى الملك، وكذلك المؤمن التقي يخاف من الوقوع في الشبهات المؤدية للحرام.

٦ ـ **الزهد**: وهو ترك مالا ينفع في الآخرة، فالحديث يربي المؤمن على الزهد في الحرام البين والمشتبهات، بحيث لا تتطلع نفسه لهما، وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الزُّهْدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

- الْأَوَّلُ: تَرْكُ الْحَرَامِ، وَهُوَ زُهْدُ الْعَوَامِّ.
- وَالثَّانِي: تَرْكُ الْفُضُولِ مِنَ الْحَلَالِ، وَهُوَ زُهْدُ الْخَوَاصِّ.
- وَالثَّالِثُ: تَرْكُ مَا يَشْغَلُ عَنِ اللهِ، وَهُوَ زُهْدُ الْعَارِفِينَ».

وعلَّق ابن القيم على هذا الكلام بقوله: «وَهَذَا الْكَلَامُ مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ الْمَشَايِخِ، مَعَ زِيَادَةِ تَفْصِيلِهِ وَتَبْيِينِ دَرَجَاتِهِ، وَهُوَ مِنْ أَجْمَعِ الْكَلَامِ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ رِضَى اللهِ عَنْهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى، وَقَدْ شَهِدَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِإِمَامَتِهِ فِي ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ أَحَدُهَا الزُّهْدُ»[١].

---

(١) تقريب مدراج السالكين، ص٢٥٣.

٧ ـ **تعظيم حرمات الله**: وهـــي كل ما يجـــب احترامـــه وحفظه من الحقوق والأشخاص والأزمنة والأماكن، المؤمن يطلب منه أمران:

أ ـ **أن يُعظِّم شعائر الله**: بـــأن يوفي ما شـــرعه الله وأوامره حقوقها وشروطها وسننها، فيبادر للطاعات، ويســـتعد لها، ويبذل لها من وقته وعمره، ويُجلها ويبجلها.

ب ـ **أن يعظم حرمات الله**: بأن يهـــاب منهيات الله، ولا يقربها، ولا يتهاون بكل وسيلة توصل لحرمات الله.

٨ ـ **الصبر**: بـــأن يحبس المؤمن نفســـه عن حِمـــى الملك، وألا يستجيب لجواذب النفس الأمارة التي تهون الحِمى في عينه، والصبر على ثلاثة أنواع:

أ ـ الصبر على الطاعات، ومنها فعل الحلال البين.

ب ـ الصبر عن المنهيات، ومنها ترك الحرام البين.

ج ـ الصبر عن المشتبهات التي يفعلها كثير من الناس.

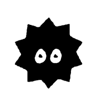
الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

ذكر في الحديث اسم الله، ولم يذكر اسم غيره صريحًا؛ ويمكن أن يستنبط بعض الأسماء الحسنى التي تضمنها الحديث، ومن ذلك:

١ ـ **المبين**: «اسم الفاعل من أبان يُبينُ فهو مُبين، إذا أظهر وبَيَّن إما قولًا، وإما فعلًا»[١]، فالله هو الذي يبين لعباده ما ينفعهم، وقد بيَّن لهم الحلال والحرام كما في الحديث.

---

(١) الثمر المجتبيى، ص١٢٢.



٢ ـ **العليم**: الذي وســع علمه كل شــيء، فيعلم الحلال والحرام، ويعلم ما التبس على كثير الناس من الشبهات كما في الحديث، وعلى هذا فالعلم بكشف الشبهات يطلب من الله العليم.

٣ ـ **الملك**: الذي يملك كل شــيء، وله ما في الســموات وما في الأرض وما بينهما، ومن مُلْك الله أن له حِمى وهي محارمه التي حرمها على عباده، فالله يغضب إذا انتهكت محارمه.

٧

الحديث السابع

عَـنْ تَمِيمٍ الـدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ، قَـالَ: «الـدِّيـنُ النَّصِيحَـةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِـهِ وَلِرَسُـولِـهِ وَلِأَئِمَّـةِ الْمُسْـلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

المعنى الإجمالي:

الحديث يتكلم عن النصيحة وهي: حيازة الخير للمنصوح له، والصدق مع المنصوح له، وكلام النبي ﷺ في هذا الحديث من جوامع الكلم بيَّن أن النصيحة عامة، لله ولرسوله ﷺ ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وبيانها كما يلي:

- **النصيحة لله**: بالقيام بأوامره، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، والتأله له وحده.

- **النصيحة لكتاب الله**: بالإيمان به، وأن الله تكلم به على الحقيقة، وتصديق أخباره ووعده ووعيده وقصصه، والتحاكم إليه.

- **النصيحة لرسوله ﷺ**: بالإيمان به، وتصديق رسالته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، والدفاع عن دينه.

- **النصيحة لأئمة المسلمين**: بطاعتهم في المعروف، وعدم الخروج عليهم، والصبر عليهم، ومعاونتهم فيما تجب المعونة فيه.

- **النصيحة لعامتهم**: بدعوتهم لله، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم وإرشادهم، وغير ذلك من سبل الخير.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى**: صيغة الحديث تدل على أهميته؛ لأنها صيغة حصر في قوله: «**الدين النصيحة**».

• **الفائدة الثانية**: في استعمال المربي أساليب التشويق كصيغ الحصر والاستفهام، والعلم الشرعي في الزمن المعاصر يحتاج لتنويع أساليب التشويق.

• **الفائدة الثالثة**: الحديث ينشر الأخوة بين المجتمع الإسلامي؛ حيث يقوم على التناصح فيما بينهم، والمجتمعات الإسلامية المعاصرة أحوج ما تكون للتناصح، وشرط ذلك الصدق مع الله.

• **الفائدة الرابعة**: بيَّن الحديث أن النصيحة في الدين عامة ولا تقتصر على بيان العيوب، وفي ذلك تصحيح للمفهوم الخاطئ للنصيحة.

• **الفائدة الخامسة**: شمل الحديث جميع ما يحيط بالشخص من علاقات: مع الله والرسول ﷺ، وتشمل العلاقة مع المخلوقين من ولاة أمره وعامة المسلمين؛ ولهذا الحديث من جوامع الكلم.

• **الفائدة السادسة**: الحديث يوجب الصدق في تعامل المسلم مع ربه والمخلوقين؛ لقوله: «**النصيحة**» وهذا مدلول النصيحة اللغوي.

• **الفائدة السابعة**: فيـــه إعطاء كل ذي حق حقه مـــن غير أن يطغى جانب على آخر؛ ومن الأزمات التي يعيشها المسلم المعاصر أزمة فقه أولويات الحقوق فيقع في ظلم الحقوق.

• **الفائدة الثامنة**: الحديث يطرد الغش عنـــد المؤمن بجميع صوره ودقائق تفاصيله، لأن هذا مقتضى النصيحة.

• **الفائدة التاسعة**: فـــي الحديث فقه ترتيـــب الأولويات حيث بدأ بالأهم فالمهم؛ لقوله: «**لله ولكتابه ولرســـوله ولأئمـــة**» فجعلها مرتبةً، والمؤمن مطالـــب بترتيـــب الحقوق، ومـــن الترتيب الغائـــب ترتيب العداوات، فالعدو الأول هو الشيطان ثم الكافرين ثم المنافقين وهكذا كل مَن خالف شرع الله فله نصيبٌ من العداوة على قدر مخالفته.

• **الفائدة العاشرة**: يدل الحديث على التناصح بين المســـلمين أمرٌ تعبدي، فيتعبـــدون لله ببذل النصيحة؛ ولهذا قال فـــي الحديث: «**الدين النصيحة**» فجعل النصيحة تدينًا.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **الإخلاص**: وذلك لأن الباعث على النصيحة هو إرادة وجه الله، والاستجابة للأمر الرباني في هذا الحديث، فعلى المؤمن أن يراجع نيته في جميع أعماله الظاهرة والباطنة بـــأن يكون مقصوده فيها ابتغاء وجه الله وحده، وعليه أن يحذر من التفاته لنفسه وإعجابه بها، أو أن يعتمد على حوله وقوته، كما عليه أن يطالع منة الله عليه في جميع الأعمال.

٢ ـ **الصدق**: الحديث يربـــي المؤمن على منزلـــة الصدق مع الله، فيجعله صادقًا فـــي تعامله مع ربه ونبيه الكريم ﷺ وأئمة المســـلمين

وعامتهم، «والصدق هو المنزلة التي تنشأ منها جميع منازل الدين»[١]، فعلى المؤمن أن يعتني به.

٣ ـ **العلم**: لأن الناصح لا بد أن يكون عالمًا بما ينصح به، كما أن النصيحة لكل نوعٌ مذكور في الحديث لها ضوابطها، فلا بد من تحصيل العلم ليقع النصح نافعًا، ومن نقص من هذه المنزلة فلابد أن يدخل النقص في نصحه، فالخوارج لما نقص علمهم بالمنصوح به أدخلوا في التكفير ما ليس منه، فكفروا بالكبائر، والمرجئة وغيرهم أخرجوا من النصح ما هو منه، فلم ينصحوا بالأعمال الإيمانية القلبية، ولم يجعلوها من الإيمان، وكل فرقة من الفرق يدخلها الخلل في النصيحة على قدر خللها في منزلة العلم.

٤ ـ **الاعتصام**: وهو التمسك بما يعصمك ويحميك، ومدار ذلك على الاعتصام بالله، والحديث يجعل أول أنواع النصيحة هي النصيحة لله، ومعناها: أن يستجيب المؤمن لدين الله، بتصديق أخباره، وفعل أوامره، واجتناب نواهيه، وهـذه هي درجة الاعتصام كما يقررها علماء السلوك[٢].

٥ ـ **الهمة**: وهي من أجل الأعمال القلبية، بأن تتعلق همة العبد وإرادته بالله ودينه وشرعه، لا تعيقه عن ذلك العوائق، ولا تقطعه القواطع، والحديث يربي المؤمن على بذل النصح لجميع جهات الحقوق عليه، ويكون ذلك بهمةٍ علية ترفعه عن التعلق بالدنيا، فإن الهمة تنقص على قدر تعلق العبد بالدنيا وبذله لها.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٤٠٣.

(٢) تقريب مدارج السالكين، ص٢١٥.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

في الحديث اسم الله:

وهو المألوه المعبود المتذلل له وحده، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف بـه من صفات الألوهيـة التي هي صفات الكمال، واللام في قوله: «لله» تفيـد الاختصاص، وهذا هو الإخلاص والصدق، واسم الله يدخل فيه بقية الأسماء الحسنى؛ لأنه الاسم العام، فيدخل السميع الذي يسـمع النصيحة، والبصير الذي يبصر النصيحة، والعليم الذي يعلم حقيقة النصيحة وغير ذلك من الأسماء الحسنى.

٨

الحديث الثامن

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُـــولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّـــي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ».

المعنى الإجمالي:

أُمر النبـــي ﷺ بالدعوة للتوحيـــد ومقاتلة الناس حتـــى يقروا بأنه لا معبود إلا الله وأن محمدًا هو نبيه ورسوله، ويؤدوا الصلاة المكتوبة، ويؤدوا الزكاة المفروضة عليهم في أموالهم، فإن استجاب الناس لذلك فإن دماءهـــم وأموالهم معصومة محفوظة إلا بدليل يبيحها، وحســـاب الناس على أعمالهم من الحسنات والســـيئات وكتابة ذلك فهذا كله لله هو الذي يحاسبهم.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى:** بيّن الحديث وظيفة الدعاة؛ وأنهم مبلغون عن الله، لقوله: «**أُمرت**» فهو مأمور بأمر ربه وليس من تلقاء نفسه.



• **الفائدة الثانية**: دلَّ الحديث على أن الجهاد إنما شُرِع لإقامة دين الله في الأرض؛ لقوله: «**حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**»، وحرف «حتى» يفيد الغاية.

• **الفائدة الثالثة**: في الحديث دلالة على أن الجهاد لن يتوقف شرعًا إلّا إذا دخل الناس جميعًا في دين الله، ولــه ضوابطه التي يذكرها أهل العلم في كتبهم.

• **الفائدة الرابعة**: فيه أن الحكم على الناس يكون على ظواهرهم؛ ولهذا عُلقت العصمة على النطق بالشهادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وكلها أفعال ظاهرة ولم يتعرض للنية بشــيء؛ وهذا من تيسير الشريعة على اتباعها.

• **الفائدة الخامسة**: فــي الحديــث أن النفــس والمــال أحــد الضروريات التي جاء الإســلام بحفظها؛ ولهذا قــال: «**فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم**».

• **الفائدة السادسة**: الحديث له أهميةٌ خاصة أيام الفتن، فإذا ادلهمت الفتن فليتمسك بهذا الحديث، فمن ظهر منه الإسلام قُبل منه وأرجعت نيته إلى الله وحسابه عند ربه.

• **الفائدة السابعة**: الحديث دليلٌ لمذهب أهل السنة والجماعة في أن الأعمال من الإيمــان، ولهذا من لم يأتِ بهذه الأعمــال أُمر بقتاله لفوات الإيمان في حقه.

• **الفائدة الثامنة**: الحديث دليل على أن لفظ الإســلام والإيمان إذا افترقا اجتمعا في المعنى، فالحديث يتكلم عن الأفعال الظاهرة التي هي الإسلام، ويدخل فيه الإيمان، فلا يكون مؤمنًا حتى يأتي بهذه الأعمال.

• الفائدة التاسعة: في الحديث عظمة الاعتداء على الأنفس والأموال؛ ولهذا نُص عليها في الحديث دون غيرها من الأمور، فقال: «**فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم**».

• الفائدة العاشرة: فيه أن الإسلام لا يسعى للسيادة والملك ومجرد الاستيلاء؛ وإنما غايته دخول الناس في دين الله.

• الفائدة الحادية عشرة: فيه إثبات الحساب؛ لقوله: «**وحسابهم على الله**»، فعلى المؤمن أن يستعد للقاء الله وحسابه.

• الفائدة الثانية عشرة: في الحديث إثبات صفة الحساب لله، ومنه اسم الله الحسيب، ومعناه: «العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق اعمالهم وجليلها»[١].

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ الاستجابة القلبية: يؤخذ من قوله: «**أُمرت**» أن يبادر المؤمن للاستجابة لله ولرسوله ﷺ، وأول الاستجابة تكون بالقلب، فإن بادر القلب بادرت الجوارح.

٢ ـ التسليم لله: بأن يكون المؤمن متبعًا لأوامر الله دون هوى النفس، فقوله: «**أُمرت**» دليل على أن العبد مأمور، والمأمور ينتظر الأوامر من سيده سبحانه.

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى للسعدي، ص٣٠.



٣ ـ **الإنابة والتوبة**: وتعني الرجوع لله وابتغاء مرضاته؛ لقوله: «**حتى يشــهدوا أن لا إله إلا الله**»، وتتضمــن الإنابة: محبــة الله والخضوع له والإقبال عليه والإعراض عما ســواه[1]، ولفظ الإنابة يقتضي الإســراع والرجوع والتقدم، والإنابة والتوبة يحتاجهما المؤمن وغيره؛ ولا يقومان بالشــخص حتى يكون عنده يقظةٌ من الغفلة التي هــو فيها، فعلينا أن نبادر بالرجوع لمرضاة الله.

٤ ـ **الإرادة**: وهي نهوض القلب في طلب مرضاة الله، فالحديث يأمر العبد أن تكون همته وإرادته جعل كلمــة الله هي العليا؛ لا مراد له غير ذلك، وبهذا يتخلص من دواعي الشــهوات، وينهــض من عادة الغفلة التي استحكمت على القلوب، فجعلت الإنسان يأخذ ويعطي بناءً على مصالح لهواه ولنفسه دون تحقيق لإعلاء كلمة الله.

٥ ـ **المحاسبة**: لقوله في الحديث: «**وحســابهم على الله**» فالإيمان بحساب الله يورث المؤمن حساب النفس على أفعاله وأقواله أن تكون موافقةً لشرع الله؛ فإن العبد سيحاسبه الله وسيجازيه الله.

٦ ـ **شروط الشهادتين**: وكلها أعمال قلبية، وهي:

العلم واليقيــن والقبول والانقيادُ والإخــلاص والصدق والمحبة؛ لقوله: «**يشهدوا أن لا إله إلا الله**» فالشهادة لا تسمى شهادةً حتى تجمع هذه الشروط القلبية.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص١٨٩.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

يرتبط بالحديث بعض الأسماء الحسنى والصفات العليا لله سبحانه، ومنها:

ـ **صفة الأمر**: لقوله: «**أُمرت**»، فالله هو الذي له الأمر والنهي، وليس لأحد سواه، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ومقتضى هذه الصفة أن يستجيب العبد لأوامر سيده سبحانه.

ومن الأسماء الحسنى:

١ ـ **الله**: بأن يكون الله هو المألوه المعبود المتذلل له، المخضوع له سبحانه، فيبذل له الحب والخوف والرجاء؛ لقوله: «**أن لا إله إلا الله**».

٢ ـ **الحسيب**: ومعناه في الحديث المجازي لعباده على أعمالهم، ولازم ذلك علمه وإحاطته وإحصاؤه لأعمال المخلوقات، فسبحانه من إلهٍ عظيم.

٩

الحديث التاسع

عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سـمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ».

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ بـأن ما نهانا عنه فيجب علينـا أن نجتنبه كله؛ لأن النهي لما كان سهلًا أُمر باجتنابه كله، ثم أمرنا أن نأتي بما استطعنا من الأوامر؛ لأن الفعل قد يشـق على الفاعل، أو تحـول بينه وبينه موانع تمنع، ثم بيَّن النبي ﷺ أنه إنما أهلك الأمم السابقة كثرة الأسئلة التي يُقصد بها التشـقيق، أو بما لا يُحتاج إليه، أو غيـر ذلك مما يُضعف العمل بالأمر الرباني.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى:** في الحديث دلالة على حفظ الشـريعة لأفرادها؛ حيث أن الله لم ينه إلّا عما فيه مضرة لاتباعه.

• **الفائدة الثانية**: فيه يُسـر الشريعة؛ حيث فرَّقت بين المأمورات والمنهيات؛ ففي المأمورات أمر بأن يأتي الإنسان ما يستطيعه؛ لأن الأوامر قد تحول دونها عوائق.

• **الفائدة الثالثة**: دلَّ علـى أن دائـرة المنهيـات في الشـريعة الإسلامية أقلُّ من الأوامر؛ ولذلك أمرنا باجتنابها جميعها.

• **الفائدة الرابعة**: فيـه أن الجدال في دين الله، وكثرة الأسـئلة التعنتية، وترك العمل تُورث الهلاك؛ ولهذا قـال: «**فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة أسئلتكم**».

• **الفائدة الخامسة**: فيه شـرف هـذه الأمة علـى غيرها؛ لأنها استسلمت لأوامر الله ولم تخاصم نبيها عليه السلام.

• **الفائدة السادسة**: فيـه النهي عن كثرة الأسـئلة التي لا تورث العمل.

• **الفائدة السابعة**: يدل على مَن كَثُرَ كلامه قلَّ عمله؛ ولهذا نُهي عن كثرة الأسئلة لأن كثرتها يُؤثر على العمل.

• **الفائدة الثامنة**: فيـه ذم الاختـلاف خاصة فـي الدين؛ لقوله: «**واختلافهم على أنبيائهم**».

• **الفائدة التاسعة**: الأصل فعل العبد ما يستطيع من الأوامر سواءً أمر استحباب أو إيجاب؛ لقوله: «**فأتوا منه ما استطعتم**».

• **الفائدة العاشرة**: الحديث يربي في النفس تعظيم حرمات الله؛ لأنه نهى عن جميع المنهيات.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **التصديق**: فالمؤمـن يصـدق بأوامر الله ونواهيـه، ولا يقابلها بالجدال والمراء.

٢ ـ **الاستسلام والتسليم**: فالمؤمن عليه أن يستسـلم لأوامر الله ونواهيه، فيأتي من أوامر الله بما يستطيع لكثرتها ولتنوعها، ويجتب نواهي الله.

ومن الحديث يؤخذ التحذير من أحد أمراض القلوب وهو:

مرض الاختلاف على أحكام الدين: لقوله في الحديث: «**فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة أسئلتهم واختلافهم على أنبيائهم**»، والاختلاف على الأنبياء ـ بعد مماتهم ـ يكون بمعارضة كلامهم بأحد أمرين:

- **إما شبهات**: كمعارضة دليل الوحي، أو اتباع رخصة، أو أن يحمل نص الوحي على علةٍ تضعف العمل به.
- **أو شهوات**: كاتباع شهوات النفس التي تخالف الأوامر الربانية.

وعلاجهما يكون: بالإيمـان والتقوى، فالإيمان يعالج الشـبهات، والتقوى تعالج الشهوات.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الملك والحكم والحكيم**: الذي له الملك كله، والحكم كله، فهو الذي إذا نهى عن شـيء يجـب تركه، وعدم قربانـه، وإذا أمر بشـيء يجب طاعته، وكل ذلك أحكامه وشـرعه، ويقتضي الطاعة والتسليم والقبول.



٢ ـ **الحق**: فالله هو الحق المبين، فأوامره حقٌّ، ونواهيه حقٌّ؛ ولهذا إذا أمر بأمر فحقه الفعل، وإذا نهى عن شـــيءٍ فحقــه الترك، ومن آثار ذلك على المؤمن: ثقته بربه ودينه، التزامه الحق في كل شــؤونه لأن سيده حقٌّ ويحب الحقَّ.

١٠

الحديث العاشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ أن الله طيبٌ في ذاته وصفاته؛ ولذلك فهو لا يقبل إلا طيبًا من أقوال العباد وأفعالهم، وبيَّن النبي ﷺ أن الله خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين من التكاليف، وبيَّن أيضًا أن الكسب الحرام يمنع استجابة الدعاء؛ وذكر أن الرجل يطيل السفر، ويرفع يديه إلى السماء، ويُلِحُ على الله في الدعاء، ومع هذا لا يستجاب دعاؤه؛ لأنه فعل مانعًا من موانع استجابة الدعاء؛ وهو الكسب الحرام، فكيف يُستجاب له.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى:** في الحديث إثبات اسم الله الطيب في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو الطاهر المقدس المنزه عن النقائص والعيوب، ومنه صفة **الطِّيْب لله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

• **الفائدة الثانية:** فيه دلالة على العناية بالأقوال والأفعال وإزالة كل ما يشوبها ويشينها حتى تكون طيبةً، وأن هذا من مقاصد الشريعة.

• **الفائدة الثالثة:** فيــه أكل الحلال، وقد تواتر عن الســلف أن أكل الحلال يؤثر على رقة القلب.

• **الفائدة الرابعة:** دلَّ الحديث على أن أكل الحلال يعين على عمل الصالحات ولهذا قرن الله بينهما في الآية.

• **الفائدة الخامسة:** في الحديث أن أكل الحــلال يعين على إجابة الدعاء كما يفهم من الحديث؛ لأنه ربط بينهما.

• **الفائدة السادسة:** دلَّ علــى أن أكل الحــرام يمنــع إجابة الدعاء؛ لقوله: «**فأنى يستجاب له**».

• **الفائدة السابعة:** فيه أن السفر ومشقته، مظنة إجابة الدعاء؛ لوقوع الانكسار والذل لله؛ وذكر في الحديث: «**الرجل يطيل السفر**».

• **الفائدة الثامنة:** فيه أن صدق الالتجاء والإلحاح والفاقة تؤثر على استجابة الدعاء؛ لقوله: «**يا رب يا رب**».

• **الفائدة التاسعة:** فيه إثبات العلو لله ســبحانه؛ لقوله: «**يرفع يديه إلى السماء**».

• **الفائدة العاشرة**: فيه أن من سنن الدعاء تكرار ألفاظ النداء؛ لقوله: «**يا رب يا رب**».

• **الفائدة الحادية عشرة**: دلَّ على أن أكل الحرام يورث التمادي فيه، فمن أكل واستمر فسيكون ملبسه حرام ومشربه حرام وسيتغذى بالحرام؛ وهذا من خطوات الشيطان في إغواء العبد المؤمن.

• **الفائدة الثانية عشرة**: الحديث يدل على أن شكر النعم يكون بعمل الصالحات؛ لقوله: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] فقرن بين الأكل والعمل.

• **الفائدة الثالثة عشر**: ذكر في الحديث أربعة أمور تؤثر في استجابة الدعاء: «السفر، والتبذل في اللباس والهيئة من غير تكلف، ورفع اليدين، والإلحاح».

• **الفائدة الرابعة عشر**: فيه أن كمال الإنسان في الإيمان لا يسقط التكاليف وترك الأعمال؛ بل يوجب الاجتهاد في العمل ولذلك أمر الله المرسلين أمرهم بالعمل فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١].

• **الفائدة الخامسة عشر**: فيه أنه من غنى الله عن الناس أنه لا يتقبل إلّا ما كان طيبًا طاهرًا.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **طيب القلب**: بيَّن الحديث أن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، ومن ذلك القلب الطيب الطاهر عن نقائص الشرك والبدعة والإصرار على الخطايا والذنوب، فالله يقبل هذا القلب، وهذا حثٌ على تطييب القلوب.

٢ ـ **التعلق بالله**: «ذكر الرجل يطيل السـفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السـماء، يا رب! يا رب!» هذا مثال على رجل مسافر مغترب، قد أنهكه السفر، ومع هذا لا زال متعلقًا بربه يدعوه ويأمله، والعجيب أن هذا الرجل مخالف لربه عاصٍ لأمره، لكنه حينما ضاقت به الأمور مد يديه إلى السـماء؛ لحضور الله في قلبـه، ولو حضر الله فـي قلبه في المطعم والمشـرب كما حضر في الضراء والسفر لاستجاب لأقلع عن معاصي المطعم والمشرب.

٣ ـ **الاستجابة لله والاتباع لرسوله ﷺ**: أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسـلين من أكل الطيبات والعمل الصالح، فالمؤمن يستجيب على قدر حضور الإيمان في قلبه.

٤ ـ **الشكر**: لقوله: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢]، «وَالشُّـكْرُ مَبْنِيٌ عَلَى خَمْسِ قَوَاعِدَ: خُضُوعُ الشَّاكِرِ لِلْمَشْكُورِ، وَحُبُّهُ لَهُ، وَاعْتِرَافُهُ بِنِعْمَتِهِ، وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِهَا، وَأَنْ لَا يَسْـتَعْمِلَهَا فِيمَا يَكْرَهُ»[1]، والملاحظ أن القلب يتعلق به ثلاث قواعد من هذه الخمس، مما يدل على أهمية الشكر بالقلب.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

ورد في الحديث عدة أسماء لله، ومنها:

١ ـ **الطيب** وهو: المنزه عن النقائص والعيوب، فالله طيبٌ «وأفعاله طيبةٌ، وصفاته أطيب شيء، ولا يصعد إليه إلا طيب، ولا يقرب منه إلا طيب، فكله طيب»[2].

---

(١) مدارج السالكين ٢/٢٣٤.

(٢) الكلام على مسألة السماع، ص٢٠٨.

لا يقبل إلا طيبًا من الأقوال والأفعـــال، والمؤمن عليه أن يتعبد لله على ضوء هذا الاسم، ومن ذلك:

- محبة الله الطيب، ومحبة أفعاله وأقواله وشرعه ودينه.
- تطييب النيات والأفعال والأقوال.
- محبة ما طيَّبه الله مـــن مخلوقاته، كالرســـل والأنبياء والملائكة، وما طيبه الله من مخلوقاته كالطيب والعسل وزمزم والمطر.

٢ ـ الرب: وهـــو المربي جميع عبـــاده بالتدبير وأصنـــاف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم، وبهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة[1]، والمؤمن عليه أن يتعبد لله بهذا الاسم من خلال ما يلي:

- شكر الله على تربيته شكرًا بالقلب واللسان والجوارح.
- دعاء الله بأن يربي القلب بأعمال القلوب.
- تعظيمه بالإجلال والإكرام إذ يشهد بقلبه ربوبية الله على كل شيء.

---

(١) تفسير السعدي، ٥/٦٢٠.

١١

الحديث الحادي عشر

عن أبي محمد الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما قال: حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»، رواه النسائي والترمذي وقال: حسن صحيح.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: الحديث أصل في ترك الشبهات والورع.
- **الفائدة الثانية**: دلَّ على أن الحلال المحض لا يجوز تركه ورعًا؛ لأنه لا ريبة فيه.
- **الفائدة الثالثة**: فيه أن الحرام المحض يجب تركه من باب أولى؛ لأن حرمته لا ريب فيها بل يقين.
- **الفائدة الرابعة**: الحديث يربي المؤمن على ترك الريب ومواطن الشبه.
- **الفائدة الخامسة**: فيه أن المؤمن التقي لا يرتاح ويطمئن إلّا إلى الحلال المحض؛ وغير الحلال يُسبب له ريبةً.



• **الفائدة السادسة:** الحديث قاعــدةٌ فيمن احتار بين أمرين أحدهما شاكٌ فيه والآخر متيقنٌ منه، فإنه يترك ما فيه شك ويفعل اليقين.

• **الفائدة السابعة:** الحديث عامٌ في كل ما يصيب المســلم، فيشمل عبادات المؤمن وعاداته.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **الورع:** وهو ترك ما قد يضر بالآخرة، والورع يقوم على الترك، وهو المقصود فــي الحديث بقــول: «دع»، وأوجــب ما يتورع عنه المؤمن فعــل الحرام الظاهــر والباطن، ثــم المكروهــات الظاهرة والباطنة، ثم فضــول المباحات والملهيات، ومــن الخلل أن يتورع المؤمن عن بعــض الدقائق وهو والغٌ في كبائــر القلوب وأمراضها، وهذا من خطوات الشيطان.

٢ ـ **الخوف وتعظيم حرمات الله:** وهما السببان الباعثان على الورع؛ فإن المؤمن يترك ما يرتــاب به مع وجود داعي النفس لخوفه وشــدة تعظيمــه لله، إذ لو خلا القلب عــن تعظيم الله لما تــرك العبد ما تهواه نفسه، وتدعوه إليه.

١٢

الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» حديث رواه الترمذي وغيره هكذا.

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ أن تـرك المؤمن ما لا يعنيه من الـكلام والأفعال يُحسِّـن إيمانه، لأنه يُعَوِّد المؤمن على شـغل وقته بما ينفعه في دينه ودنياه، كما أن مفهوم الحديث يدل على أن من انشغل بما لا يعنيه من شؤون غيره عاد ذلك على وقته بالضياع، وعلى قلبه بالفساد.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: يدل الحديث على تفاوت الناس في الإسلام، فمن حسن إلى أحسن وهكذا؛ لقوله: «**من حسن**» وهي صيغة تفضيل.
- **الفائدة الثانية**: فيه حثٌّ للمؤمن أن يزيد إيمانه حتى يصل للحُسن.
- **الفائدة الثالثة**: فيه حفـظ لخصوصيـات الغير وقطـع التطلـع لشؤون غيره.

• الفائدة الرابعة: دلَّ على انشغال الإنسان بنفسه وما يعنيها، وإصلاحها وترك شؤون الناس؛ لقوله: «**ترك ما لا يعنيه**».

• الفائدة الخامسة: فيه تربيةٌ على علو الهمة؛ لقوله: «**من حسن إسلام المرء**» لأنه يأمر المؤمن بأحسن المقامات في الإيمان.

• الفائدة السادسة: الحرص على ما فيه فائدة وترك ما لا فائدة؛ لأنه لا يعنيه وضياع للعمر.

• الفائدة السابعة: الحديث عامٌ يشمل كل ما لا يعني المرء من الأقوال والأفعال؛ لعموم قوله: «**ترك ما لا يعنيه**».

• الفائدة الثامنة: فيه تربية للمسلم على حفظ وقته، لئلا يضيع بتتبع ما لا يعنيه.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ توحيد القصد: بأن يجمع قصده وإرادته وهمه على ربه، ومن وسائل ذلك أن يترك مالا يعنيه، وينشغل بما يعنيه من أمر دنياه وآخرته.

٢ ـ الزهد: من أنواع الزهد أن يزهد العبد بما لا يعنيه، وفي هذا حفظٌ لقلبه ووقته وعمره، فإن تتبع ما لا يعني يفسد الوقت والقلب، وعلماء السلوك يجعلون تضييع الوقت يطفئ نور المراقبة.

٣ ـ الورع: لأن الترك المذكور في الحديث «**يَعُمُّ مَا لَا يَعْنِي مِنَ الْكَلَامِ، وَالنَّظَرِ، وَالِاسْتِمَاعِ، وَالْبَطْشِ**»[1]، فكل ذلك ينبغي تركه ليحسن إسلام المرء.

---

(١) مدارج السالكين، ٢/٢٣.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **العليم والحكيم والبصير وفروعها**: فإن الله وسع علمه بكل شيء، فما تراه من أحداث وأقوال وأفعال، فإنه بتدبير ربٍ عليم حكيم، بصيرٍ بالأمور، ويضعها في مواضعها اللائقة بها، فإن تتبعت ما لا يعنيك فقد ترى ما لا صبر لك عنه والله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وقد تشاهد ما يدخل على قلبك حسرةً وهمًا، وعلاج ذلك كله ترك ما لا يعني، ومن آثار هذا الاسم على العبد المؤمن: الثقة بالله، والسكينة به، والاطمئنان إليه، وتجريد الاعتماد عليه.

٢ ـ **الرب والحكيم**: وهو الذي يربي مخلوقاته، ويقوم على شؤونها، ويدبر أمورها، فما لا يعينك من الأمور له ربٌ يدبره، ويصرفه كيفما يشاء، وله حكمةٌ يقوم بها، فالله خلقك لعبادته والتعلق به، وطلب رضاه في أيام عمرك، ومن عوائق ذلك انشغالك بما لا يعنيك، ومن آثار هذا الاسم على المؤمن: إرجاعه الأمور لربه، وثقته به، واعتماده عليه، وتضرعه إليه وطلبه ودعاؤه؛ لأنه ربه الذي يربيه، وطمأنينته بأقداره؛ لأنه الحكيم الذي له الحكمة كلها.

٣ ـ **السلام**: فالله هو السلام ومنه السلام والسلامة، وجعل شرعه ودينه وأحكامه كلها سلام، وسمَّى دينه الإسلام، وجنته دار السلام، وهو يحب السلام، ولهذا نهى عن تتبع ما لا يعني عبده؛ إذ لا يجلب له ذلك السلام غالبًا، ومن آثار هذا الاسم على المؤمن: سكينته، وتحقيقه السلام، وبذله للسلام قولًا وفعلًا، وطلب السلامة من ربه السلام.

١٣

الحديث الثالث عشر

عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِـــنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، رواه البخاري ومسلم.

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ أن المؤمن لن يبلغ كمال الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من خيري الدنيا والدين، وهذا ضابط يقيس به المؤمن محبته لإخوانه المؤمنين.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: فــي الحديث نفي كمــال الإيمان عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

- **الفائدة الثانية**: الحديث يربي على الأخوة الحقه بين المسلمين؛ لقوله «**أخيه**».

- **الفائدة الثالثة**: فيــه أن محبــة الخيــر للغير مــن علامات كمال الإيمان؛ لقوله: «**لا يؤمن**».

• **الفائدة الرابعة**: يــدل بمفهومــه على أن تمني الضُّر للمســلمين علامة نقصٍ في الإيمان.

• **الفائدة الخامسة**: فيه أن علاج الحسد أن يحب الواحد لغيره من الخير ما يحب لنفسه.

• **الفائدة السادسة**: يدل على أن تمني الخير للنفس من طبيعة النفس ولا حرج فيه.

• **الفائدة السابعة**: فيه أن محبة الخير للغير يجب اســتمرارها طيلة الحياة؛ لصيغة المضارع في قوله: «**يحب**».

• **الفائدة الثامنة**: الحديث يشــمل جميــع المؤمنين حتى من بينك وبينه عداوة.

• **الفائدة التاسعة**: الحديث دليلٌ لمذهب أهل الســنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص؛ لقوله: «**لا يؤمن أحدكم**».

• **الفائدة العاشرة**: فيــه أن النفــي يأتي على نوعيــن: نفيٌ لأصل الشيء، ونفيٌ لكماله، وينظر للسياق وللقرائن الأخرى للترجيح، وهذا من فقه النصوص الشرعية.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **المحبة**: ويقصد بها محبة الله وحبة ما يحبه الله، والله يحب ـ كما في الحديث ـ أن يحب المؤمن أخاه، وعليــه فينبغي أن يكون الدافع لمحبــة المؤمنين هو أن الله يحــب ذلك، وهذا مــن تجريد القصد لله وإخلاص الحب له.



٢ ـ **الإيثار**: وهو أن تقدم غيرك على مصلحة نفسك، والحديث وإن كان ليس خاصًا في الإيثار إلا أن محبتك لغيرك من المؤمنين كما تحب لنفسك نوعٌ من الإيثار، فإن النفس مجبولة على تقديم حالها على غيرها، ومن أحب لغيره من المؤمنين ما يحب لنفسه هان عليه الإيثار، فالإيثار أصله في القلب، وأساسه عدم تقديم النفس وإعزازها.

٣ ـ **التواضع**: قال ابن القيم مبينًا حقيقة التواضع مما يشهد لحديث الباب: «إِذَا كَانَ اللهُ قَدْ رَضِيَ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ لِنَفْسِهِ عَبْدًا، أَفَلَا تَرْضَى أَنْتَ بِهِ أَخًا؟ فَعَدَمُ رِضَاكَ بِهِ أَخًا ـ وَقَدْ رَضِيَهُ سَيِّدُكَ الَّذِي أَنْتَ عَبْدُهُ عَبْدًا لِنَفْسِهِ ـ عَيْنُ الْكِبْرِ، وَأَيُّ قَبِيحٍ أَقْبَحُ مِنْ تَكَبُّرِ الْعَبْدِ عَلَى عَبْدٍ مِثْلِهِ، لَا يَرْضَى بِأُخُوَّتِهِ، وَسَيِّدُهُ رَاضٍ بِعُبُودِيَّتِهِ؟»[١].

٤ ـ **المراقبة**: وهي دوام الملاحظة، وقد ذكر الحديث ضابطًا لكمال الإيمان؛ وهو أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وبهذا تستطيع أن تراقب كمال إيمانك من عدمه، وهذا أحد مهام المؤمن الجليلة.

٥ ـ **الزهد**: ومن أنواعه أن تزهد بتقديم نفسك على غيرك، وهو عين ما ذُكر في الحديث، ولعله أصعب الأنواع فقد يسهل على العبد الزهد في الحرام بينما يصعب الزهد في حظوظ نفسه لصعوبة تخليص النفس من حظوظها التي تتعارض مع أعمال القلب.

---

(١) تقريب المدارج، ٤٤٩.



الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ المؤمن: الذي يُؤَمِّنُ عبـــاده ويهبهم الأمن والإيمان والتصديق، فالإيمان من عنده سبحانه، وفي حديث الباب أنه يعطي الإيمان الكامل لمن يُحِبُ لأخيه ما يُحِب لنفسه، وذلك لأن المؤمنين متحابون في الله، كما أن المؤمن لكمال عبوديته لربه فهو يُحِبُ ما يحبه مولاه، ولا يجعل محبته تبعًا لشهوات نفســـه، ومن آثار هذا الاسم على المؤمن: الافتقار إليه، والرغبة إليه، والأمن به دون غيره، ومحبة المؤمنين.

٢ ـ الودود: وهو الذي يُحب عباده، ويضع المحبة في قلوب عباده، فهو محبوب لهم وحابٌ لهم، ومن مودته أمر بمحبة المؤمنين بعضهم لبعض، وجعل الإيمان الكامل لمن يحب لأخيه ما يحبه لنفســـه، وهذا يزيد مـــن التحاب بين المؤمنيـــن، ومن محبة الله لهـــم، ومن آثار هذا الاسم: محبته سبحانه، ومحبة ما يحبه الله، وتجريد المحبة عن شهوات النفس.

٣ ـ الواسع والغني: فمن ســـعة الله وغناه أنه إذا أعطى عباده جميعًا فلن ينقص مما عنده شـــيء، ولهذا أمر بمحبة الخير للمؤمنين، فلو أن الله تكرم وأعطى جميع المؤمنين ما تحبه أنت لنفسك فلن ينقص ذلك مما عند الله، ولن ينقص ما عندك من الخير.

١٤

الحديث الرابع عشر

عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنْ رَسُـولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ، النَّفْـسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّـبُ الزَّانِي، وَالتَّـارِكُ دِينَهُ الْمُفَارِقُ» رواه البخاري ومسلم.

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ أن دم المسلم لا يحل انتهاكه إلا بإحدى ثلاثة أمور:

- أن يزني وقد أحصن الله فرجه بالنكاح الصحيح.
- أن يقتل نفسًا معصومة.
- من ارتد عن دينه وبدَّل دين الإسلام.

وهذا حرصٌ من الشرع على حفظ الدماء وأمنها وعدم انتهاكها.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى:** دلَّ الحديث على أن الأصل عصمة دم المسلم.
- **الفائدة الثانية:** فيه أن دم المسلم لا يباح بالشبهات، بل لا بد من يقين كامل؛ ولهذا ابتدأ الحديث بالنفي «لا يحل».

• **الفائدة الثالثة**: فيه أن الثلاثة التي تبيح الدم: الزنا بعد إحصان، وقتل النفس، والردة.

• **الفائدة الرابعة**: فيه بيان عظم هذه الذنوب على وجه الخصوص إذ أبيح لأجلها الدم، فالشيطان يجلب بخيله ورجله على المؤمن ليوقعه فيها لعلمه بأنها عظمية الشأن.

• **الفائدة الخامسة**: دلَّ على أن الدين يأمر بالجماعة وينهى عن الفرقة؛ لقوله: «**التارك لدينه المفارق للجماعة**» فنص على الجماعة.

• **الفائدة السادسة**: الحديث ذكرت فيه ثلاث من الضروريات الخمس:

أ ـ حفظ الأعراض؛ لقوله: «**الثيب الزاني**»؛ حيث شرعت هذه العقوبة حفظًا للأعراض.

ب ـ حفظ النفس؛ لقوله: «**النفس بالنفس**»؛ حيث شرعت هذه العقوبة حفظًا للأنفس.

ج ـ حفظ الدين؛ لقوله: «**التارك لدينه**»؛ حيث شرعت هذه العقوبة حفظًا للدين.

• **الفائدة السابعة**: فيه حفظ المجتمع من الفساد المتعدي.

• **الفائدة الثامنة**: فيه أن صيغة الاستثناء لا تعني الحصر المطلق؛ فالحديث حصر حل دم المسلم بإحدى ثلاث، ومع هذا ورد في الشريعة غير هذه الثلاثة، ومن ذلك: اللواط، والساحر، وقتل شارب الخمر في المرة الرابعة وغير ذلك.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **تعظيم الحرمات**: لقوله: «**لا يحل**»، والحرمات التي دلَّ عليها الحديث هي: حرمة الدم؛ لأن النفس ملكٌ لله سبحانه وخلقٌ له فلا تُراق إلا بحكمه.

٢ ـ **الغيرة**: وهي الغضب للمحبوب، وهي من خصائص النفس العالية التقية الزاكية،

ومن أنواع الغيرة أن يغار المؤمن على حرمات الله، وغيرة المؤمن لربه نوعان:

- غيرةٌ من نفسه: أن لا يجعل شيئًا من أعماله وأقواله وأحواله وأوقاته وأنفاسه لغير به.
- غيرةٌ من غيره: بأن يغضب لمحارمه إذا انتهكها المنتهكون، وهي المقصودة في حديث الباب، فيغضب المؤمن غضبًا لله على فاحشة الزنا وقتل النفس والردة.

٣ ـ **الخوف**: بأن يخاف من استحلال دم المسلم بغير ما ورد في النفس؛ لأن منزلة النفس عند الله عالية، وقد جاءت أحاديث الوعيد في تعظيم أمر الدماء.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الملك والحكم والحكيم**: فالله هو مالك كل شيء، وهو الحاكم لكل شيء، والحُكم حكمه، والأمر أمره، فهو الذي يُحرِّم دم الإنسان متى شاء، ويبيحه متى شاء كما في حديث الباب، وقد سبق الكلام على هذا الاسم وآثاره.



٢ ـ السلام: فالله هو السلام، ودينه كله سلام، ويأمر بالسلام، فحرَّم سـبحانه إزهاق النفس إلا حال هذه الثلاثة أفعـال، ويُحرِّم كل ما من شـأنه الإخلال بالسـلام، وجعل دينه هو السلام، والسـلام على قدر الإسلام، فمن أخذ الإسلام فقد أخذ بحظٍ من السلام.

١٥

الحديث الخامس عشر

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَـنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْـرًا أَو لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، ومَـنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليَـومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ». رواه البخاري ومسلم.

المعنى الإجمالي:

بيَّن النبي ﷺ في هذا الحديث جملة من الآداب الشرعية، وهي:

- قول الخير والسكوت عن الشر.
- إكرام الجار ويشمل صورًا عديدة منها:

السلام، والإحسـان، والبذل، والتقدير، والاحترام، وحفظ غيبته، وسـتر عورته، والنصح وعدم أذيتـه، والزيارة، والعفو، والمشـي في حاجته، وإدخال السرور عليه، والقيام بواجبه، وغير ذلك، فكلها دخلت في كلمة «إكرام».

ـ إكرام الضيف ويشـمل: إيناسـه وإطعامه والقيـام على حوائجه ودلالته وغير ذلك.

فالحديث من حقوق المسلمين فيما بينهم، وبه يتميز المجتمع الإسلامي عن المجتمعات التي تنتشر فيها الأنانية وحب الذات.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: الحديث دليلٌ لأهل السنة بأن الأعمال من الإيمان؛ لربطه بين الأعمال مع الإيمان بالله واليوم الآخر.

- **الفائدة الثانية**: فيه أن المؤمن إما أن يتكلم بخير، أو يصمت عن لغوٍ وباطل.

- **الفائدة الثالثة**: فيه أن العبودية لله تشمل الكلام والسكوت، فمتى كان الفعل يرضي الله فهو العبادة.

- **الفائدة الرابعة**: الحديث دليلٌ على وجوب حفظ اللسان عن الحرام وكل ما لا فائدة فيه.

- **الفائدة الخامسة**: فيه أن قول الخير أو الصمت عن الشر وإكرام الجار والضيف من الإيمان.

- **الفائدة السادسة**: دلَّ على أن الإسلام يحارب البخل ولذلك كُررت كلمة «فليكرم» مرتين.

- **الفائدة السابعة**: فيه سعة الإسلام؛ لقوله: «**فليكرم**» ولم يحدد شيئًا معينًا ليتفاضل الناس في ذلك.

- **الفائدة الثامنة**: فيه أن الإسلام يقوي الروابط بين أهله وأتباعه، فرابطة أخوة الإسلام، ثم القرابة والنسب، ثم الجار، ثم الضيافة، ولهذا فإن الشياطين تسعة لتقطيع علائق المجتمع.



• **الفائدة التاسعة**: فيــه تربية على علو الهمــة؛ لقوله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**» فربط بين هذه الأعمال والإيمان بالله.

• **الفائدة العاشرة**: دلَّ عـلــى أن الإيمــان بالله هـــو المحـرك والدافــع للمؤمن فـــي أفعاله وتروكــه؛ ولهذا قرن هــذه الأعمـال بالإيمان بالله.

• **الفائدة الحادية عشرة**: فيه حضور الآخرة في قلب المؤمن؛ لأنها الغاية التي يرجوها.

• **الفائدة الثانية عشرة**: فيه أن المؤمن لا يحركه إلا الإيمان بالله واليوم الآخر، ولهذا لم يجعل في الحديــث جائزة إلا الإيمان بالله واليوم الآخر، وهذا لعلو منزلة الإيمان عند المؤمن.

• **الفائدة الثالثة عشر**: فيه أن قول الخير أفضل من الصمت عن الشر؛ ولهذا بدأ فيه فقال: «**فليقل خيرًا أو ليصمت**».

• **الفائدة الرابعة عشر**: الحديــث رتَّــب الأمور ترتيبًا حســب أهميتها؛ فبدأ بالكلام والســكوت لملازمته لحال المؤمن، ثم ذكر الجار لملازمته للمؤمن في ســكنه، ثم ختم بالضيف الذي يجتاز أحيانًا.

• **الفائدة الخامسة عشر**: فيه أن الإسلام يدعو لمكارم الأخلاق، ولهذا يتوافق مع الفطرة السليمة.

• **الفائدة السادسة عشر**: فيــه تنــوع أبواب العبودية؛ فليســت العبودية مقصورة على نوعٍ واحد، بل منها ما يشمل اللسان والجار والضيف، وهذا من رحمة الله بعباده.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **المراقبة**: وهــي دوام المراقبــة وتيقن المــرء باطلاع الله، وفي حديث الباب قوله: «**فليقل خيرًا أو ليصمت**»؛ يدل على منزلة المراقبة، فالمؤمن عليه أن يراقب حتى سكوته، فيسكت حينما يكون السكوت فيه مرضاة الله.

٢ ـ **الثقة**: وهي اليقين بما عند الله، فإكرام الجار والضيف يكون بما في القلب من ثقة بما عند الله، وأن الله هــو المعطي، وقانونه في ذلك قوله: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

٣ ـ **حضور الآخرة القلبي**: ذكر اليوم الآخر في الحديث يربي قلب المؤمن على الاســتعداد للقاء الله، وهذا يضبط ســلوك المؤمن؛ لأنه يصحح له النية، فتكون أعماله ابتغاء وجه الله.

٤ ـ **الخُلُق**: وهو التحلي بالفضائل وترك الرذائل، وأصول الأخلاق ترجع إلى بذل الندى وتــرك الأذى، فبذل الندى هــو قوله: «**فليقل خيرًا**» و«**فليكــرم جاره**» و«**فليكــرم ضيفه**»، وتــرك الأذى هو قوله: «**فليصمت**»، وندى الجوارح فرعٌ عن ندى القلــب، فإذا زهد القلب وأخلص لله ســخى وجاد بما عنده، كما أن القلب إذا اشتاق لله هان على الجوارح بذل الروح له.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الكريم والجواد والوهاب وفروعها**: فــالله هــو أكرم الأكرمين، والجواد الذي يعطي أكثر من سؤال السائل، والوهاب الذي يعطي قبل أن يسأله الســائل، فالله كريمٌ يُحب الكرم، فأمر بإكرام الضيف والجار،

ومن آثار هذا الاسم على المؤمن: الثقة بالله، فالكريم يكرم لكونه واثقًا بما عند الله، ومن آثاره حسن الظن بالله.

٢ ـ **الحقُّ**: فالله هو الحقُّ، وقوله حقٌّ، ويُحِب الحق، وكل كلام حقٍّ فهو من هدايــة الله، والله يهدي للحق، وكل باطلٍ فــالله بريءٌ منه، فمَن تكلم فليتكلم بالحــق لأن الله هو الحق المبيــن، وإلا فليصمت، فالله لا يحب الجهر بالسوء من القول.

١٦

الحديث السادس عشر

عَنْ أَبِــي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُــلًا قَالَ لِلنَّبِــيِّ ﷺ: أَوصِنِي، قَال: «لَا تَغْضَبْ»، رواه البخاري.

المعنى الإجمالي:

أن رجلًا طلب من النبـــي ﷺ أن يوصيه، فأوصاه بوصية قصيرة جامعة لمعاني الخير؛ حيث أوصاه بترك الغضب، فكأن الرجل يريد وصيةً غيرها، فكـــرر عليه النبي ﷺ الوصيـــة؛ لأنها جامعة لخصال الخير كلها.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: على الإنســـان أن يطلب الوصية ممن يكون أهلًا لها، ولذلك طلب الرجل الوصية من النبي ﷺ، وهذا عملٌ مشروع.

- **الفائدة الثانية**: صيغة السؤال تدل على أهمية الحديث؛ لأن الرجل بادر فطلب الوصية، ثم إن لفظ الوصية بحد ذاته يتضمن نصيحة جامعة نافعة، وفي لفظ الترمذي «يا رسول الله علمني شيئًا ولا تكثر علي».



• **الفائدة الثالثة**: ينبغي في حال النصيحة اختيار الكلمات المختصرة التي تناسب الحال؛ لأن ذلك أنفع، كما فعل النبي ﷺ مع الرجل.

• **الفائدة الرابعة**: صيغة ترديد السؤال وترديد الجواب تدل على خطورة الغضب.

• **الفائدة الخامسة**: لفظ الحديث أطلق ولم يقيد «**لا تغضب**» ولم يذكر الأشياء التي لا يغضب فيها، والذي يظهر أن هذا الإطلاق مقصود وذلك حتى يشمل جميع أمور الحياة فلا يغضب من زوجته ولا أولاده ولا تعامله ولا جيرانه ولا تجارته ولا غير ذلك.

• **الفائدة السادسة**: في الحديث دعوةٌ لحسن الأخلاق، وذلك أنه لا تفسد الأخلاق مثلما تفسد بالغضب، وقد قيل لابن المبارك: اجمع لنا حسن الخلق في كلمة قال: «**لا تغضب**».

• **الفائدة السابعة**: الشريعة تدعو لأن يتحكم الشخص بعاطفته فيجعلها تحت سلطان الشرع حتى في حال الغضب الذي قد لا يملك الإنسان نفسه، فكيف بحال الرضى.

• **الفائدة الثامنة**: تسليط النفي على الغضب في قوله: «**لا تغضب**» يدل على أن الغضب لا يحل المشاكل ولا ييسر الأمور بل يزيد تعقيدها، ولو كان الغضب حلًا لأوصى به ﷺ.

• **الفائدة التاسعة**: قوله «**لا تغضب**» تحتمل معنيين:

ـ **الأول**: جاهد نفسك لئلا يقع الغضب أصلًا.

ـ **الثاني**: أمسك نفسك إذا وقع الغضب فلا تقع في فعل تندم عليه، فيكون من باب النهي آثاره، والحديث يشمل الأمرين.

• الفائدة العاشرة: يدل الحديث على أن الغضب يمكن التخلص منه ولو كان من صفات الشخص الذاتية، فلو لم يمكن التخلص منه لم ينه النبي ﷺ عنه.

• الفائدة الحادية عشرة: فيه مراجعة أهل الفضل بالكلام، فالرجل راجع النبي عليه السلام مرارًا.

• الفائدة الثانية عشرة: دلَّ الحديث على تواضع النبي ﷺ؛ حيث يراجعه الرجل والنبي ﷺ يجيب.

• الفائدة الثالثة عشر: الحديث يدل على معرفة المربي بأحوال أتباعه، فالنبي عليه السلام يُسأل عن الوصية فيجيب كل شخص بغير ما أجاب به غيره، ولا يكون ذلك إلا لمعرفته بأحوالهم وما يحتاجونه.

• الفائدة الرابعة عشر: فيه العمل بالعلم، وموافقة الفعل للقول، فالنبي عليه السلام أوصى الرجل بألا يغضب، فلما راجعه الرجل لم يغضب منه، فوافق عمله علمه.

• الفائدة الخامسة عشر: على المؤمن ألا يستصغر النصيحة، فليست العبرة بطول النصيحة إنما العبرة بعلم وتقوى القائل.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ السكينة والطمأنينة: وهي ما ينزله الله في القلب من الوقار عند اضطراب القلب، والغضب مما يجعل القلب مضطربًا، ومن درجات السكينة أن يعامل الخلق باللطف، ولا يعاملهم بالعنف والشدة والغلظة؛ لأن ذلك يفسد على المؤمن قلبه وحاله، فليس

للقلب أنفع من معاملة الناس باللطف[1]، ومعاملة اللطف نابعة عن سكينة القلب.

٢ ـ **الصبر**: وهو حبس النفس، ومن وسائله عدم الغضب الوارد في الحديث.

٣ ـ **الغيرة لله**: بأن يغضب لله إذا انتهكت حرماته، وهذا من توجيه القوة الغضبية، فليس المراد بنفي الغضب في الحديث إخلاء النفس من الغضب، بل صرف الغضب لله بدلًا من الغضب للنفس.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

ـ **الحليم**: فالله هو الحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة، ويمد يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويمد يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ومن حلمه أنه نهى عن الغضب، وجعل الغضب من نصيب عدوه إبليس، ومن آثار ذلك على المؤمن: الصبر والتصبُّر والرضا، وتجريد الغضب لله وحده، فلا يغضب إلا لما يُغضِبُ سيده ومولاه.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٥٥٨.



١٧

الحديث السابع عشر

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَــدَّادِ بنِ أَوْسٍ ﵁ عَنْ رَسُــولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ». رواه مسلم

المعنى الإجمالي:

بيَّن النبي ﷺ منزلة الإحسان، وأخبر أن الله كتب الإحسان الذي هو إتقان العمل في كل شــيء، وأمر بإحســان القتل والذبــح، وأن على المؤمن أن يحد شــفرته ويريح ذبيحته؛ لأن ذلك مقتضى الإحســان، وهذا الحديث يبيِّن أن الإحسان عامٌ في كل الأمور.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: الحديــث دليلٌ على رحمة الله ســبحانه؛ ولأجل ذلك كتب الإحسان على كل شيء وهذا يورث محبته سبحانه.

- **الفائدة الثانية**: فيه ســماحة الشــريعة ويســرها حيث بنيت على الإحسان والإتقان.

• **الفائدة الثالثة**: قوله «**كتب**» تدل على وجوب الإحسان؛ لأن هذه الصيغة صيغة وجوب.

• **الفائدة الرابعة**: الإحسان فيه معنى الإتقان، فالإحسان في الذبيحة إتقانها بحيث لا تطول فتتعذب، وكذلك الإحسان في كل شيء إتقانه بحسبه.

• **الفائدة الخامسة**: يدل على وجوب الإحسان إلى الذبيحة بحد شفرته وسرعة إنجازها.

• **الفائدة السادسة**: من أساليب التعليم: ذكر قاعدة ثم ضرب مثال لها أو مثالين.

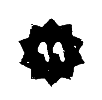
فالقاعدة في الحديث: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**»، **والمثالان هما «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»**.

• **الفائدة السابعة**: في الحديث الرحمة بالحيوان.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **المراقبة**: وهو دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الله على ظاهر العبد وباطنه، وهذا ناتجٌ عن علمه بعدد من أسماء الله كالرقيب والعليم والخبير والبصير والسميع وغيرها، وهذه المراقبة تورث إتقان العمل؛ لأنه يعلم أن عمله يقع في بصر الله وسمعه.

٢ ـ **الإحسان**: وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ومقتضى ذلك إتقان العمل، فإحسان الجوارح فرعٌ عن إحسان القلب.



٣ ـ **الرحمة**: قوله: «**وليــرح ذبيحته**» يدل على الرحمة القلبية؛ فمن أتقن ذبحه فقــد أراح ذبيحته ورحم ما كان بين يديــه، فالإتقان رحمة قلبية للعمل.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **المحسن**: وأثبته بعض العلماء اسمًا لله سبحانه، ويجوز الإخبار به إجماعًا، فالله يحســن إلى عباده، ومنه الإحســان، وكتب الإحسان، وأعلى العباد لديه من وصل لمنزلة الإحســان، والتعبد لله بذلك يكون بالإحسان للعباد، وإتقان الأعمال لأن يحب ذلك

٢ ـ قولــه: «**إن الله كتب**»؛ يدل على كتابــة الله، وهي من أفعال الله المتعلقة بمشــيئته وإرادته، وتقتضــي علمه ســبحانه، وكتابة الله على نوعين:

أ ـ **كتابة دينية**: والتعبد لله يكون بالتسليم والإذعان والتصديق.

ب ـ **كتابة قدرية**: والتعبــد لله يكون بالصبر والرضا، ورد القدر بالقدر، فما كتبه الله من مرض يقابل بما كتبه الله من علاج، وما كتبه الله من مصائب يقابل بما كتبه الله من صبر ورضا، وهذا أعظم الفقه في باب الأقدار.

١٨

الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبِيْ ذَرٍّ جُنْدُبِ بـنِ جُنَادَةَ وَأَبِـي عَبْدِ الرَّحْمَـنِ مُعَاذِ بِنِ جَبَلٍ رضي الله عنهما عَنْ رَسُـولِ اللهِ ﷺ قَـالَ: «اتَّـقِ اللهَ حَيْثُمَـا كُـنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَـنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِـقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَـنٍ»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسنٌ صحيح.

المعنى الإجمالي:

أمر النبي ﷺ في الحديث بثلاث وصايا عظيمة، وهي:

ـ وصية بين العبد وربه: فأوصاه بالتقوى، بأن يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية.

ـ ووصية للعبد ونفسه: فأوصاه بأن يتبع السيئة الحسنة لأجل إزالتها من صحيفة الأعمال.

ـ ووصية بين العبد والناس: فأوصاه بالمعاملة الحسنى.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى**: يجمع الحديث ثلاثة حقوق:

ـ **الحق الأول**: حق الله في قوله: «**اتق الله**».

ـ **الحق الثاني**: حق النفس في قوله: «**واتبع السيئة الحسنة تمحها**».

ـ **الحق الثالث**: حق الناس في قوله: «**وخالق الناس بخلق حسن**».

• **الفائدة الثانية**: دلَّ الحديث على أن تقوى الله ليس لها زمن تتقيد به وتقف عنده، بل عند الإنسان المؤمن تجب في كل اللحظات، فقال في الحديث: «**أينما كنت**».

• **الفائدة الثالثة**: قوله: «**اتق الله حيثما كنت**»؛ تأصيل لمراقبة الله سبحانه في السر والعلن.

• **الفائدة الرابعة**: فيه حرص الشريعة على إيجاد رادع وزاجر من نفس العبد؛ يحول بينه وبين المحرمات وهي «تقوى الله».

• **الفائدة الخامسة**: ظاهر الحديث أن تقوى الإنسان لا تعصمه من وجود زلات سرعان ما يتبصر فيها المتقي ويرجع إلى حالٍ أفضل من حال قبل الذنب، وهذا الظاهر يؤخذ من قوله: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»، **بعد قوله**: «**اتق الله حيثما كنت**».

• **الفائدة السادسة**: بيان رحمة الله سبحانه بعبادة، وذلك بفتح أبواب لمحو السيئات، ومنها: الاستغفار، ومنها: فعل الحسنات كما في الحديث.

• **الفائدة السابعة**: فيه حثٌّ على مجاهدة النفس، فمن فعل سيئةً فليتبعها بحسنة، فإن عاد للذنب فعل الحسنة، وهكذا بشرط عدم الإصرار.

• **الفائدة الثامنة**: فيه فتح باب التوبة بعد الذنوب، فالحديث يرفع الهمة ويطرد اليأس الذي يلقيه الشيطان في القلوب.

• **الفائدة التاسعة**: فيه أن الحسنات والصالحات ترفع الدرجات وتكفر السيئات.

• **الفائدة العاشرة**: الحديث يربي في قلب المؤمن الخوف والرجاء، وبيانه:

• تقوى الله تربي في المسلم الخوف وفتح باب التوبة.

• وتكفير السيئات يربي في المسلم الرجاء؛ وهما أعظم منازل أعمال القلوب.

• **الفائدة الحادية عشرة**: فيه إزالة العداوات بين الناس؛ لقوله: «**وخالق الناس بخلق حسن**».

• **الفائدة الثانية عشرة**: تقوى الله تشمل القيام بحقوق الله وحقوق الناس ولذلك قال في الحديث: «**وخالق الناس بخلق حسن**»، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه فإن كثيرًا من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحقوق الله دون حقوق عباده فنص له الأمر بحسن العشرة للناس»[1].

• **الفائدة الثالثة عشر**: يربي في النفس المبادرة في الفعل وألّا يكون الشخص تبعًا لغيره، ولذلك أمره أن يبادر في فعل الحسنة، فقال: «وأتبع»، وأن يبادر في معاملة الناس بخلق حسن، فقال: «وخالق».

---

(١) جامع العلوم، ص٤٥٤.



• الفائدة الرابعة عشر: دلَّ الحديث على أن الأخلاق الحسنة في الشريعة تبذل مطلقًا سواءً أحسن الناس إليك أو أساءوا، ولذلك لم يقيدها النبي ﷺ بأنها لا تبذل إلّا لمن أحسن إليك، بل جعلها عامة فقال: «وخالق الناس»؛ أي جميعًا من أحسن ومن أساء.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **التقوى**: وهو أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، كما أنها العمل بطاعة الله على نورٍ من الله، والمؤمن مطالب بالأعمال الصالحة، ثم يتحلى بالتقوى لحفظ أعماله من الحبوط، فكأن التقوى رباط للأعمال من الضياع، والحديث عمم التقوى في كل حين إذ لا يمكن للمؤمن أن يستغني عنها.

٢ ـ **التوبة**: وهي الرجوع إلى الله والإنابة إليه، فقوله في الحديث: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»؛ يوسع مجال التوبة، فهي أعم من الاستغفار إلا أنها متعلقة بندم القلب وانكساره، فمتى ندم القلب تحركت الجوارح إما باستغفار اللسان أو الحسنات للجوارح الأخرى.

٣ ـ **الخُلُق الحسن**: وأصله تدين القلب وعبوديته، ومن خالق الناس بخلق حسن ارتاح قلبه من الهموم التي تعصف به، إذ الناس مصدر من مصادر إدخال الهم على الإنسان، فتجد منهم الظالم والمتعدي والجاهل والمجادل والمعاند وغيرهم، وكلها أفعال تفعل في قلب المؤمن القلق والهم، فمن خالقهم بخلق حسن فشكر المحسن وعفى عن المسيء منهم أضعف وازع الهموم على قلبه، وتعبد لربه بتبتل وانقطاع إليه.

٤ ـ **المراقبة**: وهـــي دوام مطالعة العبد لربه؛ لقولـــه في الحديث: «**أينما كنت**» ومن ذلك أماكن الخلوة التي قد يتسلط الشيطان فيها أكثر مما يتســـلط حال الاجتماع والخلطة، ومن أكثر الأعمـــال التي يجب إثارها في زماننا تقـــوى الله لكثـــرة الصوارف عن ذلـــك، والعمل إذا اشتدت صوارفه تعين وجوبه.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

ـ **الله**: ويتعلق به جانب الألوهية للعبد، وقرن بين الألوهية والتقوى، لأن التقـــوى من أفعال العبـــد يتعبد بهـــا لله، كما أنها حفـــظٌ لأعماله الصالحة التي يتأله بها لربه، فاحتاج إلى صمام أمان يحفظ عليه أعماله من الحبوط.

ـ **الرقيب**: لقوله: «**حيثما كنت**» فالرقيب هو الذي يراقب أقوالك وأفعالك، وســـرك وعلانيتك، وعلى قدر تعبدك بهذا الاسم تكون التقوى.

١٩

الحديث التاسع عشر

عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ عَبْدِ اللهِ بن عَبَّاسٍ ﵄ قَـالَ: كُنْتُ خَلْفَ النبي ﷺ يَومًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحفَظك، احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ، إِذَاَ سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَاَ اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِن بِاللهِ، وَاعْلَم أَنَّ الأُمّة لو اجْتَمَعَت عَلَى أن يَنفَعُوكَ بِشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشـــيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَك، وإِن اِجْتَمَعوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشيءٍ لَمْ يَضروك إلا بشـــيءٍ قَد كَتَبَـهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفعَت الأَقْـلامُ، وَجَفّتِ الصُّحُفُ»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ـ وفي رواية ـ غير الترمذي: «اِحفظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعرِفْـكَ في الشّـدةِ، وَاعْلَـم أن مَا أَخطـأَكَ لَمْ يَكُـن لِيُصيبكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَـمْ يَكُن لِيُخطِئكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْـرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَربِ، وَأَنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا».

المعنى الإجمالي للحديث:

علَّـم النبي ﷺ ابن عباس كلمـات مباركـات، فمما علَّمه:

ـ حفظ الله: فمن حفظ أوامر الله حفظه الله، ومن حفظ الله وجده معه في كل الأمور، فمن حفظ الله في الرخاء كان الله معه في الشدة.



ـ **سؤال الله**: بأن يوجه سؤاله لله وحده دون غيره، ومن سأل الله بصدق بلغه الله مراده.

ـ **الاستعانة بالله**: بطلب العون من الله وحده، والبراءة من الحول والقوة، والاعتماد على الله وحده كما قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

ـ **إفراد الله بالنفع والضر**: فالله وحده هو النافع الضار، فإذا أراد الله نفع عبد؛ فلن يأتيه الضر ولو اجتمعت عليه الأمة كلها، ومن أراد الله ضره؛ فلن يغني عنه الخلق أجمعين.

ـ **الإيمان بالقدر**: وأن الله كتب المقادير في أم الكتاب لديه سبحانه.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى**: فيه حث على التواضع لإردافه ﷺ خلفه، ولم يستأثر بالدابة دون غيره.

• **الفائدة الثانية**: فيه دلالة على اللين والملاطفة لاختيار ابن عباس الشاب الصغير رضي الله عنهما، بل ومحادثته في الطريق وتوصيته.

• **الفائدة الثالثة**: في الحديث الاهتمام بتربية الصغار؛ وهذا واضح من ظاهر الحديث.

• **الفائدة الرابعة**: اختيار الجمل القصيرة في حال تعليم الصغار ليكون أسهل في الحفظ.

• **الفائدة الخامسة**: بذل العلم للكبير والصغير، لكن على قدر ما ينتفع به المتلقي، ولا يأنف الإنسان الذي آتاه الله علمًا من تعليمه للصغار أو من هو دونًا منه.

• الفائدة السادسة: ينبغي أن يذكر مقدمة مناسبة قبل التعليم لتشويق المستمع لما يقال، كما فعل ﷺ حيث قال «**أعلمك كلمات ينفعك الله بهن**»، لأن ابن عباس رضي الله عنهما إذا سمع ذلك شحذ همته ليحفظهن ويعمل بهن.

• الفائدة السابعة: فيه استغلال الوقت بما يفيد ففي حال ركوب ابن عباس رضي الله عنهما خلف النبي ﷺ حرص ﷺ أن يقطع الوقت بما يفيد من تعليم أو تذكير.

• الفائدة الثامنة: فيه الاهتمام بأمر العقيدة، فهذه الكلمات جميعها من أمور العقيدة.

• الفائدة التاسعة: الجزاء من جنس العمل، فمن حفظ الله حفظه الله، ومن استعان بالله أعانه سبحانه.

• الفائدة العاشرة: من تعلم هذه الكلمات انتفع بإذن الله؛ لقوله ﷺ «**أعلمك كلمات ينفعك الله بهن**» فهذا يعطي أهميةً للحديث.

• الفائدة الحادية عشرة: يربي الحديث الاعتماد على الله سبحانه والتعلق به ورجاءه دون غيره؛ وهذا في كل جمل الحديث وعباراته.

• الفائدة الثانية عشرة: يقرر الحديث الأعمال القلبية من التوكل والاستعانة والتعلق والخوف والرجاء؛ لأنها حياة الإنسان وأصل العقيدة، ويجب صرفها جميعًا لله وحده.

• الفائدة الثالثة عشر: من أراد حفظ الله من المكروهات والشرور فليحفظ أوامر الله، فذلك من وسائل الحفظ.

• الفائدة الرابعة عشر: من يحفظ أوامر الله يحصل على ثمرتين عظيمتين:

أ ـ يحفظه الله من كل مكروه لقوله في جواب الشرط: «**يحفظك**».

ب ـ يعينه الله في أموره المستقبلية ويجلب له الخير لقوله: «**احفظ الله تجده تجاهك**».

• **الفائدة الخامسة عشر**: فيه تفسير لمعية الله الخاصة لعبادة المؤمنين كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه المعية الخاصة في قوله «**تجاهك**» «**أمامك**» «**يحفظك**» «**يعرفك في الشدة**».

• **الفائدة السادسة عشر**: صلاح الدنيا والآخرة للشخص على قدر حفظه لحدود الله، ولذلك قال في الحديث: «**احفظ الله يحفظك**»، وأطلق ولم يقيد الحفظ في المال أو الولد أو الصحة أو الدين، وهذا الإطلاق حتى يشمل جميع ذلك.

• **الفائدة السابعة عشر**: إثبات اسم الله «الشكور»؛ حيث أن من معانيه أنه يشكر العبد على أعماله فيعينه عليها أولًا، ثم يتقبلها منه ثانيًا، ثم يجزيه عليها في الدنيا والآخرة؛ فمن جزائه في الدنيا أنه يحفظ العبد وييسر له كل عسير، وهذا من شكره ﷻ لعبده.

• **الفائدة الثامنة عشر**: التوجه والسؤال والحاجة لا تنزل إلّا بالله وحده، فهو الذي يعطي ويمنع؛ لقوله: «**إذا سألت فاسأل الله**».

• **الفائدة التاسعة عشر**: قوله: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»؛ مرادف لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فإن السؤال عبادة لله.

• **الفائدة العشرون**: جاء النص على السؤال دون غيره «**إذا سألت فاسأل الله**» لأن السؤال يجمع مقامات عالية من العبودية، منها:



ـ الذل والافتقار والتوجه والمسكنة والخروج من الحول والقوة وإنزال الفاقة بالمسؤول وإحسان الظن به، واتهام النفس بالقصور، ومعرفة قدرها وأنها لا تملك ضرًا ولا نفعًا.

• **الفائدة الحادية والعشرون:** فيه أن الأمر كله من الله وإلى الله، فالله هو الأول وهو الآخر، فالله يعين العبد على حفظ أوامره ثم يثيبه عليها، والعبد لا حول له ولا قوة إلا بربه.

• **الفائدة الثانية والعشرون:** يدل الحديث على أن الشخص ضعيف لا يملك لنفسه حولًا ولا قوة، حتى في إعانته نفسه، فهو لا يقدر عليها إلّا بإعانة المولى سبحانه.

• **الفائدة الثالثة والعشرون:** من أهداف الحديث تقرير مسألتين عظيمتين:

أ ـ فقر الإنسان لربه، وأنه لا غنى له عنه طرفة عين، ولا أقل من ذلك، وقطع الرجاء بالمخلوقين.

ب ـ غنى الله عن جميع المخلوقين وكماله بذاته سبحانه، وعلى هذين الأمرين مدار العبودية.

• **الفائدة الرابعة والعشرون:** الكلمات التي تعلمها ابن عباس رضي الله عنهما تربي القوة والشجاعة في النفس، فمن نزّل مسألته بالله دون غيره واستعان به وحده، وعلم أن ما أصابه لا يخطئه، وما أخطأه لا يصيبه؛ أصبح قويًا في حجته ودعوته وسائر حياته.

• **الفائدة الخامسة والعشرون:** المؤمن الصادق يعبد الله في كل أحيانه، الرخاء والشدة ولذلك أوصى النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما فقال «تعرّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة»، وليس كحال المشركين

الذي قال الله عنهم: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

• **الفائدة السادسة والعشرون:** الاستعانة من أعمال القلوب التي يجب صرفها لله، ومن صرفها لغير الله فقد أشرك وخذل؛ لأن من استعان بغير الله وكله الله إليه فلا يستطيع نفعه، بل يضره لفوات إعانة الله عنه؛ ولذلك قال: «**وإذا استعنت فاستعن بالله**».

• **الفائدة السابعة والعشرون:** يؤصل الحديث الإيمان بالقضاء والقدر؛ لقوله: «**جفت الأقلام ورفعت الصحف**»، فعلى العبد أن يتفقه في القدر تعظيمًا لله وتعبدًا له.

• **الفائدة الثامنة والعشرون:** قوله: «إلّا بشيءٍ كتبه الله لك»، وقوله: «إلّا بشيءٍ كتبه الله عليك» لا يعارض العمل ولا يدل على ترك العمل، بدليل أول الحديث «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»، فسؤال الله والاستعانة به هي من عمل الشخص يجازيه الله بها.

• **الفائدة التاسعة والعشرون:** الحديث يشمل أعمال الجوارح وأعمال القلوب، فالسؤال والدعاء من أعمال الجوارح، والاستعانة من أعمال القلوب، وكلا الأمرين من أركان الإيمان.

• **الفائدة الثلاثون:** يقرر الحديث الرضا بأقدار الله، وهي منزلة أعلى من منزلة الصبر كما يقرره علماء السلوك، ولهذه المنزلة فقهها الخاص بها.

• **الفائدة الحادية والثلاثون:** يقرر الحديث اليقين بالله سبحانه وأفعاله؛ ولهذا تكررت كلمة الله كثيرًا في الحديث.



• **الفائدة الثانية والثلاثون**: الحديث يقرر مذهب أهل السنة والجماعة أن مشـــيئة الله هي النافذة، وترجع مشـــيئة العبد إليها؛ لقوله: «**إلا بشيءٍ كتبه الله لك**»، وقوله: «**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك**».

• **الفائدة الثالثة والثلاثون**: الحديـــث يربي عظمة الله ســـبحانه في قلوب المؤمنين، فمن تأمل قدرته الباهرة، ومشيئته النافذة وأن ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن عرف عظمته.

• **الفائدة الرابعة والثلاثون**: النصر مع الصبر، وهذا في جميع الأمور فمن صبر وصابر على مجاهدة نفســـه وجهاد العدو وعبادة ربه انتصر بإذن الله.

• **الفائدة الخامسة والثلاثون**: الاســـتعجال والجزع لا يأتي بالنصر، وهذا من مفهوم المخالفة للحديث؛ لأنه علق النصر بالصبر.

• **الفائدة السادسة والثلاثون**: إذا اشتد الأمر وزاد الكرب، وانغلقت جميع الأبواب، كان هذا بإذن الله دليل على الفرج؛ لقوله: «**وأن الفرج مع الكرب**»، فهو معه وليس بعده.

• **الفائدة السابعة والثلاثون**: الحديث يربي في النفوس عدم اليأس من روح الله وفرجه وحسن الظن به حتى لو اشتد الأمر؛ لأن الفرج مع الكرب.

• **الفائدة الثامنة والثلاثون**: بيَّن ابن رجب سر انفراج الأر بعد كربه، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر أن الكرب إذا اشـــتد وعظـــم وحصل للعبـــد اليأس من كشـــفه من جهة المخلوقين وتعلق قلبه بالله وحده وهذا هو حقيقة التوكل»[1] أ.هـ.

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص٤٩٣.



• **الفائدة التاسعة والثلاثون**: قوله: «**وأن مع العسر يسرًا**» ولم يقل: وأن اليسر مع العسر كما في جمل الحديث الأخرى؛ لأن لفظ اليسر جاء نكرة وعليه تنوين وهو يفيد عظمة اليسر الآتي مع العسر، فهو يسرٌ عظيم ينسي هم العسر.

• **الفائدة الأربعون**: يدل ظاهر الحديث على أن حال الدنيا يدور بين عسر يتبعه يسر، وكرب يتبعه فرج؛ حيث خلق الله الدنيا على نكد وعدم صفو، فمن عرف حالها لم يطمئن لها.

وفوائد هذا الحديث العظيم كثيرة جدا ولذلك قال بعض العلماء: «تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه»[1].

الأعمال القلبية المتعلقة بالحديث:

١ ـ **حفظ الغيب**: تكرر في الحديث قول: «**احفظ الله**» ويكون ذلك بحفظ أوامره ونواهيه، ومن ذلك حفظ أعمال القلب عن زوالها أو نقصانها، أو دخول الخلل فيها، وحفظ الجوارح لأوامر الله يكون تبعًا لحفظ القلب، فعلى قدر حفظ الله يكون حفظ الجوارح، وحفظ القلب هو المذكور في قوله: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: ٣٢]، فالحفيظ صيغة مبالغة؛ لأنها تشمل حفظ الجوارح وأعمال القلب، فجعل الجنة جزاءً للحفيظ.

٢ ـ **الاستعانة بالله والتوكل عليه وفروعهما**: لقوله: «**استعن بالله**»؛ وهي تعني طلب العون من الله، ولا يكون ذلك إلا بالبراءة من الحول

---

(١) المصدر السابق.



والقوة، وهذا مدار العبودية وركنها الأعظم، ولهذا ذكرت في أم الكتاب في قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والاستعانة عملٌ للقلب؛ لأن القلب يتعلق بالمستعان، ولهذا أُمر المؤمن أن تكون استعانته بالله وحده دون ما سواه.

٣ ـ **التعلق بالله والأنس به وفروعهما**: وهو واجب لقوله في الحديث: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»، **فمقتضاها ولازمها أن يتعلق بالله دون ما سواه، ومن تعلق بشيء وُكِل إليه وخُذِل من جهته**، «**فَلَا عَلَى نَصِيبِهِ مِنَ اللهِ حَصَلَ، وَلَا إِلَى مَا أَمَّلَهُ مِمَّنْ تَعَلَّقَ بِهِ وَصَلَ**»، والتعلق هو اعتماد القلب على الله وانصرافه والتفاته إليه، فإن فعلت ذلك لم يسأل إلا الله ولم يستعن إلا به، والنفس لا بد لها من تعلق؛ وهذا دليلٌ على فقرها، وأن فقرها ذاتي، ولن تتعلق بالله إلا إذا انقطعت عن التعلق بغيره، والله سبحانه يغار على قلب عبده المتعلق به الموحد له أن يتعلق بغيره؛ ولهذا فالله يتكفل بكل ما يشغل قلب عبده.

٤ ـ **اليقين بالله والثقة وفروعهما**: وهو العمل القلبي المحرك لأعمال الجوارح، وهو للإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وهو روح أعمال القلوب[1]، ويعني استقرار القلب بالله، فلا تعتريه شكوك وأوهام وخواطر، وبذلك يشرق القلب بنور الإيمان فيتعبد حبًّا وتذللًا لله، وحديث الباب يرسخ اليقين رسوخًا عظيمًا فقوله: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيءٍ قد**

---

(١) مدارج السالكين، ٢/٣٧٤.

كتبه الله عليك»، فبذلك يستقر القلب إيمانًا بالله وأفعاله وأقداره، فيتوكل ويفوض ويعتمد ويتعلق بربه وحده، والمحرك لذلك ثقته بربه وأسمائه وصفاته.

٥ ـ **الرضا بالله والتسليم وفروعهما**: بأن يعلم أن اختيار الله له أفضل من اختياره لنفسه؛ فيستسلم لله وأحكامه وشرعه، والرضا بالله يشمل ثلاثة أمور:

ـ **الرضا بألوهية الله**: «وَيَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِمَحَبَّتِهِ وَحْدَهُ، وَخَوْفَهُ، وَرَجَائَهُ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَالتَّبَتُّلَ إِلَيْهِ، وَانْجِذَابَ قُوَى الْإِرَادَةِ وَالْحُبِّ كُلِّهَا إِلَيْهِ. فَعَلَ الرَّاضِي بِمَحْبُوبِهِ كُلَّ الرِّضَا. وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ عِبَادَتَهُ وَالْإِخْلَاصَ لَهُ.

ـ **وَالرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ**: يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِتَدْبِيرِهِ لِعَبْدِهِ، وَيَتَضَمَّنُ إِفْرَادَهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَالثِّقَةِ بِهِ، وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ رَاضِيًا بِكُلِّ مَا يَفْعَلُ بِهِ.

ـ **وَأَمَّا الرِّضَا بِنَبِيِّهِ رَسُولًا**: فَيَتَضَمَّنُ كَمَالَ الِانْقِيَادِ لَهُ، وَالتَّسْلِيمَ الْمُطْلَقَ إِلَيْهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ»[1]؛ ولهذا من أذكار الصباح والمساء قوله: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا رسولًا؛ لأن ذلك يتضمن الدين كله

٦ ـ **الرجاء والرغبة**: جمل الحديث كلها تزيد رجاء القلب، فمن حفظ الله حفظه، ومن حفظ الله وجده، ومن سأل الله أجابه، ومن استعان بالله أعانه، فتتولد الرغبة والإقبال على الله.

---

(١) مدارج السالكين ١٧١/٢.



الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الحافظ والحفيظ**: الحديث يتضمن الإيمان باسم الله الحفيظ؛ لقوله: «**يحفظك**»؛ فهذا من أفعاله ﷻ، وقد ثبت اسم الله الحفيظ، وحفظه نوعان:

ـ **الحفظ العام**: الذي يحفظ به مخلوقاته، ويقيم لهم شؤونهم وحياتهم وأرزاقهم، وبه يحفظ الكافر والفاجر والبر والمؤمن وسائر المخلوقات، وهذا من آثار ربوبيته العامة.

ـ **الحفظ الخاص**: الذي يحفظ به قلوب أوليائه وإيمانهم، فيربط على قلوبهم، ويثبتهم مع كثرة الفتن من حولهم، ويحفظهم من الشياطين التي تختطف قلوبهم، وهو المقصود من حديث الباب: «**احفظ الله يحفظك**».

٢ ـ **المجيب**: قوله في الحديث: «**إذا سألت فاسأل الله**»؛ لأنه هو المجيب سبحانه القائل ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، ونص في الحديث على السؤال؛ لأنه يجمع أعمال عبودية القلب، ففيه ذل وانكسار وخضوع وحب ورجاء وإخلاص وصدق وغير ذلك.

٣ ـ **الضار النافع والمعطي والمانع**: وقد وردت في حديث الترمذي الذي ذكرت فيه الأسماء الحسنى، وحديث الباب يدل على هذه الأسماء المركبة؛ فقوله عليه السلام: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»، **فالله هو الذي كتب النفع وكتب الضرر؛ وهذا يزيد القلب ثقة وتعلقًا بالله، ويطرد شوائب الشرك وقوادح التوحيد من القلب، فما جاءك من أمر فالله**



هو الذي أعطاك، وما مُنعت من شيء فالله منعك، وبهذا يرتاح قلبك من لوم الناس أو تعليق الرجاء بهم، ولكل حـــالٍ عبوديته الخاصة به كما قال ابن القيم: «مصدر مَا فِي العَبْد من الْخَيْر وَالشَّر وَالصِّفَات الممدوحة والمذمومة مـــن صفة الْمُعْطِي الْمَانِع فَهُوَ سُـــبْحَانَهُ يصـــرّف عباده بَين مُقْتَضى هذَيْن الاسمين فحظ العَبْد الصَّادِق من عبوديته بهما الشُّكْر عِنْد الْعَطاء والافتقار عِنْد الْمَنْع فَهُوَ سُـــبْحَانَهُ يُعْطِيهِ ليشكره ويمنعه ليفتقر إِلَيْهِ فَلَا يزَال شكُورًا فَقِيرًا»[1].

(١) الفوائد، ص٧٩.

٢٠

الحديث العشرون

عَنْ أَبِيْ مَسْعُوْدٍ عُقبَة بن عَمْرٍو الأَنْصَارِيِّ البَدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدرَكَ النَاسُ مِن كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى إِذا لَم تَستَحْيِ فاصْنَعْ مَا شِئتَ»، رواه البخاري.

المعنى الإجمالي للحديث:

الحديث يبين فضل الحياء وأن مما أدركه الناس من كلام الأنبياء المتقدمين: أن من لم يستحِ فليصنع ما يشاء، وقد اختلف العلماء في المراد بذلك:

أ ـ فقيل: أنها أمرٌ بمعنى الخبر بأن الحياء هو الذي يمنع الإنسان عن مواقعة الشرور.

ب ـ وقيل: هو تهديد بأنَّ من صنع ما يشاء فالله يجزيه بفعله.

ج ـ وقيل: جعل الحياء ضابطًا فيما يفعل من الأمور وما يُترك، فما يفعل بدون حياء فلا بأس به، وما يفعل إلا بحياء واستحياء فهو ممنوع فليترك.

وكل هذه الأقوال مقبولة ولها حظٌ من النظر، ولا تعارض بينها.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: الحديث من كلام الأنبياء المتقدمين وهذا يعطي الحديث أهمية.

- **الفائدة الثانية**: الحديث يدل على تواتر الناس على هذه المقولة وانتقالها من جيل إلى جيل إلى أن وصل لهذه الأمة، والناس لا يتناقلون عبر هذه الأجيال الطويلة إلّا شيئًا مهمًا.

- **الفائدة الثالثة**: الحديث يرشد لضبط سلوك الإنسان وتصرفاته.

- **الفائدة الرابعة**: الحديث يربي على خُلق الحياء.

- **الفائدة الخامسة**: الحديث يدل على أن الحياء رادعٌ عن التصرفات القبيحة؛ ولهذا ربطه بفعل ما يشاء.

- **الفائدة السادسة**: فيه الحث على الحياء وأن التحذير من ذهابه موروث حتى عند الأمم الماضية، وهذا من الفطرة السوية التي تكملها رسالة النبوة.

- **الفائدة السابعة**: دلَّ على أن مَن لم يكن عنده حياء يتحلى به جاهر بالقبائح والفضائح ولابد.

- **الفائدة الثامنة**: الحديث يدل على أن السلوك الإنساني معتبر؛ ولهذا أُمر بالحياء فيه.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **الحياء**: وهو مأخوذ من الحياة، وعلى قدر حياة القلب يكون حياء الجوارح[١]، فالحياء منبعه حياء القلب، ويرتبط الحياء القلبي بالهيبة من مقام الله، ولهذا قال في الحديث: «**فاصنع ما شئت**» لغياب الهيبة الربانية من القلب، كما أن الحياء القلبي يرتبط بعدد من الأسماء الحسنى كالشهيد والسميع والبصير والعليم والرقيب وغيرها مما فيها اطلاع الرب سبحانه وتعالى.

٢ ـ **الخوف والخشية وفروعهما**: وهي من أجل أعمال القلوب وأنفعها للقلب، وفرضٌ على كل أحد، والخوف توقع المكروه واضطراب القلب من المخوف[٢]، ويثمر الحياء من الله أن يطلع على ما لا يرضاه من العبد، فإذا ذهب الخوف من القلب ذهب الحياء.

ومن فروع الخوف: الوجل والرهبة والإجلال وعدم الأمن من مكره الله[٣]

٣ ـ **المراقبة والمحاسبة وفروعهما**: وهي دوام علم العبد باطلاع الرب عليه، فتثمر له المحاسبة والإنابة والتذكر واليقظة، والحياء من نتائج ذلك وثمراته، وأول المراقبة مراقبة الخواطر؛ لأنها بداية الأفعال، وقد اهتم السلف بفقه الخواطر وحفظها، ولابن القيم كلام منثور في كتبه عن ذلك.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٣٩٥.

(٢) تقريب مدارج السالكين، ص٢٣٠.

(٣) لمعرفة الفروق بينها انظر: تقريب مدارج السالكين، ص٢٣٠.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

ـ الحيي والستِّير وفروعهما: فالله هو الحيي والستيِّر الذي يستر عبده، ولا يعاجله بالفضيحة، ومن حياء الله أنه يستحي أن يرد عبده إذا سأله، والله يُحب الحياء والستر، ولأن الله حييٌ أوحى إلى أنبيائه الأوائل الذي أرسلهم إلى عباده الوصية بالحياء، وحفظها الله حتى تناقلها الناس جيلًا بعد جيل، والله يحفظ ما يشاء وما يريد، ومن آثاره على المؤمن: الحياء والستر، والبعد عن الفاحش من الأقوال والأفعال.



٢١

الحديث الحادي والعشرون

عَنِ أَبِيْ عَمْرٍو، وَقِيْلَ، أَبِيْ عمْرَةَ سُفْيَانَ بنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ قُلْ لِيْ فِي الإِسْلامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ؟ قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ باللهِ ثُمَّ استَقِمْ»، رواه مسلم.

المعنى الإجمالي:

هذا حديث جامع أخبر فيه النبي ﷺ بكلام جامع لأمر الإسلام، بأن يقول بلسانه: آمنت بالله، ثم يستقيم على الأعمال الصالحة بجوارحه، ويسير على الطريق المستقيم.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى**: أهمية الحديث تتجلى من خلال صيغة السؤال «لا أسأل عنه أحدًا غيرك»؛ فهذا يدل على أن الجواب سيكون جامعًا مانعًا.

• **الفائدة الثانية**: يدل على الحرص على طلب العلم؛ وهذا ظاهر من صيغة السؤال، فهي تدل على حب وشغف لمعرفة الجواب.

• **الفائدة الثالثة**: ينبغي لطالب العلم أن يحرص على السؤال المختصر الهام الذي يجمع فوائد عدة، وهذا ما فعله سفيان بن عبد الله رضي الله عنه في سؤاله؛ حيث كان مختصرًا هامًا، إجابته تجمع فوائد عديدة، وهذا من بركة السائل.

• **الفائدة الرابعة**: السؤال مفتاح العلم، فعلى طالب العلم ألّا يستحي من سؤاله.

• **الفائدة الخامسة**: طالب العلم يجب أن يكون ذكيًا في اختيار سؤاله، خاصة إن كانت فرصة الجواب لا تتهيأ في كل الأحيان، ولذلك فإن سؤال سفيان رضي الله عنه من هذا النوع الذكي الذي يختلف عن أسئلة الناس.

• **الفائدة السادسة**: قوله «**آمنت بالله ثم استقم**» مرادف لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]، وهذا من توافق الكتاب مع السنة.

• **الفائدة السابعة**: جمع في الحديث أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة وهي:

- قول اللسان: لقوله «**قل آمنت بالله**».
- اعتقاد الجنان: لقوله «**آمنت بالله**».
- عمل الجوارح: لقوله «**استقم**».

• **الفائدة الثامنة**: الإيمان قول يصدقه عمل، فلم يكتف النبي ﷺ بقوله: «**قل آمنت بالله**» حتى أردف بها وصيته لسفيان رضي الله عنه بقوله: «**ثم استقم**» فيصدق قوله بالإيمان بفعل وعمل ظاهر.

• **الفائدة التاسعة**: قوله «**استقم**» تحمل في مضمونها المجاهدة، فلا تأتي الاستقامة على دين الله إلّا بعد مكابدة وصبر ومصابرة.



• **الفائدة العاشرة:** يجب على الإنسان أن يستقيم على دين الله من غير اعوجاج ولا انحراف، ويشمل ذلك فعل الطاعات وترك المنهيات.

• **الفائدة الحادية عشرة:** الحديث من معجزاته ﷺ؛ لأنه من جوامع كلمه ﷺ.

• **الفائدة الثانية عشرة:** جمع الحديث الدين كله، لأن الاستقامة هي فعل الطاعات كلها من واجبات ومستحبات، وترك المنهيات كلها من محرمات ومكروهات وهذا هو الدين الذي بعث به محمد ﷺ.

• **الفائدة الثالثة عشر:** فيه ردٌّ على المرجئة الذين يخرجون الأعمال من مسمى الإيمان؛ لأن الاستقامة عملٌ.

• **الفائدة الرابعة عشر:** فيه إتباع القول بالعمل؛ لقوله: «**قل**» و«**ثم استقم**».

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **التصديق:** لقوله في الحديث: «**آمنت بالله**» وأصل الإيمان هو التصديق، وهو يشمل أمرين:

ـ **قول القلب:** الذي هو التصديق والإقرار والمعرفة[1]، وهذا يزيد بالعلم وحسن التصور، وأصل العلم يؤخذ من نصوص الوحي؛ فإنها مصدر قول القلب وأساسه.

ـ **عمل القلب:** الذي هو المحبة والخوف والرجاء والتوكل والإرادة وغيرها، وهو المحرك للقلب وعلى قدر قوله يكون عمله، والعبد عليه أن يزداد علمًا وعملًا.

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/٢٣٦.

٢ ـ **الاستقامة**: «وهي كلمة جامعةٌ آخذةٌ بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله علـى حقيقة الصدق والوفاء بالعهـد»[١]، ومنبع كل ذلك القلب؛ بأن يقوم بالصدق والإخلاص، ثم تأتي الجوارح تبعًا.

٣ ـ **القصد**: لقوله: «**ثم استقم**»، فالاسـتقامة ترتبط بالقصد وتُفسر به[٢]، والقصـد هو الذي يجمع عـدة أمور: العزم والإصابة والسـداد والاعتدال، وأصل ذلك في القلب فمن أراد وعزم وكان عمله سـدادًا وصوبًا موافقًا للسـنة؛ عند ذلك يسـتقيم، كما أن القصد يحمل معنى سرعة الوصول واختصار الوقت.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

يتضمن الحديث الإشارة إلى اسمٍ من أسماء الله الثابتة له وهو:

ـ **المؤمِن**: وهو الذي صدَّق رسله بالبينات والبراهين، وأمَّن عباده من العذاب، وأعطى عبده المؤمن من اسمه، فالمؤمن آمِن في نفسه فهو أسـعد الناس بالله، ويأمنه مَن يخالطه فيأمن من لسانه ويده، فقوله في الحديث: «**آمنت بالله**» أي صدقت بالله الذي اسمه المؤمِن.

ومن آثار هذا الاسـم على المؤمِـن: أن يُقَوِّي حجتـه في الحق ليُصدِّق به مَن سـمعه، وأن يكون آمِنًا في قلبه بإبعاد الخوف من غير الله، وأن يكون مؤتمنًا على دينه وتبليغه، وهذا كله هو الاسـتقامة التي ذُكرت في الحديث.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص ٣١٥.

(٢) لسام العرب ٣/٣٥٣.

٢٢

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أَبيْ عَبْـدِ اللهِ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَـأَلَ النبي ﷺ فَقَالَ: «أَرَأَيتَ إِذا صَلَّيْـتُ المَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضانَ، وَأَحلَلتُ الحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلى ذَلِكَ شَـيئًا أَدخُلُ الجَنَّة؟ قَالَ: نَعَمْ»، رواه مسلم.

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ أن مَن صلى الصلوات المكتوبات، وصام شهر رمضان، وأَحل الحلال، وحرَّم الحرام أنه يدخل الجنة.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى:** فيه تفاوت الناس في الإيمان، فمنهم من يحرص على المقامات العليا، ومنهم من يكون أقل، فأحيانًا يسأل السائل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال؟ وأحيانًا بما دون ذلك، وهذا يؤكد مذهب أهل السنة والجماعة في أن الإيمان يزيد وينقص وأهله يتفاضلون فيه.

• **الفائدة الثانية**: طالب العلم ينبغي أن ينتبه للأسـئلة التي تعرض على الشيخ ويحضر لها ذهنه وقلبه ولو كانت من غيره، فلا بد أن يجد فيها فائدة كما صنع جابر رضي الله عنه.

• **الفائدة الثالثة**: دلَّ على جواز الاقتصار على الفرائض من المكتوبات ورمضان والزكاة وغيرها.

• **الفائدة الرابعة**: فيه فضيلة الفرائض لدرجـة أن من اقتصر عليها وداوم دخل الجنة بفضل الله ورحمته.

• **الفائدة الخامسة**: علـى العالِم أن يراعي حـال الناس، فلا يلزم الناس بحالة واحدة ويهمل الفوارق بينهم؛ بل عليه أن يوجه ويرشـد على حسب حال السائل، فالسائل في حديث الباب لم يوبخه النبي ﷺ ويلزمه النوافل بل رضيَ منه الفرائض لأنها تناسب حاله.

• **الفائدة السادسة**: من الفقه ألا يُقنِّط العالِمُ الناسُ من رحمة ربهم سبحانه وتعالى.

• **الفائدة السابعة**: فيه تيسـير الشريعة الإسـلامية على أهلها؛ فلم تشـدد عليهم، ولم تطالبهم بالتنطع والانقطاع والرهبانية، بل رضيت منهم الحرص على الفرائض وفعل الحلال وترك الحرام.

• **الفائدة الثامنة**: الحديث دليل لمذهب أهل السنة والجماعة على أن الأعمال من الإيمـان، وأن هذا متقررٌ عنـد الصحابة رضي الله عنهم كما هو حال السائل.

• **الفائدة التاسعة**: قول السائل: «ولم أزد على ذلك شيء» معناه: لم أفعل النوافل، بل أكتفي من الصـلاة بالمكتوبة، ومن الصيام برمضان وهكذا، وليس المراد أني لا أعمل بشـيءٍ من الشـريعة غير الصلاة والصيام بدليل قوله «وأحللت الحلال وحرمت الحرام».

• **الفائدة العاشرة:** التحليل والتحريم لله سبحانه فقط؛ لأنه الحكم سبحانه له الحكم وهو أحكم الحاكمين، ولهذا قال الرجل: «وأَحللتُ الحلال وحرمتُ الحرام».

• **الفائدة الحادية عشرة:** دلَّ الحديث على أن تحليل الحلال باعتقاد حله سواءً فعله أو لم يفعله، وتحريم الحرام باعتقاد حرمته واجتنابه وتركه.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **الرعاية:** وهي صيانة وحفظ بأن يرعى أعماله بالقيام بها حقيقة القيام، وذلك من خلال أمرين:

ـ صيانة الأعمال من الإفراط والتفريط؛ فلا يزيد فيها على الوجه المشروع، ولا ينتقص منه، وهذا يكون بالعلم.

ـ استصغارها واستقلالها في حق الله، فالله يستحق من الأعمال أعلاها وأصفاها وأكملها، ولو أدى ذلك العبد لكان حق الله أيضًا أعلى وأعظم.

وقول الرجل في الحديث: «**أحللت الحلال، وحرمت الحرام**» هو تأدية للأعمال على وجهها المشروع، وليس القصد منه التفريط والتهاون وأداء أدنى الأعمال.

٢ ـ **تعظيم حرمات الله:** لقول الرجل: «وأحللت الحلال، وحرمت الحرام» وهذا عملٌ قلبيٌ؛ لأن التحليل والتحريم هو اعتقاد ذلك والتصديق به، وقد مضى بيان منزلة التعظيم كثيرًا.



الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

ـ **الحكم**: الذي له الحُكم والأمر والنهي، وهو الذي شرع الأحكام، فأحل الحلال وحرَّم الحــرام، فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ [الأنعـام: ٦٢]، ومنه اسم الله الحكيم وله الحكمة كلها ﷻ.

وتعبد المؤمن بهذا الاسم يكون:

بالاعتقاد بأن الله هو المُشرِعُ وتصديقه في شرعه وأحكامه، وتطبيق شرع الله وحكمه على نفسه وحياته، والتسليم بذلك، وتحليل ما حلَّله الله وتحريم ما حرَّمه.

٢٣

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الحَارِثِ بنِ عَاصِم الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيْمَانِ، والحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الميزانَ، وسُبْحَانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ - أَو تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَو عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَو مُوبِقُهَا»، رواه مسلم.

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث منازل الأعمال الصالحة، ومن ذلك:

أ - الطهور نصف الإيمان: «فقيل معناه: أن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان، وقيل معناه: أن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا وكذلك الوضوء؛ لأن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان فصار لتوقفه على الإيمان في معنى الشطر، وقيل: المراد بالإيمان هنا الصلاة كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والطهارة

شـــرط في صحة الصلاة، فصارت كالشـــطر وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفًا حقيقيًا؛ وهذا القول أقرب الأقوال»[1].

ب ـ التحميد والتسبيح يملآن ما بين السماء والأرض:

ج ـ **الصلاة نورٌ**: «فمعناه أنها تمنع من المعاصي، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وتهدي إلى الصواب؛ كما أن النور يستضاء به، وقيل معناه: أنه يكون أجرها نورًا لصاحبها يوم القيامة، وقيل: لأنها ســبب لإشراق أنوار المعارف وانشراح القلب ومكاشفات الحقائق لفراغ القلب فيها وإقباله إلى الله تعالى بظاهره وباطنه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقيــل معناه: أنها تكون نــورًا ظاهرًا على وجهــه يوم القيامة ويكون في الدنيا أيضا على وجهه البهاء بخلاف من لم يصل»[2].

د ـ **الصدقة برهان**: فهي دليلٌ على صدق الإيمان؛ لأنه يُخرج المال الذي هو أحب الأشياء إليه طلبًا لرضى ربه.

هـ ـ **الصبر ضياء**: والمــراد أن الصبــر محمود ولا يــزال صاحبه مستضيئًا مهتديًا مستمرًا على الصواب[3]

و ـ **القرآن حجة لك أو عليك**: فإن عملت به فهو لك، وإلا فهو حجةٌ عليك لأن الله قد أوضح فيه ما يطلبه من العبد.

ثم أخبر النبي ﷺ: أن كل الناس يذهبــون صباحًا لأمور حياتهم، فمنهم من يعمل الصالحات فيعتق نفســه من النار، ومنهم من يوبقها، فيهلكها باتباع الهوى.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٠٠/٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى**: فيه فضيلة الوضوء وأهميته؛ لأنه المراد بقوله: «**الطهور**» لروايات الحديث الأخرى.

• **الفائدة الثانية**: الحديث دليلٌ لمذهب أهل السنة أن الأعمال من الإيمان؛ حيث اعتبر الوضوء شطر الإيمان.

• **الفائدة الثالثة**: لفظ «الطهور» يدخل فيه الوضوء والغسل؛ وكذلك الطهارة من الذنوب، وبينهما تلازم؛ فالوضوء كفارة للخطايا.

• **الفائدة الرابعة**: لا يحافظ على الوضوء إلّا مؤمن مراقب لربه، محتسب لصلاته، حريص على العناية بها، ولهذا كان الطهور شطر الإيمان، أما من تهاون به فهذا دليلٌ على قدر الصلاة في قلبه.

• **الفائدة الخامسة**: فيه فضل التحميد لله وأنه يملأ ميزان العبد يوم القيامة.

• **الفائدة السادسة**: لرفع همة المؤمن ينبغي أن يعلق قلبه بالآخرة وثقل الميزان والجنة؛ لأنها أمور معتبرة لديه ولذلك نص النبي ﷺ على أن التحميد يملأ ميزان العبد.

• **الفائدة السابعة**: التحميد أفضل من التسبيح؛ لأن التحميد إثبات المحامد كلها لله سبحانه، بخلاف التسبيح، فهو تنزيه الله عن النقائص والعيوب، ولهذا يأتي التحميد مفردًا، بينما التسبيح الغالب أن يأتي مقرونًا بغيره كالتحميد فتقول: «سبحان والله وبحمده» ولا يعني هذا نقص التسبيح لكن يعني كمال التحميد.

• **الفائدة الثامنة:** الحمد فيه اعتراف بفضل الله سبحانه ومدح له، ويتضمن نقص النفس لأنها لا تملك شيئًا تحمد فيه وتمدح لأجله.

• **الفائدة التاسعة:** فيه فضل التسبيح، وأنه يملأ ما بين السماء والأرض.

• **الفائدة العاشرة:** فيه فضيلة الصلاة وأنها نور لصاحبها في الدنيا والآخرة.

• **الفائدة الحادية عشرة:** قوله «**الصلاة نور**» دليل على أنه على قدر صلاته وإتمامها وخشوعها تكون قوة ذلك النور، نسأل الله أن يتم نورنا، فمن تم نور صلاته نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر وكانت حجابه عن النار، ونور الله بصيرته، ومن نقص نور صلاته نقص منه بقدر ذلك.

• **الفائدة الثانية عشرة:** فيه فضيلة الصدقة وأنها علامة من علامات الإيمان.

• **الفائدة الثالثة عشر:** النفس تحب المال بطبعها فمن خالف هوى نفسه وأنفق وتصدق كان ذلك برهانُ على إيمانه ولذلك قال «**والصدقة برهان**».

• **الفائدة الرابعة عشر:** فيه فضيلة الصبر وأنه ضياء للمسلم.

• **الفائدة الخامسة عشر:** قوله «**والصبر ضياء**» يدل على أن الصبر لا بد فيه من الحرارة وإكراه النفس؛ لأن الضياء نورٌ فيه حرارة بخلاف النور فهو مجرد الإشراق.

• **الفائدة السادسة عشر:** الصبر بأنواعه الثلاثة فيه حبس للنفس ومشقة سواءً:

ـ الصبر على طاعة الله.

ـ الصبر على معصية الله.

ـ الصبر على أقدار الله

• **الفائدة السابعة عشر**: الصبر على ما فيه من المشقة والشدة إلّا أن عاقبته نور وفرج وهذا مدلول قوله «**ضياء**» ففيه بشارة للصابر.

• **الفائدة الثامنة عشر**: في بعض نسخ صحيح مسلم «**والصيام ضياء**» وهذا يدل على ما يأتي:

ـ **الأول**: فيه أن المشقة التي تحدث في الصيام من حرارة في الجوف والجوع والعطش.

ـ **الثاني**: فيه فضل الصيام وأنه ضياء للإنسان عند الله سبحانه وتعالى.

• **الفائدة التاسعة عشر**: عظم شأن القرآن؛ حيث جعله أحد مزلتين لا ثالث لهما وهما «حجة لك أو عليك»، فمن قرأه وأقام حدوده كان حجة له وإلّا كان حجة عليه لوضوحه وبيانه وسلامته من اللبس والزلل.

• **الفائدة العشرون**: دلَّ على أن الناس في الدنيا يسعون ويعملون إما لفكاك رقابهم من النار أو لإهلاكها.

• **الفائدة الحادية والعشرون**: فيه فضل من باع نفسه لله سبحانه؛ فهذا الذي أعتق نفسه.

• **الفائدة الثانية والعشرون**: خسارة من ضيع أوامر الله وانتهك حرماته، فهذا الذي أوبق نفسه وأهلكها.



• **الفائدة الثالثة والعشرون**: فيه حثٌّ على العمل والعبادة لله ﷻ والحرص على إعتاق النفس من النار؛ لقوله «**فبائع نفسه فمعتقها**».

• **الفائدة الرابعة والعشرون**: الحديث دليل على أن الشخص له إرادة واختيار، بها يختار إعتاق النفس من النار أو يرضى بإهلاكها.

• **الفائدة الخامسة والعشرون**: الحديث دليل على أن الأعمال تنسب للفاعل، فهو الذي يعتق نفسه، وهو الذي يهلك نفسه، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

• **الفائدة السادسة والعشرون**: هناك مناسبة ظاهرة بين نهاية الحديث مع أوله: فبعد أن ذكر جملة من الأعمال من الطهور والتحميد والتسبيح والصلاة والصدقة والصبر والقرآن، ذكر أن من عمل هذه الأعمال أعتق نفسه ومن تركها وتهاون أهلك نفسه.

• **الفائدة السابعة والعشرون**: قوله: «**فبائع نفسه فمعتقها**» **يؤيد الحديث الآخر** «**وأصدقها ـ يعني الأسماء ـ حارث وهمام**» فلا بد للإنسان من حرث وعمل وهم وإرادة بها يتحرك، ثم بعد ذلك قد يكون حرثه وعمله في إعتاق نفسه، وقد يكون في إهلاكها.

• **الفائدة الثامنة والعشرون**: الحديث دليلٌ على أن الإيمان يحتاج إلى برهان يصح به؛ لقوله: «**والصدقة برهان**» أي دليلٌ على صحة الإيمان.

• **الفائدة التاسعة والعشرون**: فيه أن الشكر يستولي على حياة المؤمن؛ ولهذا تكررت كلمة «الحمد لله» مرتين في الحديث.

• **الفائدة الثلاثون**: فيه أن تفاوت الناس إنما هو في الأعمال الباطنة والظاهرة؛ لقوله: «**كل الناس يغدو**».

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **التصديق**: لقوله: «**شطر الإيمان**» والمقصود تصديق القلب، وقد مضى الكلام على التصديق وحقيقته.

٢ ـ **الحمد والشكر**: وأصل التحميد والشكر عملٌ قلبي، «وهو مبني على ثلاثة أركان: الاعتراف بها باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها»[1]، ولأن الله ملك فهو يحب الشكر وهو يستحقه.

٣ ـ **التنزيه**: وهو تعظيم الله عن النقائص؛ لقوله: «**سبحان الله**» وقرن التسبيح بما بين السماء والأرض؛ لأن كل ما بين السماء والأرض يحدث له من التغير والتَبَدُّل ما يتنزه الله عن مثله، ولما يوجد فيه من فقر المخلوقات لله المستلزم لعبوديتها له.

٤ ـ **الصبر**: وأصله حبس القلب عن الجزع؛ ولهذا تنحبس الجوارح عن التسخط، وناسب أن يكون ضياءً لأن ظلمة القلب تمنع نوره، فاحتاج القلب إلى ما يزيل ظلمته وسبيل ذلك بالصبر والمصابرة على أوامره ونواهيه وأقداره التي تخلف هوى النفس.

٥ ـ **الإرادة**: لقوله: «**كل الناس يغدو**» فعلى قدر إرادتهم تكون أعمالهم، والإرادة التي هي من منازل الإيمان هي نهوض القلب لطلب مرضاة الله وقد مضى بيانها.

---

(١) الوابل الصيب، ص٥.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

هذا الحديث فيه العديد من الأسماء الحسنى، ومنها:

١ ـ **الطيب**: فالله هو الطيب، ولا يقبل إلا طيبًا، ويحب كل ما هو طيبٌ من الأقوال والأفعال، وجعل شـرعه ودينه طيبًا، وأمر بالطهارة وهي التطيب والتنزه عن النجاسـات، فجعل الطهور نصف الإيمان، ومن آثـار ذلك على المؤمـن: طهارته الحسـية والمعنوية، وطهارة ظاهره وباطنه.

٢ ـ **القدوس**: فـالله هو القدوس الذي تنزه عـن النقائص والقبائح، ويُحب أن يقدسه عباده، ويسبحونه بالليل والنهار، فالتسبيح هو تنزيه لله عما لا يليق به، وهذا يورث العبد التعظيم والتوقير والإجلال لله.

٣ ـ **الحميد**: فـالله حميدٌ محمودٌ على كل حـال، وله الحمد، وقد حَمَدَ نفسه، وحمده عباده، وهو أهلٌ أن يحمد ويمدح، ولمحبته للحمد والمدح جعل الحمـد يملأ الميـزان الذي يزن السـموات والأرض، ولمحبته الحمد أمرنا أن نشـكر مـن صنع لنا معروفًـا، والحمد أوله وآخره وكله لله وحده، فما من أمرٍ يُحمد عليه إلا وهو من الله، فالله الذي قدَّره وهيأ أسبابه.

٤ ـ **النور**: فالله هو النور، ومنه النور، ونور السموات والأرض من نوره، وشرعه نور، وحجابه النور، وكلامه نور، والصلاة نور، ويعطى العبد من نور الله على قدر ما معه من ديـن الله، ويعبر العباد الصراط يوم القيامة ومعهم نـورٌ على قدر أعمالهم، حتـى المنافقين لما كان معهم نور إسـلام في جوارحهم أُعطـوا نورًا يوم القيامـة على قدر إسلامهم، ثم ينطفئ لأن نورهم ناقص، والكافر لا نور معه لخلو قلبه

من شرع الله، والملائكة خلقهم الله من نور، ويمدون المؤمن على قدر ما معه من نور، والقبور فيها نورٌ وفيها ظلمة على قدر أعمال الموتى من الصلاح وعدمه، ومن كان من أهل النور في الدنيا أنا الله قبره في برزخه كما أنار الله قلبه في حياته، وينيـــر الله آخرته، حتى يدخل دار النور وهي الجنة.

٥ ـ **القيوم**: فالله هـــو القيوم القائم على كل نفـــس، وعلى حاجات عباده، فكل الناس يغدون في دنياهم، والله قائمٌ على أمورهم، ويصرفهم كيفما يشـــاء، ويحفظهم ويؤيدهم ويهديهم ويدبر شؤونهم، فهو الملك الحي القيوم، ومن آثار هذا الاســـم: تعظيـــم الله وإجلاله في القلوب، ومحبته على قيامه بشؤون عباده.

٢٤

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ أَبي ذرٍّ الغِفَارْي ﵁ عَن النبي ﷺ فيمَا يَرْويه عَنْ رَبِّهِ عزَّ وجل أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِيْ إِنِّيْ حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِيْ وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوْا، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُوْنِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُوْنِيْ أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِيْ إِنَّكُمْ تُخْطِئُوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعًا فَاسْتَغْفِرُوْنِيْ أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِيْ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوْا ضَرِّيْ فَتَضُرُّوْنِيْ وَلَنْ تَبْلُغُوْا نَفْعِيْ فَتَنْفَعُوْنِيْ، يَا عِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوْا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِيْ مُلْكِيْ شَيْئًا.

يَا عِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوْا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِيْ شَيْئًا، يَا عِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوْا فِيْ صَعِيْدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوْنِيْ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِيْ إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِيْ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيْكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُوْمَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»، رواه مسلم.

المعنى الإجمالي:

هذا حديث قدسـيٌ عظيم بيَّـن فيه الله أنه حرَّم الظلم على نفسه وجعل الظلم محرمًا بين العباد، وأن العباد كلهم ضالون إلا من هداه الله فأرشـده، وأن العباد جائعون إلا من أطعمه الله، فاطلبوا الطعام من الله، وأنهم عارون من الكسـاء إلا من كسـاه الله، وبيَّن أن العباد يخطئون بالليل والنهار، والله هو الذي يغفر الذنوب جميعًا، فاطلبوا منه المغفرة، وبيَّن الله للعباد عجزهم وفقرهـم، وأن الله لا تنفعه طاعتهم، ولا تضره معصيتهم، وأخبرهم الله بسـعة رزقـه وكرمه وأنـه لا ينقص ما عنده سبحانه، ثم بيَّن لهم أن العباد مسؤولين عن أعمالهم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: الحديـث يربي في نفس المسـلم رحمة الله ﷻ وهذا ظاهر في جميع ألفاظ الحديث.

- **الفائدة الثانية**: الحديث يـورث الحياء من الله سـبحانه، فمع غناه الكامل وعظمته إلّا أنه ينادي عباده بنداء لطيف لدعائه وعبادته واستغفاره.

- **الفائدة الثالثة**: الحديـث يزيد من محبة الله سـبحانه في القلوب المؤمنة؛ لأن جميـع ألفاظ الحديث ومعانيه تزكـي المحبة في القلب وتحركها.

- **الفائدة الرابعة**: يتوجه النداء في قوله: «**يا عبادي**» إلى جميع البشر مؤمنهم وكافرهم، إنسـهم وجنهم، فكلهم عباد لله عبودية عامة؛ ولهذا فالحديث من أحاديث الربوبية العامة.

• **الفائدة الخامسة**: فيه أن الله يحب المدح؛ ولذلك مدح نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ فهو أهل للمدح.

• **الفائدة السادسة**: الحديث يربي في النفس المؤمنة الافتقار إلى الله والتذلل له والمسكنة وتمام الحاجة إليه.

• **الفائدة السابعة**: يدل الحديث على غنى الله سبحانه عن جميع خلقه، فهو غني بذاته.

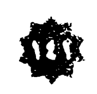
• **الفائدة الثامنة**: مذهب أهل السنة والجماعة أن الله حرم الظلم على نفسه سبحانه مع قدرته عليه، ولكنه حرَّمه فضلًا منه وجودًا وكرمًا، فهو قادر عليه سبحانه إذ لو لم يكن قادرًا لم يكن في تحريمه الظلم على نفسه مدحًا، إذا كيف يمدح نفسه بشيء لا يقدر عليه ؟!.

• **الفائدة التاسعة**: يدل الحديث على تحريم الظلم بجميع صوره وأشكاله بين الناس، وصيغة الحديث تدل على الترهيب منه حيث جعله الله على نفسه محرمًا ثم حرمه على الناس.

• **الفائدة العاشرة**: فيه أن تحريم الله الشيء على نفسه صيغة تدل على التحريم، فهي من ألفاظ النهي.

• **الفائدة الحادية عشرة**: يدل الحديث على أن الهداية بيد الله يعطيها من يشاء بفضله، ويمنعها من يشاء بعدله، ولذلك قال «فاستهدوني» فتطلب من عنده.

• **الفائدة الثانية عشرة**: دلَّ الحديث على أن الإنسان لولا إعانة الله لضل السبيل ولا يملك دلالة لنفسه وإرشادًا لها؛ لقوله: «**يا عبادي كلكم ضال**».



• **الفائدة الثالثة عشر**: قولـه «**كلكم ضال إلّا مـن هديته**» فيه بيان لفضل الرسل لأن الله هدى بهم الناس وأخرجهم مـن الظلمات إلى النور يبلغون دين الله وهداه ونوره.

• **الفائدة الرابعة عشر**: يدل الحديث على حاجة الإنسان إلى الهداية في كل لحظات حياته؛ ولهذا علّق سبحانه الهداية به وحده.

• **الفائدة الخامسة عشر**: أمر الله في هذا الحديث بالدعاء ووعد بالإجابة فقال: «**فاستهدوني أهدكم**»، وقال: «**فاستطعموني أطعمكم**»، وقال: «**فاستكسوني أكسكم**» وهذا يربي في الأنفس اليقين بوعد الله سبحانه.

• **الفائدة السادسة عشر**: دلَّ على أن الطعام والرزق على وجه العموم كله من عند الله سبحانه، لا يملك أحد منه شيء، وهذا يوجب اليقين بما قسم الله، والرضاء به، وسؤال الله الرزق.

• **الفائدة السابعة عشر**: في قوله «**كلكم جائع إلّا من أطعمته**» إظهارٌ لفقر الإنسان وحاجته الشديدة؛ حيث أنه لا يملك أن يطعم نفسه أو يكسيها؛ فسبحان الغني وحده.

• **الفائدة الثامنة عشر**: فيه بيان لمنة الله على جميع خلقه وتفضله عليهم في الأكل واللباس والهداية فله الحمد.

• **الفائدة التاسعة عشر**: الحديث يربي التفكر في حياة الإنسان نفسه، في طعامه ولباسه، فمن تفكر فيها وكيف أتته؟ ومن ساقها إليها؟ قاده ذلك إلى شكرها والاعتراف بفضل المنعم بها.

• **الفائدة العشرون**: فيه عِلْم الله بخطايا الإنسان وإحصائها، ومع هذا يرزقهم ولا يفضحهم؛ لقوله: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار**».



• **الفائدة الحادية والعشرون:** قولــه: «**تخطئــون بالليل والنهار**» يربي على مراقبة الله في قلب المسلم؛ حيث علم الله ذنوبه وعدها، ومن راقب الله نهى النفس عن الهوى.

• **الفائدة الثانية والعشرون:** فيه عظم حلم الله سبحانه حيث تأتيه المعاصي والذنوب والخطايا من الخلق بالليل والنهار ومع ذلك لم يعاجلهم بعقوبة.

• **الفائدة الثالثة والعشرون:** قوله «**وأنا أغفر الذنوب جميعًا**» يزيد من منزلة الرجاء عند المؤمن.

• **الفائدة الرابعة والعشرون:** الحديث يدل على عظمته ســبحانه المطلقة، وهذا ظاهر في قوله «**لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**».

• **الفائدة الخامسة والعشرون:** الله ســبحانه لا يتعاظمــه ذنب أن يغفره إذا استغفر صاحبه ولو كان الشرك؛ لقوله «**وأنا أغفر الذنوب جميعا**».

• **الفائدة السادسة والعشرون:** فيه تربية للمؤمن على الاســتغفار والاكثار منه ومداومته لفرط الحاجة إليه؛ لقوله: «**فاستغفروني أغفر لكم**».

• **الفائدة السابعة والعشرون:** دلَّ الحديث على أن العبد محتاج إلى الله ســبحانه فــي أمور الدنيا من ســد جوع وعطــش ولباس، ومحتاج إليه في أمــور الآخرة من هداية ومغفــرة ذنوب؛ فرجعت حاجة العبد لربه دنيًا ودين.

• الفائدة الثامنة والعشرون: دلَّ على أن الطاعات لا تنفع إلا أصحابها، وأن المعاصي لا تضر إلا إياهم، أما الله فلا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين لقوله: «**يا عبادي لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**».

• الفائدة التاسعة والعشرون: كرمه ﷻ في رزق الخلق جميعًا، وجلب المنافع ودفع المضار مع أن منهم الكافر والمؤمن، والعاصي والطائع الذي قصر في طاعته.

• الفائدة الثلاثون: قوله «**قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئًا**» مرادف لقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١].

• الفائدة الحادية والثلاثون: الثواب والعقاب يكون على الأعمال ويتجاوز الله عن السيئات ويعفو عمن يشاء، ويدخل الجنة من يشاء بفضله؛ لقوله: «**إنما هي أعمالكم أحصيها لكم**».

• الفائدة الثانية والثلاثون: على الإنسان أن يُرجع سبب ما يصيبه من خير إلى الله سبحانه، وما يصيبه من شر إلى نفسه ويتهمها في ذلك؛ لقوله: «**إنما هي أعمالكم**».

• الفائدة الثالثة والثلاثون: في قوله: «**فاستهدوني أهدكم**» **مع قوله**: «**إنما هي أعمالكم**» تأصيل لمذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر أن الهداية بيد الله يؤتيها الله من يشاء، والعبد له قدره واختيار وعمله ينسب له.

• الفائدة الرابعة والثلاثون: في الحديث أن الله سبحانه يحصي جميع الأعمال لقوله: «**أحصيها لكم**»؛ والإحصاء الإحاطة وشدة العدَّ، ويستلزم العلم الواسع، فنسأل الله أن يتجاوز عنا.

• **الفائدة الخامسة والثلاثون:** فيه أنَّ دخول الجنة يكون بفضل الله ورحمته وليس بمجرد الأعمال؛ لقوله: «**فمن وجد خيرًا فليحمد الله**» أي يحمده لأن الخير بفضل الله لا بمجرد العمل.

• **الفائدة السادسة والثلاثون:** يدل الحديث على أن الجن مكلفون بعبادة الله سبحانه كالأنس وسيحاسبهم الله سبحانه؛ ولهذا نصَّ عليهم في الحديث.

• **الفائدة السابعة والثلاثون:** فيه أن أرزاق البشر جميعًا والدنيا والأموال وكل ما في الكون لا ينقص مما عند الله شيء، فسبحان من لا تغيضه نفقة ولا ينقص ما عنده، لقوله «**ما نقص مما عندي شيئا**».

• **الفائدة الثامنة والثلاثون:** فيه أن التقوى والفجور محلها القلب؛ لقوله: «**على أتقى قلب رجل واحد منكم**»، **وقال** «**على أفجر قلب رجل واحد منكم**»، فعلى الإنسان أن يهتم بقلبه ويراعي حاله وتقواه ويزيل أمراضه.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

الحديث جمع العديد من أعمال القلوب، ومن ذلك:

١ ـ **المحبة:** وهذا ظاهر في جميع ألفاظ الحديث، فإنها تزيد من محبة الله، وقد سبق الكلام عنها.

٢ ـ الرجاء: لقوله: «**وأنا أغفر الذنوب جميعا**»، **وضابط الرجاء الشرعي هو ما أورث العمل؛ ولهذا قُرن في الحديث بينهما فقال:** «**إنما هي أعمالكم**»، فإذا خلى الرجاء من العمل فهو التمني، فالرجاء هو الحادي الذي يحدو القلب إلى الله والدار الآخرة، والله يحب الرجاء

لأن العبد يؤدي فيه عبودية الأمل بربه، والنظر لفضل سيده، ومن حبائل الشـيطان في منزلة الرجاء أنه يجعل العبد يتجاسـر على حرمات الله، وهذا من خطواته التي يضل بها العبد.

٣ ـ **الخوف**: لقوله «**إنمـا هي أعمالكم أحصيهـا لكم**»؛ لأن لفظ الإحصاء يقتضي الشـدة في العدِّ، والخوف هو اضطـراب القلب من المخوف، وهو يوازن الرجاء فوجوده ضـروري للرجاء كما أن الرجاء وجوده ضروري للخوف، وهذا التلازم بين أعمال القلوب، والله يستحق أن يخاف منه لأنه ملك الملوك، ومن خاف من الله هرب إليه.

٤ ـ **المحاسبة**: لقولـه: «**إنما هي أعمالكم أحصيهـا لكم**»، ومنزلة المحاسبة من أوائل المنازل التي يتربى عليها المؤمن، وهي التمييز بين ماله وعليه، وأن يقايس العبد بين نعمة الله عليه وذنوبه وخطاياه، كما أن عليه أن يقايس بين حسـناته وسـيئاته، وأعلى درجات المحاسـبة أن تقايس بين حق الله عليك من العبودية وبين تفريطك في هذا الحق[١].

٥ ـ **الافتقار والذل لله**: وأصـل ذلك في القلـب، وألفاظ الحديث كلها تورث العبد ذله وفقره وحاجته لله، ومن ذلك الشعور القلبي بأن الله المتصـرف والمالك والمدبر لكل شـيء، ومن الافتقار الشـعور بالذنب والتقصير في حق الله، كما جاء في الحديث: «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا**».

٦ ـ **التقوى**: لقوله: «**على أتقـى قلب رجل**»، والتقوى أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، والله أهـلٌ أن يُتقى كما قال: ﴿**هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ**﴾ [المدثر: ٥٦]، وقد سماها الله لباسًا في قوله: ﴿**وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ**

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص ٧٤ وما بعدها.

ﵟذَٰلِكَ خَيۡرٞۚﵞ [الأعراف: ٢٦]؛ إشــارة إلى أنها لا تُنزع عن المؤمن حتى يلاقي ربه، «وهي على ثلاثة مراتب:

- إِحْدَاهَا: حمية الْقلب والجوارح عَن الآثام والمحرّمات.
- الثَّانِيَة: حميتها عَن المكروهات.
- الثَّالِثَة: الحمية عَن الفضول وَمَا لَا يَعْنِي.

فَالْأولى تُعْطِي العَبْد حَيَاته، وَالثَّانِيــة تفيده صِحَّته وقوته، وَالثَّالِثَة: تكسبه سروره وفرحه وبهجته»[١].

فعلى العبد أن يعتني بالمرتبة التي تناسب حاله، ويترقى منها غلى المرتبة الأعلى، فلا يليــق بالعبد الواقع بالآثــام والمحرمات مجاهدة نفســه عــن مواقعــة المكروهات، بــل عليــه أن يتقــي الله باجتناب المحرمات، ثم يجاهدها على تــرك المكروهات، ثم ترتفع همته لترك المفضــولات، ومن هنــا كان من مكر الشــيطان أن يشــغله بالدرجة المفضولة عن الدرة الفاضلة الواجبة.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ العدل: لقوله فــي الحديث: «**إني حرمت الظلم على نفســي**»، وأيضًا لقولــه: «**فمن وجــد خيرًا فليحمــد الله، ومن وجــد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**».

فالله عدلٌ ومن أسمائه العدل، وأحكامه وشرعه ودينه وأقواله وأفعاله كلها عدل، وأقضيته كلها عدل كما قال النبي ﷺ: «**عدلٌ فيَّ قضاؤك**»[٢]

---

(١) الفوائد، ص٣١.

(٢) مسند أحمد ٣٩١/١.



ولأنه عدل حرَّم الظلم على نفســه، وجعله بيننا محرمًا، ومن عدل الله أنه لا يُنسب له شرٌ محض، فالشر ليس إلى الله، فالحديث بهذا يربي على التخلص من ظلم النفس الذي تلبس بــه العبد، ومن ظلم الغير، وأن يكون عادلًا في أقواله وأفعاله لأنه سيده عدل يحب العدل.

٢ ـ **الهادي**: وقد ذكره بعض أهل العلــم، والله يُخبر عنه بأنه يهدي ويضل، وفي حديث الباب قوله: «**كلكم ضالٌ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم**»، وفي هذا بيان لحاجة العبد للهداية وأنه أشــد احتياجًا لها من حاجته للأكل والشــراب، كما أن لفظ الحديث يــدل على أن الأصل ضلال العبد حتى يهديه الله، ولهذا شُرع لنا طلب الهداية في كل ركعة إشــارة إلى حاجتنا للهداية في كل لحظة، وهي تُطلب من الله كما أنها نورٌ يقذفه الله في القلب، فالله يهدي ويبين السُبل والطرق الموصلة إليه، ثم يهدي بأن يشرح قلب عبده لقبولها واتباعها[1].

٣ ـ **الرزاق والقيوم وفروعهما**: لقوله: «**كلكم جائع إلا من أطعمته**» **وقوله**: «**كلكم عارٍ إلا من كسوته**»، ورزق الله نوعان:

أ ـ **رزق القوت**: وهذا شاملٌ لجميع مخلوقاته علويها وسفليها، ولم يخلق الله خلقًا ويضيعه، بل يرزقه ويقوم على شــؤونه وحاجاته، وهذا من آثار اسمه الرزاق والقيوم.

ب ـ **رزق العلم والإيمان**: وهذا رزقــه لأوليائه بأن رزق قلوبهم بالغذاء الصالح لها، فأمدها بالعلم به وبأسمائه وصفاته، وبالإيمان به

---

(١) أنصح بقراءة منزلة الهداية في أول كتاب مدارج السالكين لمعرفة: معناها، ومراتبها، وافتقار الخلائــق للهداية، وكيف تكــون الهداية هي أجل المراتــب؟ والفرق بين الهداية العامة والخاصة، وعلاقتها بسروة الفاتحة وغير ذلك من المباحث.



وما أخبر به، فكان رزقها هذا أعظم من رزق الأبدان، وحديث الباب فيه الرزقان جميعًا فرزق القلوب بالهداية، ورزق الأبدان بالطعام والكسوة.

٤ ـ الحفيظ والحسيب: لقوله: «**إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم**» **فالإحصاء والعد تدل على حفظ الله لأعمال عباده وكتابتها حجة عليهم، وقوله:** «**فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه**» يدل على اسم الله الحسيب الذي يحاسب عباده بأعمالهم، وهذا يربي في قلب المؤمن الخوف والاستعداد للقاء الله.

٥ ـ الغني: لقوله: «**ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر**» والله هو الغني فعنده خزائن كل شيء، وله ميراث السموات والأرض، وهو الذي يغني عباده بما يقيم حياتهم، ويغني قلوب أولياءه بالإيمان والمحبة وأعمال القلوب، ولـمَّا كان الله غنيًا أصبح الشيطان يعد بالفقر كما قال الله: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، فالله يُغني أتباعه والشيطان يفقر أتباعه.

٢٥

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ أَبي ذَرٍّ ﵁ أَيضًا أَنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالوا للنَّبي ﷺ يَا رَسُولَ الله: ذَهَبَ أَهلُ الدثورِ بِالأُجورِ، يُصَلُّوْنَ كَمَا نُصَلِّيْ، وَيَصُوْمُوْنَ كَمَا نَصُوْمُ، وَيَتَصَدَّقُوْنَ بفُضُوْلِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: «أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُوْنَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيْحَةٍ صَدَقَة، وَكُلِّ تَكْبِيْرَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَحْمَيْدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيْلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بالِمَعْرُوْفٍ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِيْ بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ أَيَأْتِيْ أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُوْنُ لَهُ فِيْهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فَيْ حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فَي الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ

المعنى الإجمالي:

كان الفقراء من الصحابة ﵃ ينافسون الأغنياء في الخيرات، فشكوا إلى النبي ﷺ أن أهل الأموال ذهبوا بالأجور! لأن الأغنياء يصلون ويصومون ويزيدون على الفقراء بالصدقات، فدلهم النبي ﷺ على أبواب من الصدقات أخرى وهي: التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بيّن لهم أن إتيان الرجل



زوجته يعتبر صدقةً، لأنه لو وضع هذه الشهوة في حرام كان عليه وزر؛ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: أن التسابق يكون في فعل الخيرات وليس في أمور الدنيا.

- **الفائدة الثانية**: فيه بيانٌ لحال الصحابة رضي الله عنهم ورفعة همتهم، وما كان يشغلهم ويدور في خواطرهم، حيث كان الهم الأكبر لدى الواحد منهم ألا يسبقه أحد في فعل الصالحات.

- **الفائدة الثالثة**: فيه أن الصحابة كانوا يحزنون إذا تعذر على الواحد منهم عمل من أعمال الخير، كما وصفهم الله بقوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

- **الفائدة الرابعة**: فيه إحسان الظن بالمسلمين؛ حيث قال الصحابة رضي الله عنهم عن إخوانهم الأغنياء «ذهبوا بالأجور» فأحسنوا الظن بهم وبأن الله تقبلها منهم، وهذا كله لصفاء قلوبهم من الغل والحقد والحسد.

- **الفائدة الخامسة**: من آتاه الله فضلًا من عنده من مالٍ أو غيره فليسخره في طاعة الله؛ فأغنياء الصحابة أنفقوا مما آتاهم الله فسبقوا غيرهم ممن لا مال له.

- **الفائدة السادسة**: فيه أن تنافس الصحابة رضي الله عنهم وتسابقهم خالٍ عن الغل والحسد، بل مجرد غبطة على ما آتاه الله من فضله لبعضهم دون البعض، ولذلك لم يجرحوهم أو يسبوهم أو يتمنوا زوال ما عندهم.



• الفائدة السابعة: دلَّ الحديث على أن الشخص إذا كان يعجز عن بابٍ من أبواب الخير فليذهب إلى باب آخر، فلما كان فقراء الصحابة لا يجدون ما يتصدقون به دلهم النبي ﷺ على أبواب أخرى من العبادة من التسبيح والتحميد وغيره.

• الفائدة الثامنة: دلَّ علـى أن الأصل تنويع المسـلم للعبادات من صلاة وصيام وإنفاق وغير ذلـك حتى يفوز بقبول الله سـبحانه، لأنه لا يعلم أي أعماله تقبل.

• الفائدة التاسعة: دلَّ على تنوع شعب الإيمان وتعددها مما يجعل الشخص مشغولًا طوال عمره في تحصيلها وتتبعها.

• الفائدة العاشرة: فيه سعة مدلول الصدقة، وأنها تشمل جميع أنواع فعل المعروف.

• الفائدة الحادية عشر: دلَّ على أن إتيان الرجل شهوته له بها صدقة إذا احتسبها عند الله.

• الفائدة الثانية عشر: يقاس على شـهوة الإنسان ما يشابهها من الشهوات كالأكل والشرب والنوم وغيرها؛ للمسلم فيها أجر عند الله إذا احتسبها.

• الفائدة الثالثة عشر: فيه بيان لكرم الله سبحانه على عباده في فتحه أبواب الخيرات والعبادات.

• الفائدة الرابعة عشر: كرامة المسـلم عند الله حيث جعل له أجرًا حتى في أمور الفطرة.

• **الفائدة الخامسة عشر**: دليل لمن يحتج بالقياس وهم الجمهور من أهل العلم لأن النبي ﷺ قاس أجر إتيان الزوجة على وزر من فعل الحرام.

• **الفائدة السادسة عشر**: فيه عفة لسان النبي ﷺ والصحابة؛ حيث أنهم ذكروا كنايات عن الشهوة، فقال النبي ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقه**»، وقوله ﷺ كذلك «**وضعها في حرام**»، **وقال الصحابة**: «**يأتي أحدنا شهوته**» فكنوا في مثل هذه الألفاظ ولم يصرحوا لكمال عفتهم.

• **الفائدة السابعة عشر**: فيه أن الصدقة تكون بغير مال كما هو صريح الحديث.

• **الفائدة الثامنة عشر**: على العالم أن يفتح ويعدد أبواب الخير على الناس حتى يعمل كل واحد بما يستطيع فعله ولذلك نوَّع النبي ﷺ على الصحابة أبواب الخير ما بين صدقه وذكر وأمر بمعروف.

• **الفائدة التاسعة عشر**: على العالِم أن يسّهل فعل الخير للناس ولا يضع بينهم وبينه حواجز، بل يجعل فعل الخير أقرب لهم من كل قريب كما فعل ﷺ مع فقراء الصحابة.

• **الفائدة العشرون**: الحديث يربي الحديث في نفس المسلم حفظ الوقت، فما دام أن التهليل والتكبير والتحميد والذكر عامة صدقة، بل كل فعل خير صدقة فإن ذلك يجعل المسلم حريصًا على ألا يصرف وقته إلا في فعل الصدقات.

• **الفائدة الحادية والعشرون**: الحديث يجدد النية في قلب المؤمن، فإتيان الزوجة والإنفاق على الأهل وطلب الرزق تكتب للإنسان



صدقات إذا نواها واحتسبها عند الله، فهذا يجعل المؤمن مجددًا لنيته مع مرور الوقت.

• **الفائدة الثانية والعشرون**: فيه فضل الذكر وأن فيه عوضًا عن كل مفقود.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **التبتل**: وهو الانقطاع لله في الإقبال عليه، ولفظ الحديث يدل على أن الصحابة ﷺ يقبلون على الله بفعل الخيرات، ويقوم التبتل على درجتين:

أ ـ **الانقطاع عن حظوظ النفس**: ويكون بالتدريج لشدة تعلق النفس بأهوائها، وكلما تجرد عن شهوة من شهوات النفس أقبل على الله بقدر ذلك الانقطاع، حتى يصل إلى أعلى الدرجات، وهي أن يكون هواه تبعًا لما جاء به الله ورسوله ﷺ، ولا يكون هذا التبتل والانقطاع عن حظوظ النفس إلا بالتزود من أعمال القلوب والإكثار من الأعمال الصالحة التي وردت في الحديث.

ب ـ **ترويض النفس بالعبادة**: ويستدلون لها بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ [الزمر: ٣٣]، فيروض العبد قلبه بالإخلاص الباعث على العمل، ويروض جوارحه بتوفيتها حقها في حق الله وحق العباد، ولفظ الحديث يدل على تنويع العبادات بين العبادة الخاصة والعامة، وقد أسماها ابن القيم ـ تبعًا لعلماء السلوك ـ منزلة الرياضة، وعرفها بقوله: تمرين النفس على الصدق والإخلاص[1]، وتمرين النفس يكون في بداية الأمر حتى تتروض النفس وتعتاد الأعمال الصالحة.

---

(١) تقريب مدراج السالكين، ص٢٢٢

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

ـ **الواسع**: لقوله: «**قد جعل الله لكم ما تصدقون**»، **فجعل التسبيح والتحميد والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صدقة، وهذا من آثار سعته سبحانه في التوسعة على عباده، وثوابه لهم على ذلك من آثار سعة جزائه، ومعنى الواسع**: «**الصفات والنعوت ومتعلقاتها بحيث لا يحصى أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة، والسلطان، والملك، واسع الفضل، والإحسان عظيم الجود والكرم**»[1].

---

(١) تفسير أسماء الله للسعدي، ص ٨٧.

٢٦
الحديث السادس والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْــهِ صَدَقَةٌ كُـلَّ يَـومٍ تَطْلُـعُ فِيْـهِ الشَّــمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِيْنُ الرَّجُلَ فــي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُ لَهُ عَلَيْهَا أَو تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَــةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَــةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِــيْهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيْطُ الأَذى عَنِ الطَّرِيْقِ صَدَقَةٌ»، رواه البخاري ومسلم.

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ بأن كل إنســان له مفصل، وأن هذه المفاصل نعمة عظيمة تســتحق الشــكر والصدقة عنه، وحيث أن العبد لا يوفي شكر جميع هذه المفاصل فوســع الله له أبواب الصدقات فجعل الفصل بين المتنازعين بالعــدل صدقة، وإعانة المســلم لأخيه فــي دابته صدقة، والكلمة الطيبة التي تســر الخاطر صدقة، كما أن الخطوات للمســجد صدقات، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، وبهذا يؤدي المســلم شكر نعمة المفاصل بعد عفو الله عن النقص.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى:** وجوب شكر نعم الله التي في الإنسان ذاته لقوله: «**على كل سلامى من الناس صدقة**»؛ أي: كل عظم من عظام الإنسان يحتاج إلى شكر لله بصدقة لأنه ركبه وأتمه وأنعم به.

• **الفائدة الثانية:** فيه أن التفكر في النفس من سمات المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

• **الفائدة الثالثة:** دلَّ على أن أفضل الصدقات ما كان متعديًا نفعه مثل: أن تعدل بين اثنين، وأن تحمل متاع أخيك، أو تعينه على حمله، وإماطة الأذى عن الطريق.

• **الفائدة الرابعة:** على المسلم ألا يحتقر أي عمل يحتسبه عند الله سبحانه، ولو رفع متاع إنسان على دابته وإعانته على ذلك، وهذا من الصدقة.

• **الفائدة الخامسة:** حديث أبي ذر رضي الله عنه السابق، أغلب الأعمال التي ذكرت فيه تتناول علاقة الإنسان مع ربه سبحانه وتعالى من ذكر وتهليل وتحميد وأمر بمعروف ونهي عن منكر، أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فأغلب الأعمال في علاقة الإنسان مع إخوانه المسلمين ومع مجتمعه، فهما حديثان يكمل أحدهما الآخر.

• **الفائدة السادسة:** الحديث يربي في النفس التواضع حيث يحمل المسلم متاع أخيه ويحمله على دابته ويميط الأذى، فهذا كله يطرد الكبر من القلب.

• **الفائدة السابعة**: الحديث يربي جانب الأخوة بين المسلمين في تعاونهم وتعاضدهم وتآخيهم؛ لقوله: «**وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه**».

• **الفائدة الثامنة**: فيه أن شكر النعم يكون بتسخيرها في طاعة الله كما قال الله آمرًا آل داوود: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ [سبأ: ١٣].

• **الفائدة التاسعة**: فيه فضل الإصلاح بين الناس بالعدل وأنه صدقة للمسلم.

• **الفائدة العاشرة**: فيه أن الكلمة الطيبة صدقة مما يدل على أن نفعها يرجع للمتكلم نفسه.

• **الفائدة الحادية عشرة**: فيه فضل المشي إلى الصلاة؛ خاصة إن كان المسجد بعيدًا فله بمشيه صدقات.

• **الفائدة الثانية عشرة**: في الحديث حثٌّ للمسلم على الاستمرار في الأعمال الصالحة كل يوم؛ لقوله: «**كل يوم تطلع فيه الشمس**».

• **الفائدة الثالثة عشر**: يدل الحديث على أن المسلم نافع مبارك في جميع أحواله، فإن كان لوحده ذكر الله فكان له بذلك صدقة، وإن التقى مع غيره من المسلمين أعانهم وأحسن صحبتهم، وإن كان في طريق أماط الأذى فكان له بالجميع صدقة.

• **الفائدة الرابعة عشر**: ينبغي للإنسان أن يستغل أمور حياته الاعتيادية ليكسب من ورائها صدقات، فمن ضروريات الحياة أن يخالط الإنسان غيره، ويذهب لطلب رزقه، ويسافر، فعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبذل السلام ويميط الأذى ويعين المسلمين ويعطي الكلمة الطيبة، فكل ذلك يكتبه الله له.

• **الفائدة الخامسة عشر**: الإسلام يعود المسلم على المسؤولية عن كل ما يكون حوله فهو مسؤول عن أخيه المسلم وحاجاته، ومسؤولٌ عن الطريق فيميط ما فيه من أذى، ومسؤولٌ عن المتخاصمين فيسعى للإصلاح بينهم، فالإسلام لا يربي الناس على الأنانية وحب الذات.

• **الفائدة السادسة عشر**: المجتمع الإسلامي لا يرضى بوجود المخاصمات والتناحر بين أفراده، بل يصلح بينهم فإن عجز شخص عن الإصلاح شارك غيره وهكذا حتى يلتئم الصف ويتوحد الشمل، ولذلك جعل الإصلاح بين الاثنين صدقة حتى يشارك الناس كلهم في هذه الصدقة.

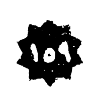
• **الفائدة السابعة عشر**: الكلمة الطيبة بمفهومها العام هي التي ليس فيها أذى لغيره من المسلمين، فله بها صدقة، وفي ذلك توسيع لمعنى الكلمة الطيبة.

• **الفائدة الثامنة عشر**: الحديث يجعل المسلم مشاركًا متفاعلًا مع قضايا مجتمعه من إصلاح أو نظافة أو تقديم خدمة؛ فليس انعزاليًا عما حوله.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **الشكر**: وهو ثناء القلب على الله وبه تتحرك الجوارح، وحديث الباب يذكر شكر نعمة المفاصل وهي السلامى، وشكر هذه النعمة يبدأ من القلب بالاعتراف بها، والثناء على مسديها، ثم تسخير الجوارح في طاعة الله، وقد مضى الكلام عن الشكر.

٢ ـ **الإحسان**: لقوله: «**تعدل بين اثنين، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها، أو ترفع عليها متاعه**»، وأصل الإحسان في الأفعال



والظاهر هو إحســان القلب وحضور مراقبة الله فيه، وقد مضى الكلام على الإحسان ودرجاته.

٣ ـ فقه العبودية: الملاحظ أن حديث الباب نوَّع العبادات لتشــمل الأوقات والناس، ومرجع ذلك فقه العبودية؛ فمن عرف العبودية أدرك أنها تقوم على حب الله والتذلل له، فــكل عمل يعمله المؤمن طاعةً لله واســتجابة لأمره فهو عبادة، فأســاس العبادة حب القلب لله وإخلاص العلم لأجله.

٤ ـ التواضع: حديــث الباب يربي المؤمن على التواضع وحســن الخلق مع غيــره، فيعينهم على حمــل المتاع، أو يرفــع لهم متاعهم بنفسه، وهذا فيه هضم للنفس، وكســر من كبريائها، وهذا أحد أبواب عبودية القلب، وسبق الكلام عن التواضع.

٥ ـ الهمة والعزيمة: والمــراد بذلــك أن تتعلــق همــة العبد بربه؛ «فلا يقدر صاحب الهمة على المهلة والانتظار، ولا يتمالك صبرَه؛ لغلبة سلطان الهمة عليه وشدةِ إلزامها إياه بطلب المقصود وهو الله»[1]، وحديث الباب مثال واضح للمؤمن صاحب الهمة العالية، التي تعلقت همته بالله، فلا يهدأ له عزمٌ حتى ينوع بين الأعمال الصالحة ليؤدي شكر مولاه.

والهمة مصدرها القلب وهي على درجات منها[2]:

أ ـ همةٌ تُزَهِّد العبد بالدنيا ومتعلقاتهــا، وترغبه بما عند الله؛ وهذا ســبب بعده عن الفتور والكسل؛ فمن طلب الله ســعى إليه، ومن أقبل على الله أقبل الله عليه، ومن أقبل الله عليه أعانه وأمده فازداد عملًا.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص ٥٦٣.

(٢) المصدر السابق مختصرًا.

ب ـ همةٌ تسمو بالعبد حتى تجعل ظاهره وباطنه مهاجرٌ لله؛ فلا يقتصر على التعبد لله حال عمله، بل هو طالبٌ لله طلبًا تامًا في عمله وعبادته، ومناجاته ونومه، ويقظته وحركته وسكونه، وعزلته وخلطته، وسائر أحواله فق انصبغ قلبه بالتوجه إلى الله أيما صبغة[1].

فإن فاتته هذه الهمة، فلا أقل من العزم وهو من أعمال القلب التي تدل على استجماع قواه وإرادته في أداء الأعمال الصالحة، فيأخذ أجر العزم على العمل، وهذا العزم هو العزم الخاص الذي يقتضي عزم المؤمن على فعل الصالحات حال حياته.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الشاكر الشكور**: حديث الباب يقتضي شكر الله على نعمة السلامى، فالله يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، فيعطيه السلامى والعظام ليشكره عليها، ثم يتقبل منه شكره، ثم يثيبه على شكره، فرجع الأمر كله لله، فهو الأول والآخر.

٢ ـ **الواسع**: وسَّع الله في الحديث باب الصدقات، فشمل كل عمل يعمله المؤمن يبتغي به وجه الله، وهذا من آثار اسم الله الواسع، ووسَّع لعباده باب الشكر، فيشكروه بالثناء بألسنتهم وأفعال جوارحهم.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٥٦٥.

٢٧

الحديث السابع والعشرون

عن النواس بن سـمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «البر حسـن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»، رواه مسلم.

وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت رسـول الله ﷺ فقال: «جئت تسأل عن البر؟ قلت: نعم قال: استفت قلبك: البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليـه القلب، والإثم ما حاك فـي النفس وتردد في الصدر، وإن أفتـاك الناس وأفتـوك». حديث حسـن رواه الإمام احمد بن حنبل في مسنده والدارمي بإسناد حسن.

المعنى الإجمالي:

بيَّن الحديث ضابط البر وضابط الإثم، فالبر كلمة جامعة يشمل حسن الخلق، وهو ما تطمئن إليه نفس المؤمن، ولا تعارض بين الضابطين لأن حسن الخلق هو الذي يجعل النفس تطمئن حتى تأنس بالحق وترضى به.

والإثم له ضابطان: ما تـرددت فيه نفس المؤمـن، وكره أن يطلع الناس عليه، وهما ضابطان متكاملان؛ لأن المؤمن المعتاد على الفطرة الصحيحة لا تتردد نفسه وقلبه إلا في الإثم.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى:** في الحديث فضل حسن الخلق وأنه البر.

- **الفائدة الثانية:** تفسير البر بحسن الخلق يدل على أنه أصله وأساسه.

- **الفائدة الثالثة:** دلَّ الحديث على أن الإثم يسبب شكًا وقلقًا.

- **الفائدة الرابعة:** فيه أن الشريعة أوضحت البر من الإثم حتى لا يلتبس الحق بالباطل.

- **الفائدة الخامسة:** دلَّ على أن الله فطر عباده على معرفة الحق والسكون إليه وقبوله، والنفرة من ضده وذلك في الجملة، ولهذا قال في الحديث: «**البر ما اطمأنت إليه النفس**».

- **الفائدة السادسة:** دلَّ على أن النفس تطمئن للخير والبر، ولذلك يصلح لها ولحياتها.

- **الفائدة السابعة:** فيه أن من علامات البر ارتياح النفس له واطمئنانها به وسكونها إليه في داخلها، وهذا مجرد علامة لا أن ذلك دليلًا.

- **الفائدة الثامنة:** فيه أن من علامات الإثم أنه يسبب حرجًا للنفس وضيقًا لها.

- **الفائدة التاسعة:** دلَّ على أن البر لا يُستحى من فعله في خلوات الإنسان وفي المجتمعات العامة بخلاف الإثم فإن فعله في الخلوة يسبب الحرج والضيق، وفعله في العلانية يستحى منه، ولهذا قال عن الإثم: «**ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس**».

• **الفائدة العاشرة**: الحديث أصلٌ في باب الورع.

• **الفائدة الحادية عشر**: البر يشمل القيام بحقوق الله، والقيام بحقوق الخلق، ويدل على ذلك اختلاف الروايتين في تفسير البر فقال:

ـ في الرواية الأولى: «**البر حسن الخلق**» وهذا القيام بحقوق الخلق.

ـ وفي الرواية الثانية: «**البر ما اطمأنت إليه النفس**» وهذا القيام بحقوق الله، لأنه فيما بين الإنسان وبين ربه.

• **الفائدة الثانية عشر**: يدل على أن الإنسان لا يقلد الناس في أفعالهم، بل يتأنى ويستفت أهل العلم، فإن لم يجد نظر في ذلك الفعل أي العلامات تنطبق عليه، علامات البر أم الإثم؟ وهذا يعرف أحيانًا من خلال المصالح المترتبة عليه والمفاسد وهكذا.

• **الفائدة الثالثة عشر**: دلَّ على أن الإنسان في فتواه قد يجانب الصواب؛ ولهذا قال: «**وإن أفتاك الناس وأفتوك**».

• **الفائدة الرابعة عشر**: الطاعات تجلب السعادة للمؤمن؛ لأنها من البر الذي تطمئن إليه النفس؛ لأنه فسَّر البر بحسن الخلق واطمئنان النفس.

• **الفائدة الخامسة عشر**: فيه أن المعاصي والذنوب تجلب الشقاء للإنسان؛ لأنها من الإثم الذي يتردد في الصدر ويسبب الحرج والضيق.

• **الفائدة السادسة عشر**: دلَّ على ارتباط الظاهر بالباطن كما هو معتقد أهل السنة؛ لأن فعل الآثام والمعاصي في الجوارح يُسبب ضيقًا في النفس.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **حسن الخلق**: «الدين كله خُلُق فمَن زاد عليك بالخلق زاد عليك بالدين»[1]، ولهذا فُسر البر به لسعة مدلوله، وأساس حسن الخلق صادرٌ من أعمال القلب، فما من خُلُق في الجوارح إلا ومنبعه من القلب؛ فالصبر مثلًا أساسه حبس القلب عن التسخط والاعتراض على أقدار الله، وعفة الجوارح عن القبائح أساسها عفة القلب وإغضاؤه عن الحرام، والشجاعة أساسها التوكل على الله وصدق الاعتماد عليه، وهكذا بقية الأخلاق الحميدة، كما أن الأخلاق الذميمة أساسها أمراض القلوب، فالبخل عن البذل أساسه حرص القلب وهلعه، والجبن أساسه خوف القلب وتوقعه للمكروه وسوء ظنه بربه، وهكذا بقية الأخلاق.

٢ ـ **الحياء**: لقوله في الحديث: «**وكرهت أن يطلع عليه الناس**»، وهذه الكراهة لما في قلبه من الحياء، ومنشأ الحياء من القلب، وهو مادة الحياة، وعلى قدر حياء القلب تكون حياته، ومن الحياء أن يكره أن يطلع الناس على حالة لا تسره عندهم، وللحياء أقسام عشرة:

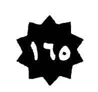
«حَيَاءُ جِنَايَةٍ، وَحَيَاءُ تَقْصِيرٍ، وَحَيَاءُ إِجْلَالٍ، وَحَيَاءُ كَرَمٍ، وَحَيَاءُ حِشْمَةٍ، وَحَيَاءُ اسْتِصْغَارٍ لِلنَّفْسِ وَاحْتِقَارٍ لَهَا، وَحَيَاءُ مَحَبَّةٍ، وَحَيَاءُ عُبُودِيَّةٍ، وَحَيَاءُ شَرَفٍ وَعِزَّةٍ، وَحَيَاءُ الْمُسْتَحْيِي مِنْ نَفْسِهِ»[2].

وأساس الحياء يتولد من علم العبد بأسماء الله وصفاته، وحظه من الحياء على قدر حظه من علم الأسماء، وفضل الله واسع يؤتيه من يشاء.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٤٢٤.

(٢) تقريب مدارج السالكين، ص٣٩٧.



٣ ـ **الطمأنينة والسكينة**: لقوله في الحديث: «**واطمأن إليه القلب**» والطمأنينة سكون القلب، وأهل السلوك يجعلون أمن القلب على نوعين:

أ ـ **سكون مع أمنٍ صحيح**: وهو السكون مع الأعمال الصالحة وتحقيق أعمال القلوب واتهام للنفس وعدم ثقة بها، بل ينظر بقلبه إلى منة الله عليه، وهذا السكون والطمأنينة هي المقصودة في حديث الباب.

ب ـ **سكون مع أمن الغرور**: وهو السكون مع التهاون بالأعمال والانشغال بالأماني التي هي رأس مال المفاليس.

٤ ـ **الورع**: لقوله في الحديث: «**وتردد في النفس**»، فما ترددت فيه نفس المؤمن وقلبه فينبغي له الورع بأن يترك ما سبب له ذلك؛ لأن الورع ترك ما قد يضر في الآخرة، والورع في زماننا يتأكد لكثرة الشبهات المالية وغيرها.

ومن أمراض القلوب التي ذُكرت في الحديث:

• **القلق والاضطراب**: لقوله في الحديث: «**والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر**» فالآثام تُسبب اضطرابًا في القلب، والقلب له اضطرابان:

ـ الأول منهما: اضطراب القلب الحي؛ لكونه غير معتاد على غير مادته، فإذا غُذِّي القلب بالطاعة والذكر زكى ونما وطَهُر، فإذا ذاق مع ذلك شيئًا من المعاصي والآثام فإنه يضطرب ويقلق اضطرابًا يدل على حياته.

ـ والآخر: اضطراب القلب المريض؛ وهو حيرته وقلقه وحيرته وتشتته.



الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **البَّر**: بالفتح؛ لقوله: «**البِّر حسن الخلق**»، ومعنى اسم الله البَّر: كثرة الإحسان والبر بمخلوقاته، ويفعل البر سبحانه، ولكثرة بر الله بمخلوقاته ناسبه أن يكون حرف الباء مفتوحًا؛ لأن الفتحة تأتي مع السعة والكثرة، والبر في حديث الباب يُقصد به ما يفعله العبد من واجب ومندوب، فهو معنى واسع، وهذا من آثار اسم الله البَّر الذي وسع الأعمال الصالحة على عباده.

٢ ـ **الستير**: لقوله: «**وكرهت أن يطلع عليه الناس**»، **والستير على وزن فعيل يفيد صيغة المبالغة وقوة استحكام الصفة، والستير هو مَن شأنه حب الستر والصون والحياء، فالله يستر العبد عما يشينه عن الناس، فمن ستره الله فهو المستور، ومن فضحه الله فهو المفضوح، وفي** الحديث: «**من ستر مسلمًا ستره الله**»[1].

٣ ـ **القابض الباسط**: لقوله ﷺ: «**ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر**»، فانبساط القلب فرعٌ عن طمأنينته، وهذا من آثار اسم الله الباسط، وتردده من آثار اسم الله القابض، فما من بسط إلا والله بسطه، ولا من مقبوض إلا والله قبضه سبحانه.

٤ ـ **المؤمن**: ومن معانيه أنه الذي يُؤَمِّن عبده من الضيق والنكد والقلق والاضطراب، ومن تأمينه لعبده أن يرزقه طمأنينة القلب التي وردت في الحديث؛ حيث قال النبي ﷺ: «**واطمأنت إليه النفس**».

---

(١) صحيح مسلم (٢٣١٠).

٢٨

الحديث الثامن والعشرون

عَن أَبي نَجِيحٍ العربَاضِ بنِ سَـاريَةَ ﷺ قَالَ: وَعَظَنا رَسُـولُ اللهِ مَوعِظَـةً وَجِلَـت مِنهَـا القُلُـوبُ وَذَرَفَت مِنهَـا العُيـون، فَقُلْنَا: يَا رَسُـولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوصِنَا، قَالَ: «أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ﷻ وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَـيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِيْ وَسُـنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فإنَّ كلّ مُحدثةٍ بدعة، وكُلَّ بِدْعَـةٍ ضَلالَةٌ»، رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

المعنى الإجمالي:

وعظ النبي ﷺ الصحابة موعظة بليغة ذرفت منها أعينهم دمعًا، ففهم الصحابة أنها موعظة مودِّع فطلبوا منه الوصية؛ فأوصاهم بعدة أمور:

- تقوى الله: وهي أن يجعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية.
- السمع والطاعة لولي الأمر ولو كان عبدًا حبشيًا.

ثم بيَّن النبي ﷺ أن من طالت حياته فسيرى اختلافًا كثيرًا، وذكر لهم العلاج باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، وأن يتمسكوا بها تمسكًا قويًا، وحذرهم من البدع كلها، وأن البدع كلها ضلالة.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى**: ينبغي للإنسان أن يستمع المواعظ بين فترة وأخرى؛ لأنها نافعة للقلب.

• **الفائدة الثانية**: على الإمام وطالب العلم والعالم أن يتعاهدوا الناس بالمواعظ كما كان يفعل ﷺ مع الصحابة رضي الله عنهم.

• **الفائدة الثالثة**: الموعظة يجب أن تكون بليغة قوية تؤدي هدفها؛ ولذلك على الإنسان أن يختار ألفاظها ويحسن قصدها لعل الله أن ينفع بها.

• **الفائدة الرابعة**: فيه بيان لعلاقة القلب مع الجوارح، فمتى تأثر القلب وخشع تأثرت العيون فذرفت وبكت من خشية الله.

• **الفائدة الخامسة**: فقه الصحابي العرباض بن سارية رضي الله عنه؛ حيث قدم قوله: «**وجبت منها القلوب**» على قوله: «**ذرفت منها العيون**»؛ لأن القلب هو الأصل.

• **الفائدة السادسة**: فيه خشية الصحابة رضي الله عنهم لربهم سبحانه، فبسماعهم المواعظ تذرف عيونهم وتوجل قلوبهم.

• **الفائدة السابعة**: دلَّ على أن البكاء في مجالس الوعظ والذكر إذا غلب على الإنسان لا يكون رياءً، كما بكى الصحابة رضي الله عنهم في حديث الباب.

• **الفائدة الثامنة:** فيه أن الكلام النافع هو الذي يخالط القلب فيؤثر عليه لصدق قائله وإخلاصه في نصحه.

• **الفائدة التاسعة:** فيه فهم الصحابة وفطنتهم؛ حيث قالوا: «يا رسول الله كأنها موعظة مودع» ففهموا من خلال الألفاظ أنها وصية مودع، وهذا الفهم يحصل بالتركيز والانتباه، أما السهو والغفلة أثناء الوعظ فتضيع الفائدة على صاحبها.

• **الفائدة العاشرة:** يُشرع للمسلم أن يطلب الوصية من غيره، ويجب على الآخر أن ينصح له في وصيته ولا يغشه فيها.

• **الفائدة الحادية عشر:** على الإنسان أن يتحرى أهل العلم والفضل ويطلب منهم النصيحة لأن نصيحتهم ووصيتهم أفضل من غيرهم.

• **الفائدة الثانية عشر:** أعظم الوصية على الإطلاق الوصية بتقوى الله؛ لأنها تعني فعل الطاعات وترك المنهيات، فهي الدين بكامله؛ ولهذا أوصى بها النبي ﷺ.

• **الفائدة الثالثة عشر:** دلَّ على وجوب السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، حيث أكد ذلك بقوله ﷺ: «**وإن تأمر عليكم عبد**».

• **الفائدة الرابعة عشر:** السمع والطاعة لولي أمر المسلمين من تقوى لله ﷻ، فيطاع عبادة لله ولذلك ذكر ﷺ السمع والطاعة بعد قوله: «**أوصيكم بتقوى الله**».

• **الفائدة الخامسة عشر:** فيه أن ضابط طاعة ولي أمر المسلمين ما كان في حدود تقوى الله سبحانه، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا الضابط والقيد يؤخذ من الربط بين قوله ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله**» مع قوله ﷺ: «**والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد**».



• **الفائدة السادسة عشر**: ذكر الحديث علاج تفرق وشق الصف وذلك بالاجتماع على تقوى الله وعلى إمام واحد.

• **الفائدة السابعة عشر**: يعتبر الحديــث من معجزاته ﷺ لقوله: «**فإنه من يعش منكم فســيرى اختلافًا كثيــرًا**»، وهذا ما حدث بعد وفاته بزمن من تفرق ووجود اختلاف.

• **الفائدة الثامنة عشر**: كلما زاد البعد عن الرسالة النبوية كلما زاد الاختلاف لغلبة الجهل؛ لقوله: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا**».

• **الفائدة التاسعة عشر**: ذكر في الحديث علاجًا للفتن والافتراق والاختلاف بين المسلمين، ويتلخص العلاج في أمور:

ـ الأول: تقوى الله؛ لقوله: «**أوصيكم بتقوى الله**».

ـ الثاني: السمع والطاعة؛ لقوله: «**والسمع والطاعة**».

ـ الثالث: التمسك بالسنة؛ لقوله: «**فعليكم بسنتي**».

ـ الرابع: هجر البدع؛ لقوله: «**وإياكم ومحدثات الأمور**».

• **الفائدة العشرون**: دلَّ على حجية ســنة الخلفاء الراشدين؛ لأن النبي ﷺ نص عليها فقال: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**».

• **الفائدة الحادية والعشرون**: فيه تزكيـة للخلفـاء الأربعـة رضي الله عنـهـم أجمعيــن؛ فوصفهـم بالهــداية، فـقـال: «**الراشــديـن المهديين**».

• **الفائدة الثانية والعشرون**: في الحديث التشديد على التمسك بالسنة وذلك:

- لقوله: «**فعليكم بسنتي**» ففيها أمر.

- ولقوله: «**عضوا عليها**» فلفظ العض يدل على التمسك في معناه.

- ولقوله: «**النواجذ**» وهي الأضراس وهي أقوى الأسنان، فيُشعِر ذلك بقوة التمسك.

• **الفائدة الثالثة والعشرون**: في الحديث التشديد على هجر البدع، وذلك:

- لقوله: «**إياكم**» وهي كلمة تحذير.

- ولقوله: «**كل**» **وهي من ألفاظ العموم وقد أضيفت لما بعدها** «**بدعة**» **فاجتمع صيغتان للعموم** «**كل**» والإضافة.

- ولقوله: «**ضلالة**» وهي وصف لجميع البدع بالضلال، وهذا من الذم والتحذير.

• **الفائدة الرابعة والعشرون**: فيه بيان تام لتعريف البدعة؛ حيث ذكرها بعد قوله: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء**» فدلَّ على أن كل ما ليس بسنة عنهم فهو بدعة.

• **الفائدة الخامسة والعشرون**: فيه بيان لحكم جميع البدع، وأنها لا تجوز حيث وصفها جميعًا بالضلالة.

• **الفائدة السادسة والعشرون**: البدعة لا يستحسن منها شيء أبدًا لأنها ضلالة.



الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **الوجل والخوف وفروعهما**: لقوله: «**وجلت منها القلوب**» والوجل هو رجفان القلب لذكر من يخاف سلطانه[1]، ويكون الوجل مع العلم الشرعي بعظمة الله، والخوف المحمود هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، وهو على درجتين:

أ ـ **خوفٌ من العقوبة**: بأن يخاف أن يعاقبه الله على معصيته له، أو تفريطه في طاعة الله.

ب ـ **خوف من المكر**: بأن يخاف من مكر الله به، وتغير حاله، وانتكاس إيمانه، وانقلاب فطرته، كما قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ** ﴾ [المعارج: ٢٧].

٢ ـ **الاعتصام بالسنة**: لقوله: «**عضوا عليها بالنواجذ**» لأن مدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصام بالله، والاعتصام بالله هو المحافظة على طاعة الله، وهو على درجتين[2]:

أ ـ **اعتصام بالأخبار الشرعية**: بأن يستسلم للنصوص الشرعية، ويذعن لها من غير جدال ومنازعة، ويُعظِّم الأوامر والنواهي، ويُصدِّق بالوعد والوعيد.

ب ـ **اعتصامٌ عن علائق القلب**: بأن يعصِم قلبه عن العلائق التي تتعلق بها القلوب، وهي تختلف من شخص لآخر، وتعتمد على فقه المرء لقلبه.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٢٣٠.

(٢) مختصر من تقريب مدارج السالكين، منزلة الاعتصام.



٣ ـ **تقوى الله**: لقوله: «**أوصيكم بتقوى الله**» ومنزلة التقوى من أعم منازل الإيمان، وهي لفظ إذا أُطلق أصبح عامًا يدخل فيه البر، ولفظها يناسب لفظ الوصية، فالوصية ينبغي أن تكون بلفظ عام موجز، وقد سبق الكلام على التقوى.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الحكم الحكيم**: لقوله: «**والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ فأطيعوه**»؛ وهذا من آثار اسم الله الحكم الذي له الحكم، ويؤتيه من يشاء، فلا يكون في الأرض إلا حكمه سبحانه وشرعه، وإلا تكن في الأرض وفساد كبير، ولهذا قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩]، فجعل طاعة أولي الأمر تابعة لطاعة الرسول ﷺ، فلم يفصل بينهما بلفظ الطاعة؛ وهذا من آثار اسم الله الحكم.

ومما يستدل به على هذا الاسم من حديث الباب قوله عليه السلام: «**وإياكم ومحدثات الأمور**»، فإن الحكم سبحانه أحكم شرعه ودينه، فلا يحتاج إلى زيادة وإحداث، ولهذا يحكم على كل أمرٍ محدثٍ في الدين أنه بدعة.

٢ ـ **الحق**: لقوله: «**ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**»، فالله هو الحق وشرعه وكلامه ووعده ووعيده ولقاؤه كلها حق، وما من حقٍّ في الدينا إلا والله بينه وأظهره وجعله حقًّا، وهذا من آثار اسم الحق، فالله حق وما عداه باطلٌ، وحديث الباب يبين أن هناك اختلاف كثير سيكون بعد النبي ﷺ، ولكن الله الحق بيَّن المنهج الحق للسلامة من فتن الاختلاف بالأمر بالتمسك

بالسنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين ﵃؛ وعلى هذا فمهما انتشر الباطل لا بد أن يكون هناك حقٌّ يظهر الله الحق، فالحق يُظهِر الحق، ويحق الحق بكلماته.

٣ ـ **الهادي**: لقوله: «**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»، فمن يهديه الله فهو المهتدِ، ومن لا تُصبه هداية الله فهو الضال، وما وقع مَن وقع في البدعة إلا لفوات هداية الله له، وبدعته على قدر فوت هدايته، والله هو الذي يهدي وهو الذي يضل، وله الأمر كله، ولهذا شُرِع لنا طلب الهداية في كل ركعة، وكان من أعظم أدعيتنا قولنا: اهدنا الصراط المستقيم.

٢٩

الحديث التاسع والعشرون

عَن مُعَاذ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَــالَ: قُلتُ يَا رَسُــولَ الله أَخبِرنِي بِعَمَلٍ يُدخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعدني منٍ النار قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيْمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَى مَنْ يَسَّــرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئَا، وَتُقِيْمُ الصَّلاة، وَتُؤتِي الزَّكَاة، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْت، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَــى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّــةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَــلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّــى بَلَغَ: ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَــنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذروَةُ سَــنَامِهِ الجِهَادُ ثُمَّ قَــالَ: أَلا أُخبِرُكَ بِملاكِ ذَلِكَ كُلِّــهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُــولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَــانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَ، قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّــا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَو قَالَ: عَلَــى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلسِــنَتِهِمْ»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

المعنى الإجمالي:

طلب معاذٌ من النبي ﷺ أن يخبره عن عملٍ يدخله الجنة ويباعده عن النار، فأخبره النبي ﷺ بأن هذا أمرٌ عظيم، وهو هينٌ على مَن يسره الله له، ويقوم على: توحيد الله وعدم الشرك به، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج.

ثم بيَّن الله له أبواب الخير وهي:

الصوم وقاية من عذاب الله، والصدقة تطفئ نار الخطيئة، وصلاة الرجل في وسط الليل.

ثم بيَّن له أصل ذلك كله وأساسه، وهو:

حفظ اللسان، فسأله معاذ رضي الله عنه بقوله: هل يؤاخذنا الله بما نقول، فأخبره النبي ﷺ بأن حصائد الألسن هي التي تصرع الناس على وجوههم في نار جهنم.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: فيه التأكيد على أهمية السؤال في طلب العلم وقد مضى في الأحاديث السابقة.

- **الفائدة الثانية**: فيه سؤال الإنسان عما يريد ولو كان أمرًا عظيمًا.

- **الفائدة الثالثة**: دلَّ على أن طالب العلم يسأل عما يخصه من الأسئلة النافعة، ولذلك الصحابي قال: «أخبرني».

- **الفائدة الرابعة**: فيه أن السؤال يورد للعمل بالجواب؛ ولذلك قال: «أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار».

• **الفائدة الخامسة**: المعلم ينبغي أن يمدح صاحب السؤال الجيد تشجيعًا له على سؤاله، ولذلك قال ﷺ لما سئل السؤال: «**لقد سألت عن عظيم**».

• **الفائدة السادسة**: فيه استعمال المعلم بعض الأساليب في تربيته مثل:

ـ التشجيع لقوله: «**لقد سألت عن عظيم**».

ـ التشويق لقوله: «**وإنه ليسير على من يسره الله له**» **مع قوله قبل ذلك**: «**عظيم**».

• **الفائدة السابعة**: صيغة السؤال تدل على أهمية الحديث؛ حيث قال: «أخبرني عن عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار»، ثم بداية الجواب تؤكد الأهمية؛ حيث قال ﷺ: «**لقد سألت عن عظيم**»، ولذلك جعله الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الأحاديث الأربعين لأنه يجمع أصولًا عديدة.

• **الفائدة الثامنة**: فيه التوفيق كله بيد الله ومن عنده سبحانه يرزقه من يشاء ويمنعه ممن يشاء ولذلك قال: «**وإنه ليسير على من يسره الله له**»، وهذا يوجب الالتجاء إليه سبحانه وطلبها منه وبذل الوسع في ذلك.

• **الفائدة التاسعة**: فيه أن أركان الإسلام تدخل الجنة وتباعد عن النار، وهذا من فضائلها.

• **الفائدة العاشرة**: دلَّ الحديث على أن الأعمال من الإيمان وهو مذهب أهل السنة.

• **الفائدة الحادية عشر**: فيه تفسير الشهادتين العملي، وهو قوله: «**تعبد الله لا تشرك به شيئا**» بحيث تصرف جميع أنواع العبادة لله وحده.

• **الفائدة الثانية عشر**: فيه دلالة على نشـــر العلم؛ لقوله: «**ألا أدلك على أبواب الخير**».

• **الفائدة الثالثة عشر**: العالم عليـــه أن يزيد في الجواب إن رأى الفائدة في ذلك، كمـــا فعل النبي ﷺ في الحديـــث حيث زاد على الجواب.

• **الفائدة الرابعة عشر**: الداعية عليه أن يختار الأسلوب الأمثل لنشر الخير بين النـــاس ودلالتهم عليه وتحبيبهم إليه، فقد قال الرســـول ﷺ «**ألا أدلك على أبواب الخير؟**» فجمع عدة أساليب كالتحضيض والحث والاستفهام والتشويق.

• **الفائدة الخامسة عشر**: فيه فضل الصوم، وأنه حماية عن الشهوات والمحرمات وعلاج لها، ولذلك قال: «**الصوم جنة**» وأطلق ولم يقيده.

• **الفائدة السادسة عشر**: فيه فضل الصدقة وأنها تطفئ الخطيئة.

• **الفائدة السابعة عشر**: الأعمـــال الصالحة تكفر الأعمال الســـيئة، فمن زلت به القدم في فعل محرم فليتبعه بحسنة.

• **الفائدة الثامنة عشر**: جعل النبي ﷺ الصدقة بمنزلة الماء الذي فيه الحياة والنماء، والصدقة كذلك فيها نماء للمال وتطهير له ولصاحبه من آفات الذنوب.

• **الفائدة التاسعة عشر**: جعل النبي ﷺ الخطيئـــة بمنزلة النار التي تحرق وتدمر، والخطيئة كذلك على صاحبها.

• **الفائدة العشرون**: فيـــه فضل صـــلاة الليل على النهـــار وأنها من أبواب الخير.

• **الفائدة الحادية والعشرون:** على المسلم أن ينوع العبادات ما بين صلاة وصيام وصدقة ونوافل حتى يفوز بجميع الفضائل التي ذكرت في الحديث.

• **الفائدة الثانية والعشرون:** الحديث فيه حثٌّ على الإكثار من أعمال السر التي لا يطلع عليها إلا الله؛ كالصيام والصدقة والصلاة في جوف الليل، وذلك لأنها أدعى للقبول والإخلاص والصدق.

• **الفائدة الثالثة والعشرون:** فيه الاستشـــهاد من القرآن أثناء الكلمة كما فعل النبي ﷺ.

• **الفائدة الرابعة والعشرون:** السنة تفسر القرآن، فقد فسر النبي ﷺ قوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦]؛ بأنها صلاة الرجل في جوف الليل.

• **الفائدة الخامسة والعشرون:** فيه فضل الصلاة والجهاد في الإسلام؛ ولذلك كانتا عمود الأمر وذروة سنامه.

• **الفائدة السادسة والعشرون:** يدل على علو منزلة الجهاد ومرتبته؛ لقوله: «**وذروة سنامه الجهاد**» فأعلى الشيء سنامه، وأعلى السنام ذروته والجهاد كذلك.

• **الفائدة السابعة والعشرون:** فيه بيان خطر اللسان على الإنسان.

• **الفائدة الثامنة والعشرون:** فيه فضيلة غمساك اللسان عن الخوض فيما لا ينبغي الخوض فيه.

• **الفائدة التاسعة والعشرون:** أصـــل الخير كله كف اللســـان لقوله: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله**».

• **الفائدة الثلاثون:** من أساليب التعليم: الإشارة أو التعليم المباشر، كما أخذ النبي ﷺ لسانه بيده، وفي رواية «فأشار إلى لسانه».

• **الفائدة الحادية والثلاثون:** دلَّ على أن أكثر أسباب دخول النار هو اللسان فيجب الحذر منه.

• **الفائدة الثانية والثلاثون:** فيه أن الشريعة تربي أصحابها على العمل والفعل دون الكلام الذي لا معنى له، ولذلك ذكر النبي ﷺ في أول الحديث أعمالًا كثيرة من الإيمان، وختم الحديث بالتحذير من إطلاق اللسان.

• **الفائدة الثالثة والثلاثون:** الحديث يربي المسلم على محاسبة لسانه قبل النطق بأي كلمةٍ.

• **الفائدة الرابعة والثلاثون:** العالم يراعي الفروق بين التلاميذ، ولهذا لما كان السائل هنا معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو طالب علم، شهد له النبي ﷺ بذلك أكثر له في الجواب وأوسع لعلمه بحاجته لذلك، ولما يكون السائل أعرابيًا مثلًا يعطيه النبي ﷺ جوابًا يناسبه، وهذا من العلم بحال التلاميذ.

• **الفائدة الخامسة والثلاثون:** الإنسان يوم القيامة يحصد ما زرع في الدنيا، يؤخذ هذا من قوله ﷺ: «**حصائد ألسنتهم**»، فليقم الإنسان على زرعه اليوم، وليتعاهده، وليصلح منه حتى يكون الحصاد يوم القيامة ثمرًا ناضجًا.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **الهمة والعزيمة**: لقوله: «**أخبرني عن عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار**»، كما أن النبي ﷺ وصف هذا الأمر بالأمر العظيم، والأمر العظيم يحتاج إلى همةٍ عاليةٍ، وعزمٍ شديد، وأعلى الهمم تعلق الهمة بالمطلوب الأعلى وهو الله ﷻ، وعلى قدر تعلقه بالله تكون همته، فإذا بلغ ذروة الإيمان وحقيقته عَلَت همته وتعلقت بالإيمان والعمل، فإذا نقص إيمانه دَنَت همته، ولا تزال في دنو حتى تتعلق بالسفليات، فهما همتان:

ـ همةٌ لا تزال في علو حتى تتعلق بالله وحده.

ـ وهمة لا تزال في سُفْل حتى تهبط إلى الأرض السابعة

وبيَّن ابن القيم رحمه الله أن الهَمَّ مبدأ الهمة، فالهم هو البداية والهمة هي النهاية[١]، ومبدأ الهمِّ الخواطر، فليحفظ العبد خواطره، ولْيُطلق همَّة لتعلو همته، وأعلى الهمم هو السعي لدخول الجنة والبعد عن النار كما في الحديث.

٢ ـ **تجريد التوحيد والقصد**: وألفاظ الحديث كلها شواهد على ذلك، فتجريد القصد لدخول الجنة والبعد عن النار مع قوله ﷺ: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا**» يُجِّرد القصد عما سوى الله، «فيقال لمن أراد الوصل إلى الله ﷻ والدخول عليه: اخلع من قلبك ما سواه، وادخل عليه، وأول قدم يدخل بها في الإسلام: أن يخلع الأنداد والأوثان التي تعبد من دون الله، ويتجرد منها»[٢]، ومن ضروريات المسلم اليوم أن يقوم بما يلي:

---

(١) مدارج السالكين ٥/٣.

(٢) مدارج السالكين ٣٨٧/٣.



أ ـ أن يعرف مألوهات قلبه، ويكون ذلك بالتفتيش عن محبوبات قلبه، وتفكيرات ذهنه، وما الذي يجول بخاطره؟ وما الذي استحوذ على ذهنه وقلبه وأمنياته؟ وما الذي هو منشغل به منذ استيقاظه إلى منامه؟

ب ـ ثم يقوم بالتخلص من تلك المألوهات التي هو يسعى لها ويتذلل، واستولت على محبة قلبه وخوفه ورجائه من غير شعور منه.

ج ـ بعدما يتجرد قلبه عن كل ما سوى الله فليُعلق قلبه بعد ذلك بالله، ولا يزال يُنقِّي قلبه ويعلي همته حتى يكون الله أحب المحبوبات.

٣ ـ **الحفظ**: لقوله: «**كفَّ عليك هذا**»، وحفظ اللسان أثرٌ من آثار حفظ القلب لأوامر الله، فالقلب الحافظ يأمر الجوارح بالحفظ، وعلى قدر إمساك اللسان والجوارح عن الآثام يكون انطلاق القلب في الحكمة، وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [ق: ٣٢]، فحفيظ صيغة مبالغة تشمل الباطن والظاهر، والجوارح تبعٌ للقلب، فعلى قدر حفظه لله يكون حفظ الجوارح، كما أن الجوارح الحافظة لأوامر الله تُعين القلب على حفظه لأوامر ربه.

ومن أمراض القلوب المتعلقة بالحديث:

التعلُّق بغير الله: ويدخل فيه الشرك، فالتعلق بغير الله يدخل الشرك على العبد؛ لأن الله له القلوب، وينبغي ألا تُحُب القلوب شيئًا إلا هو سبحانه، فالله يملك القلوب ومشاعرها وأعمالها، ولكثرة تعلق المرء بغير الله ينطلق لسانه بالخوض وهو ما ذُكر في الحديث بحصائد الألسن.

والله أراد من العبد ألا يتعلق إلا به، ولا يتكلم إلا بذكره، ولا يسبح إلا بحمده، وقال النبي ﷺ: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله**»[1]، وكل كلمة لا تقربك إلى الله فهي عليك، وعلاج الألسن بتعليق القلوب بالله.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **المنَّان**: لقوله: «**وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه**» والمنان هو من يُحسن إلى من لا يستثيبه ولا يطلب منه، إنما يعطيه ابتداءً ولا يطلب جزاءً وله المنة كما قال: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٤]، والمنة في حديث الباب ظاهر في أبواب الخير والدلالة عليها ومشروعيتها.

٢ ـ **اللطيف**: وألفاظ الحديث كلها دالَّة على لطف الله بعبده، فمن لطفه سبحانه أن نوَّع له العبادات والفضائل، فجعل الصوم وقاية له من عذاب الله، ومن لطفه أنه دلَّه على أبواب الخير، ومن لطفه بعبده أنه لطف به من نار الخطيئة التي تحرقه، كل ذلك من لفظ حديث الباب.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٧٨) وقال: حسن

٣٠

الحديث الثلاثون

عَنْ أَبِيْ ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ جُرثُوم بن نَاشِرٍ رضي الله عنه عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا»، حديث حسن رواه الدارقطني وغيره.

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ عن ثلاثة أمور:

ـ أن الله فرض فرائض وواجبات: فالواجب تجاهها المبادة بالفعل وعدم التضييع.

ـ وشرع الله سبحانه حدودًا لأحكامه: فالواجب أن يتقيد العبد بالحدود ولا يتجاوزها.

ـ وحرم محرمات: فالواجب ألا تُنتهك وتتجاوز.

ـ وسكت سبحانه عن أشياء رحمة بعباده: فالواجب عدم البحث عنها.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: دلَّ الحديث على كمال الشريعة الإسلامية من جميع نواحيها.

- **الفائدة الثانية**: فيه يُسر الشريعة الإسلامية، فهي فرائض وحدود.

- **الفائدة الثالثة**: دلَّ الحديث على أن الإيجاب والتحريم كله من عند الله، فإذا استشعر المسلم ذلك صعب عليه القول على الله بلا علم، وتبين له خطر الفتوى.

- **الفائدة الرابعة**: فيه بيان رحمة الله سبحانه بعباده لقوله: «**وسكت عن أشياء رحمة بكم**».

- **الفائدة الخامسة**: تنزيه الله سبحانه عن النسيان وكل صفة نقص وذم في حقه سبحانه.

- **الفائدة السادسة**: فيه النهي عن تتبع الدقائق وألا يكلف الإنسان نفسه ما لم يكلفه الله سبحانه؛ لقوله: «**فلا تبحثوا عنها**».

- **الفائدة السابعة**: المباحات في شريعة الإسلام أوسع بكثير من المنهيات ولذلك لم تذكر في الحديث؛ وهي داخلةٌ في الفرائض.

- **الفائدة الثامنة**: في الحديث بيان مفهوم العبودية والذي يقوم على الاستسلام لأحكام الله.

- **الفائدة التاسعة**: الحديث يدل على أن كل حكم لله له عبوديته الخاصة، فعبودية الفرائض الطاعة والاستسلام، وعبودية الحدود عدم التجاوز.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **تعظيم شعائر الله**: لقولـه: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها**»، فتعظيم الجوارح يكون تبعًا لتعظيم القلب، فما عظَّمه القلب عظمته الجوارح، وتعظيم القلب فرعٌ عن تعظيم اسمائه وصفاته حتى يخشع القلب ويخضع ويذل لربه ومولاه، وقد سبق الكلام عن التعظيم.

٢ ـ **الاستسلام لحدود ما أنزل الله**: لقولـه: «**وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها**»، «فمِن أشرف الْعُلُوم وأنفعها علم الْحُدُود؛ وَلَا سِيمَا حُدُود الْمَشْرُوع الْمَأْمُور والمنهي، فَأعْلم النَّاس أعلمهم بِتِلْكَ الْحُدُود حَتَّى لَا يدْخل فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا، وَلَا يخرج مِنْهَا مَا هُوَ دَاخل فِيهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧]، فأعدل النَّاس من قَامَ بحدود الْأَخْلَاق والأعمال والمشروعات معرفَة وفعلًا»(١).

٣ ـ **الاستقامة**: ألفاظ الحديث تدل على استقامة القلب على شرع الله حسب ما يطلبه الله منه، فما كان من الفرائض فإنه يقيمها، وما كان من المحرمات فإنه يقف عندها، والاستقامة هي السداد والصواب قولًا وعملًا، وقوله: «**فلا تبحثوا عنها**» يشير إلى انشغال العبد المؤمن بما طُلب منه دون ما لم يطلب، وفي ذلك شغلٌ له وإعمار لوقته.

---

(١) الفوائد، ص٤١.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الرحمن الرحيم**: لقوله: «**رحمةً لكم**» فالله هو الرحمن الرحيم، فرحمته شاملةٌ لعباده جميعًا، وهو الرحيم بعبده المؤمن رحمة خاصة، ومن رحمته به أنه سكت عن أشياء رحمةً به.

٢ ـ **العليم**: لقوله: «**من غير نسيان**» فالله هو العليم العالم، الذي وسع علمه كل شيء، ولا يخفى عنه شيء، وذلك يورث مراقبة العبد لربه وخشيته والخوف منه.

٣ ـ **السكوت**: والله يوصف بالسكوت كما يليق بعظمته وجلاله[١]؛ بدلالة هذا الحديث، وسكوته سبحانه عن علم لقوله: «**غير نسيان**»، وهذا السكوت يورث العبد محبة الله الذي يسكت رحمة بعباده، ويورثه التعظيم أيضًا لأن سكوته عن علم.

---

(١) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، ص٢٠١.

٣١

الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ أَبي العَباس سَعدِ بنِ سَهلٍ السَّـاعِدي ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُـول الله: دُلَّني عَلَى عَمَـلٍ إِذَا عَمَلتُهُ أَحَبَّني اللهُ، وَأَحبَّني النَاسُ؟ فَقَـالَ: «ازهَد في الدُّنيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وازهَد فيمَا عِندَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»، حديث حسـن رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة.

المعنى الإجمالي:

سئل النبي ﷺ عن عملٍ يجمع بين أمرين: محبة الله ومحبة الناس، فأخبر النبي ﷺ عن عمل إذا عمله المؤمن فإنه يحبه الله ويحبه الناس، وهو: ألا يتعلق بالدنيا وليزهد فيها فيحبه الله، وأن يزهد فيما عند الناس فإن الناس يحبونه.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: دلَّ على أنه يجب على المؤمن أن يسـعى لأن يكون محبوبًا عند الله وعند الناس.

• **الفائدة الثانية:** فيه أن البحث عن محبة الناس لا يناقض محبة الله ولا يعارضها، فإن المسلم طيبٌ محبوبٌ عند الله ومحبوب عند الناس.

• **الفائدة الثالثة:** دلَّ على أن الزهد في الدنيا يجلب محبة الله.

• **الفائدة الرابعة:** دلَّ على أن الزهد في ما عند الناس يجلب محبة الناس.

• **الفائدة الخامسة:** فيه أن الزهد من أعمال القلب كما قاله أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأن جزاءه هو المحبة وهي من أخص خصائص القلب.

• **الفائدة السادسة:** الزهد فيما عند الناس يقتضي عدم تعلق القلب بما في أيدي الناس، وقطع النفس عن النظر لهم والتطلع لما عندهم، ومداهنتهم في دين الله رجاء ما في أيديهم.

• **الفائدة السابعة:** دلَّ على أن من تعلق بالدنيا وقدمها لم يحبه الله.

• **الفائدة الثامنة:** فيه أن الجزاء من جنس العمل؛ فمن زهد فيما عند الناس كان جزاؤه محبة الناس له.

• **الفائدة التاسعة:** دلَّ على أن الناس يكرهون من طلب منهم وسألهم ما في أيديهم، وهذا مستقر في فطر الناس وقلوبهم؛ ولهذا يحبون من زهد فيما عندهم.

• **الفائدة العاشرة:** فيه أن من زهد في الدنيا تعلق بما عند الله؛ لأن القلب لا بد له من مُتَعَلَّقٍ يتعلق به، ويثق به، ويطمئن إليه، ولهذا من زهد في الدنيا أحبه الله.

• **الفائدة الحادية عشر:** الحديث بيَّن حقيقة الناس وأنهم يحبون ما في أيديهم ويبغضون من سألهم إياه، ويسعون لمصالحهم ولو على



حساب دين غيرهم، ولا يؤدون الحقوق الواجبة منهم، هذه حالهم فمن عرفها كيف يتعلق بهم ويرجوهم ويقدم طاعتهم على طاعة الله؟!

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **المحبة**: وهي رأس الأعمال القلبيـــة، وحديث الباب أصلٌ في المحبة، «ومحبةُ اللهِ تعالَى على درجتينِ:

ـ **إحداهما**: واجبةٌ وهيَ المحبةُ التي توجبُ للعبِد محبةَ ما يحبُّه اللهُ من الواجبـاتِ وكراهةِ ما يكرهُهُ مـن المحرماتِ، فـإنَّ المحبةَ التامةَ تقتضِي الموافقةَ لمن يحبُّه في محبةِ ما يحبُّه وكراهةِ ما يكرههُ خصوصًا فيما يحبُّـه ويكرهُهُ من المحبِّ نفسِـهِ، فلا تصحُّ المحبـةُ بدونِ فعلِ ما يحبُّه المحبوب من مُحبَهِ وكراهةِ ما يكرهُهُ المحبوبُ من محبيه.

ـ **الدرجةُ الثانيةُ من المحبةِ**: درجةٌ المقربينَ وهيَ: أنْ يمتلئَ القلبُ بمحبةِ اللهِ تعالِى حتى توجبَ له محبـةَ النوافلِ والاجتهادَ فيها وكراهةَ المكروهـاتِ والانكفافَ عنها، والرِّضـا بالأقضيةِ والأقـدارِ المؤلمةِ للنفوسِ لصدورها عن المحبوبِ»[١].

٢ ـ **الزهد**: لقوله: «**ازهد**» وهو ترك ما لا ينفع في الآخرة، وهو من أعمال القلب، وسبق الكلام عنه.

٣ ـ **القناعة والرضا**: لقوله: «**ازهد فيمـا عند الناس**»، والقناعة لازمُ الرضا، فمَن قَنَع فقد رضي، كما قال أبو سليمان الداراني: القناعة أول الرضا[٢]، وأصلهما في القلب، فإن القلب إذا قنع بما آتاه الله زهد فيما

---

(١) تفسير ابن رجب ٢/٢١٣.

(٢) مدارج السالكين ٢/٢٤.

عند غيره ولـم يتبعه نظر قلبه ولا نظر عينه، وقد قال الله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]، ومن حُرِم القناعة انحرف إلى الحرص والجشع والطمع وكلها آفات القلوب، ومما يزيد القناعة في القلب:

أ ـ حضور الأسماء الحسنى والصفات في قلبه، فيشاهد غنى مولاه وعزته وكرمه وهبته، فما يريد من شيء إلا وعند ربه الخزائن.

ب ـ معرفة صفات الناس وأنهم لا يحبون إلا أنفسهم ومصلحتهم، فعند ذلك يترفع العبد المؤمن عما في أيديهم.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ صفة المحبة: لقوله: «**يحبك الله**» فالله يُحِب ويُحَب وهذا من كماله، ولا يُحب لذاته إلا الله؛ إذ هو المطلوب الأعلى، «والله يُحِبُّ كلَّ مؤمن، لكن محبته لأوليائه والصالحين من عباده ليست على مرتبةٍ واحدةٍ أو على حدٍّ سواء؛ بل فيها تفاوت وتفاضل كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، فالأنبياء والصالحون والمؤمنون متفاضلون فيما بينهم في المرتبة والمحبة»[١].

«ومن امتلأ قلبُه من محبةِ الله ﷻ أحبَّ ما يحبُّهُ وإنْ شقَّ على النفسِ وتألَّمتْ به، كما يُقال: المحبةُ تهونُ الأثقالَ، وقال بعضُ السلفِ في مرضِهِ: أحبُّه إليَّ أحبُّه إليه»[٢]، وحديث الباب أشار إلى أن من ترك

---

(١) شرح كلمة الإخلاص لابن رجب، ص٩٤.

(٢) تفسير ابن رجب ٢/١٦٠.

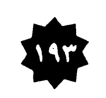
التعلق بالدنيا فإن الله يُحبه، لأن علائق القلب وعوائقه كلها تجتمع في الدنيا، فمن تركها وزهد فيها لم يبقَ لقلبه ملجأ إلا الله.

٢ ـ **الغني**: لقوله: «**ازهد فيما عند الناس**» فمَن زهد فيما عند الناس أغناه الله بفضله، والله الغني الذي يفتقر كل شيء إليه، وغنى الله على نوعين:

ـ **الغني العام**: الذي يُغني جميع مخلوقاته بما يقيم حياتهم، ويحفظ وجودهم.

ـ **الغني الخاص**: الذي يُغني به قلوب عباده المؤمنين بأنواع المعارف وحقائق الإيمان.

ولا يزهد العبد فيما عند الناس إلا على قدر استحضار اسم الله الغني في قلبه، ومطالعته لذلك، فعلى حسب معرفتك بغنى الله تزهد فيما عند الناس.



٣٢

الحديث الثاني والثلاثون

عنْ أَبـي سَـعيدٍ سَـعدِ بنِ مَالِك بنِ سِـنَانٍ الخُـدريِّ ﷺ أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»، حَدِيْث حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ، وَالدَّارَقطْنِيّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا، وَرَوَاهُ مَالِكٌ في المُوَطَّأِ مُرْسَلًا عَنْ عَمْرو بنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيْهِ عَن النبي ﷺ فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيْدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّيْ بَعْضُهَا بَعْضًا.

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ بأن شـرع الله ودينه لا يوجد فيه ضررٌ على النفس، ولا إضرار بالغير، فكل معاملة فيها إدخال للضر على النفس أو الغير فلا تجوز في شرع الله.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى:** الحديث أصلٌ في رفع الحرج في الشـريعة الإسلامية.
- **الفائدة الثانية:** يدل الحديث على يسر الإسلام وسهولة أحكامه.

• **الفائدة الثالثة**: فيه تحريم الإضرار بالغير بجميع الصور والأشكال، ولذلك أطلق الضرر في الحديث ولم يقيد بقيد.

• **الفائدة الرابعة**: فيه أن أحكام الإسلام الشرعية وتكاليفه لا ضرر فيها.

• **الفائدة الخامسة**: دلَّ على أن من مقاصد الإسلام منع الضرر قبل وقوعه ورفعه بعد وقوعه.

• **الفائدة السادسة**: الحديث يربي في النفس عدم الأنانية وحب النفس حبًّا يُدخل الضرر على غيره.

• **الفائدة السابعة**: فيه حثٌّ على مراعاة المسلم لإخوانه واحترامهم في جميع أمور الحياة وشؤونها.

• **الفائدة الثامنة**: الحديث يزرع الألفة بين المسلمين والمحبة والأخوة؛ لأنه ينفي الضرر بجميعه، وهذا من مفهوم المخالفة للحديث.

• **الفائدة التاسعة**: يعتبر الحديث قاعدة عامة، فكل أمر كان فيه ضرر فيحرم شرعًا.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **حسن الخلق**: وأصل ذلك حسن القلب وحياؤه وطيبه ونماؤه، فيحمله ذلك على ترك الضرر على النفس والغير، وقد سبق الكلام على حسن الخلق.

٢ ـ **المحبة**: ومنبعها من القلب، وأصلها حب الله الذي حرَّم الضرر، ومن آثارها المحبة التي بين المؤمنين، وتجنب إيقاع الضرر عليهم، وقد سبق الكلام عليها.



الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **السلام**: وهو من أسماء الله الثابتة له في الكتاب لقوله: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣]، فالله سلام منزه عن كل سوء، وليس في أحكامه وشرعه سوء، ومن سلام الله أنه لا يأذن بالضرر كما في حديث الباب.

٢ ـ **الطيب**: وهو من أسماء الله الثابتة، لقوله ﷺ: «**الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»(١)، فالله طيبٌ في أفعاله وأقواله ودينه وشرعه، ومن آثار طيبه سبحانه أنه حرَّم إضرار المؤمن بنفسه، أو سعيه في إضرار غيره.

٣ ـ **الرفيق**: وهو من أسماء الله الثابتة لقوله ﷺ: «**الله رفيق يحب الرفق**»(٢)، فالله رفيق بعباده وقريب ولطيف بهم، ومن رفقه بهم أنه نهى عن الضرر لأنفسهم ولغيرهم، وهذا يورث محبته والحياء منه.

٤ ـ **العدل**: وقد ذكره بعض أهل العلم اسمًا لله لقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وجعله بعضهم مقيدًا، ومن عدل الله في حديث الباب أنه نهى عن إضرار المسلم بغيره، ونهى عن يُوقَع عليه ضرر، فلا يصدر منه ضرر ولا يقع عليه ضرر، وهذا من آثار عدله سبحانه.

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٥)

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٧).

٣٣

الحديث الثالث والثلاثون

عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدعوَاهُمْ لادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَال قَومٍ وَدِمَاءهُمْ، وَلَكِنِ البَينَةُ عَلَى المُدَّعِي، وَاليَمينُ عَلَى مَن أَنكَر»، حديث حسن رواه البيهقي هكذا بعضه في الصحيحين.

المعنى الإجمالي:

بيَّن النبي ﷺ أن الناس لو أنهم كلما أقاموا دعوى على شيء أنه لهم استجيب لهم طلبهم لوصل الحال ببعضهم إلى أن يقيموا دعواهم على أموال ودماء رجال آخرين، ولكن في دين الله لا يستجاب لكل من طلب شيئًا؛ إنما تُطلب البينة على المدَّعي ويُطلب اليمين على من أنكر أن لغيره حقًّا، وهذا من عدل الإسلام.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى:** يدل الحديث على أن أحكام الشريعة معللة؛ أي: لها علة وحكمه، فالبينة قُررت في الشريعة حتى لا يدّعي رجال دماء رجال وأموالهم.

• **الفائدة الثانية:** يدل أيضًا على أن الله حكيم بعبادة خبير بهم شرع لهم من الأحكام ما يناسبهم ويتناسب مع طبيعتهم.

• **الفائدة الثالثة:** فيه أن بعض الناس لا رادع عنده ولا تقوى، فلديه الاستعداد أن يدّعي دماء أناس وأموالهم.

• **الفائدة الرابعة:** الحديث يربي الناس على وجوب التثبت حتى في صغائر الأمور.

• **الفائدة الخامسة:** يقيد الحديث إطلاق التهم على الناس ورواج الشائعات بوجود البينة، فمن وجد بينه فله الحق في الادعاء، أما بمجرد الظن والخرص فلا يبيح للإنسان الدعوى.

• **الفائدة السادسة:** دلَّ الحديث على أن كل دعوى لا دليل عليها لا تقبل.

• **الفائدة السابعة:** الأصل براءة الإنسان المسلم من كل تهمة ونقيصة حتى تثبت بينة.

• **الفائدة الثامنة:** القاضي يحكم بما ظهر له من الأمر ببينه أو يمين، ولا يأثم إن بذل وسعه واجتهد لكنه خالف حقيقة الأمر وباطنه.

• **الفائدة التاسعة:** الحديث أصلٌ في باب القضاء.

• **الفائدة العاشرة:** الشرع يوازن بين الحفاظ على حرمات المسلمين ولذلك حرم مجرد إطلاق التهم، وبين إيصال الحقوق لهم ولذلك أوجب البينة، وهذا هو العدل الذي أمر الله به.

• **الفائدة الحادية عشر:** الشرع يربي الناس على تعظيم الله ومراقبته، ولذلك اكتفى من المدعى عليه بمجرد اليمين؛ لأن المسلم يعظم الله والحلف به، فلديه الرضا بأن يغرم شريطة ألّا يحلف بالله كاذبًا.



• **الفائدة الثانية عشر**: الحديث يربي المسلم على الرضا بالحلف بالله، فالمدعي إذا لم يكن له بينة وحلف المدعي عليه فعليه أن يرضى تعظيمًا لليمين.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **المحاسبة**: الحديث يدل على المحاسبة ويستلزمها، وذلك بأن يحاسب العبد نفسه قبل معصيته مانعًا لها وصادًا لها عما يغضب الله من أكل الأموال وسفك الدماء، فمَن ادَّعى أموال الناس ودماءهم، إنما فعل ذلك لفوات عمل المحاسبة القلبي.

والمحاسبة هي تمييز ما للعبد وما عليه من حقوق، كما قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر: ١٨]، وأصلها عدم إحسان الظن بالنفس أبدًا، فمَن عرف صفات نفسه ودخائلها، وسبر أغوارها، ورأى أهوائها، وخَبَرَ طريقتها في تحصيل شهواتها أيقن أنه لا ثقة له بالنفس، ولا يعتمد عليها، «وإنما احتاج إلى سوء الظن بالنفس؛ لأن حسن الظن بها يمنع من كمال التفتيش ويُلَبِّس عليه، فيرى المساوئ محاسن، والعيوب كمالًا»[1].

٢ ـ **تعظيم الله وحرماته**: ومنشؤه تعظيم الله في القلب، فمن عظَّم الله عظَّم حرماته وشرعه ودينه وحدوده، وتعظيم الله تابعٌ لقدر معرفته، فمن عرفه حق المعرفة كان أشدَّ له تعظيمًا، «وروح العبادة: هو الإجلال والمحبة»[2]، والإجلال هو التعظيم والتكبير، وقد سبق الكلام على التعظيم.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٧٥.

(٢) المصدر السابق.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الحكم العدل**: فمن حُكِم الله أنه لا يعطي الناس بمجرد الدعوى، ومن عدل الله أنه جعل البينة على المدعي؛ لأن جانبه قوي، وأعطى اليمين على من أنكر؛ لأنه جانبه أخف، فأُعطي الجانب القوي الدليل الأقوى؛ وهذا من عدل الله وحكمته، وقد سبق الكلام على اسم الله الحكم العدل.

٢ ـ **العليم الخبير وفروعهما**: فالله هو العليم الخبير البصير، كما قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]، فلعمه بحال الناس وأنه لو تُرك لهم الأمر لادَّعوا أموال رجال ودماءهم؛ لأجل ذلك شرع لهم البينة في حق المدَّعي واليمين على من أنكر، ولعلمه بأن المدَّعى عليهم قد لا يكون له دليل وبينةٌ على النفي اكتفى باليمين في نفي الدعوى، فسبحان من وسع علمه كل شيء.

٣ ـ **العظيم**: فالله هو العظيم المعظَّم المنزَّه، ومن عظمته أنه قهر الظالمين الذي لديهم الاستعداد أن يدَّعوا أموال رجال ودماءهم؛ فأوجب عليهم البينة، فلهذا توقَّف كثير من الناس عن الظلم، وهذا من آثار عظمة الله وقهره.

٣٤

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدريِّ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «مَن رَأى مِنكُم مُنكَرًا فَليُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِقَلبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»، رواه مسلم.

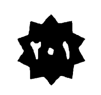
المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ أن المسلم إذا رأى منكرًا فإنه مطلوب منه تغييره حسب استطاعته؛ فإن أمكنه أن يغيره فليغيره بيده، فإن لم يستطع تغييره بيده فليغيره بلسانه، فإن لم يستطع تغييره باللسان فليغيره بقلبه وليفارق مكانه؛ وهذا أضعف الإيمان.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى:** الحديث يربي المسلم على تحمل المسؤولية؛ لقوله: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره**».

• **الفائدة الثانية:** فيه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ على جميع الناس؛ لصيغة العموم في الحديث «مَن»؛ لكن يقيد على



حسب الاستطاعة والقُدرة؛ لقوله «**فإن لم يسـتطع**» حيث علق الأمر على الاستطاعة.

• **الفائدة الثالثة**: يربي المجتمـع على معالجة الأخطاء التي يرونها وألّا يقف الشخص حائرًا كأن الأمر لا يعنيه.

• **الفائدة الرابعة**: الحديث يدل على وقوع المنكرات في المجتمع الإسلامي لكن يجب ألّا تُقَرَّ وتؤلف.

• **الفائدة الخامسة**: فيه أن تغيير المنكر على درجات مختلفة وليس درجة واحدة.

• **الفائدة السادسة**: إذا لم يستطع المسـلم أمرًا من الأمور فعليه أن يبحث عن أمر آخر يقـدر عليه؛ ولذلـك قال في الحديـث: «**فإن لم يستطع**» مرتين في الحديث.

• **الفائدة السابعة**: اختـلاف درجات المنكر دليـلٌ على أن الله لا يكلف الإنسـان إلّا ما يسـتطيع، أما ما كان خارجًـا عن قدرته فلا يطالب شرعًا به.

• **الفائدة الثامنة**: يدل الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص، فمن أنكر بقلبه ليس كمن قدر على تغييره؛ ولهذا قال: «**أضعف الإيمان**».

• **الفائدة التاسعة**: قوله: «**مـن رأى**» يدل على أن المنكر مشـاهد وظاهر، أما إن أسـره صاحبه وأخفاه فلا يجوز التصنت والتتبع إلّا إن دلت (القرائن) والشواهد فيكون في حكم الظاهر.

• **الفائدة العاشرة**: قوله: «**فبقلبـه**» يدل على أن المنكر لا يرضى به ولا يُقَّر أبدًا ولو بالقلب الذي لا يطلع عليه إلّا الله.

• **الفائدة الحادية عشر**: الحديث دليل على أن القلب له عمل في الإيمان، فمن عمله إنكار المنكر وعدم الرضا به.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **الغيرة**: والمراد بها هنا غَيْرَةُ العبد لربه بأن يغضب لمحارم ربه إذا انتهكت، وحقوقه إذا تهاون بها المتهاونون، وأصل ذلك حرقة القلب لربه لكمال محبته لمولاه، وعدم رضاه بأن يُعصى إلهه وسيده، بل يغضب له وينتصر لحق ربه؛ ولهذا قُدِّم في الإنكار اليد لدلالتها على قوة الغضب لله، ثم اللسان، ولم يعفَ عن الغضب لله أبدًا ولهذا خُتِم بالإنكار القلبي.

٢ ـ **حب ما يحبه الله وبغض ما يبغضه**: لقوله: «**وذلك أضعف الإيمان**»، «**فإن لم يكن في القلب إنكار ما يكرهه ويبغضه لم يكن فيه إيمان، والحب والبغض من أعمال القلوب**»[1]، والمراد أن يكون هوى العبد تبعًا لما جاء الله به وجاء به رسوله ﷺ، فيُحب ما يُحبه الله ويبغض ما يبغضه الله، ولهذا نص النبي ﷺ على أن من لم ينكر بقلبه فليس وراء ذلك إيمان؛ لأنه لم يبغض ما أبغضه الله ولو بقلبه.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **القوي والقاهر والقهَّار والعزيز ونحوها**: لأن إنكار المنكر يعتمد على قوة القلب في ذلك، وهي تستمد من القوي القاهر سبحانه، وهذه من الأسماء الثابتة له سبحانه كما قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [هود: ٦٦]، ومن آثار الإيمان بها على المؤمن:

---

(١) الاستقامة ٢/٣٦.

قوته وشــجاعته في دين الله، فإن العبد إذا علم أن سيده هو القوي لم يخف أحدًا غيره، وكذلك الثقة بقوة الله وقدرته.

٢ ـ المتين: وهو بالغ القدرة وتامُّها سـبحانه، ولهذا ذُكر في القرآن مع اسم الله القوي فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ومن آثـاره على العبـد المؤمن: اعتمـاده على ربـه، ومعرفته بضعف المخلوقات وفقرها لله، وتجريد توحيده وتوكله، وسَدُّ باب الشرك.

٣٥

الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدوا، وَلَا تَنَاجَشوا، وَلَا تَبَاغَضوا، وَلَا تَدَابَروا، وَلَا يَبِع بَعضُكُم عَلَى بَيعِ بَعضٍ، وَكونوا عِبَادَ اللهِ إِخوَانًا، المُسلِمُ أَخو المُسلم، لَا يَظلِمهُ، وَلَا يَخذُلُهُ، وَلا يكْذِبُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ، التَّقوَى هَاهُنَا ـ وَيُشيرُ إِلَى صَدرِهِ ثَلَاثَ مَراتٍ ـ بِحَسْبِ امرئ مِن الشَّر أَن يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسلِمَ، كُلُّ المُسلمِ عَلَى المُسلِمِ حَرَام دَمُهُ وَمَالُه وَعِرضُه» رواه مسلم.

المعنى الإجمالي:

نهى النبي ﷺ عباد الله في هذا الحديث عن عدة أمور، وهي:

ـ نهاهم عن التحاسد فيما بينهم؛ بأن يتمنى أحدهم زوال النعمة عن أخيه.

ـ ونهاهم عن التناجش بأن يزيد أحدهم في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها.

ـ ونهاهم عن التباغض والكره فيما بينهم من غير مبرر شرعي يوجب ذلك.

ـ ونهاهم عن التقاطع فيما بينهم؛ بأن يتقاطعوا أرحامهم.

ـ ونهاهم عن بيع أحدهم على بيع أخيه بأن يعرض السلعة التي عنده على رجل آخر قد اشترى سلعةً من غيره، فيغريه بالشراء من عنده بثمن أرخص من ثمن أخيه، فيفسد على أخيه بيعه.

وبيَّن ﷺ أن المسلم أخو المسلم، ولهذه الأخوة حقوق منها:

ـ أنه لا يظلمه، ولا يخذله في وقت حاجته له، ولا يكذبه وإنما يكون صادقًا معه في أقواله ووعده معه، ولا يحتقره ويستصغره ويستهزئ به، ولشدة تحريم احتقار المسلم لأخيه توعده بأنه يكفيه من الشر أن يحقر أخيه، فذلك يهلك إيمانه.

ثم ختم النبي ﷺ الحديث بوضع قاعدة عامة وهي:

أن كل المسلم حرام على أخيه المسلم سواء دمه أو ماله أو عرضه.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى:** الحديث يربي المجتمع المسلم على الأخوة الحقة فيما بينهم.

• **الفائدة الثانية:** فيه أن الأخوة الشرعية الحقيقية هي التي لا تباغض فيها ولا تحاسد ولا تقاطع.

• **الفائدة الثالثة:** دلَّ على أن الأخوة بين المسلمين وجمع الكلمة أمر مقصود من مقاصد الشريعة.

• **الفائدة الرابعة:** دلَّ على أن الشرع يحرم كل ما من شأنه خدش الأخوة من حسد وتقاطع وغيره.

• **الفائدة الخامسة**: فيه أن المعاملات الدنيوية من بيع وشراء ونكاح يجب أن يراعى فيها جانب الأخوة؛ ولذلك حرَّم الشرع بيع المسلم على بيع أخيه وشراؤه ونكاحه على أخيه المسلم لما يتسبب ذلك من قطع للمودة وزرع للبغضاء.

• **الفائدة السادسة**: دلَّ الحديث على وجوب النصح للمسلم وصفاء القلب له.

• **الفائدة السابعة**: فيه أنه يحرم ظلم المسلم لأخيه وخذلانه له والكذب عليه واحتقاره، لأنها جميعًا تخالف معنى الأخوة الشرعي.

• **الفائدة الثامنة**: فيه أن تربية النفس على الأخوة الشرعية يعالج الكبر الذي هو غمط الناس واحتقارهم، فإذا نظر إليهم على أنهم أخوة له فيجب عليه محبتهم ونصرتهم ذهب عنه بإذن الله الكبر.

• **الفائدة التاسعة**: دلَّ على أن الميزان في الإسلام ميزان التقوى، والتفاضل يكون بينهم على أساسها، وليس لأي أمر من أمور الدنيا، ولذلك قال «**التقوى ها هنا**».

• **الفائدة العاشرة**: فيه أن محل التقوى في القلب وتظهر آثارها على الجوارح، ولهذا أشار إلى صدره عندما ذكر التقوى.

• **الفائدة الحادية عشر**: بيّن الحديث خطر احتقار المسلم لأخيه المسلم، لأنه ينافي المحبة الواجبة له إضافة إلى أنه نوع كبر وقد حرمه الله.

• **الفائدة الثانية عشر**: دلَّ على أن الإسلام لا يقيم لأمور الدنيا من مال وجاه أي اعتبار في حال التفاضل بين المسلمين، لأنها من فضل

الله يؤتيه الله من يشـــاء، فلا يغتر الإنســـان بما آتـــاه الله وإنما الاعتبار للتقوى فليحاسب الإنسان نفسه عنها.

• **الفائدة الثالثة عشر**: دلَّ على أن من أُعطي من الدنيا لا يدل على فضله عنـــد الله، وإنما الفضل لمن أُعطي من أمـــور الآخرة من التقوى والعمل الصالح.

• **الفائدة الرابعة عشر**: فيـــه أنه يحرم الاعتداء على المســـلمين ســـواء بمالهم أو أعراضهم أو دمائهم وأنفسهم؛ لقوله: «**كل المسلم على المسلم حرام**».

• **الفائدة الخامسة عشر**: فيه وجوب حفظ غيبة الأخ المسلم لأخيه.

• **الفائدة السادسة عشر**: الحديث يقتضي إيصال النفع للأخ المسلم.

• **الفائدة السابعة عشر**: تقـــوى الله تقتضـــي حفـــظ حقوق الأخوة الإسلامية، ولذلك نص عليها النبي ﷺ في هذا الحديث بقوله «**التقوى ها هنا**» وذكر قبلها وبعدها شيئًا من الحقوق الإسلامية.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

حديث الباب جمع بين أعمال القلوب وأمراضها على النحو التالي:

ـ **التقوى**: وهي أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، وأشار إلى صدره ﷺ إشارةً إلى التقوى محلها القلب، وذُكرت التقوى بعد ذكر الاحتقار للدلالةِ على النهي عـــن الاحتقار لأن العبد لا يُعلم تقواه؛ لكـــون التقوى في القلوب التـــي لا يعلمها إلا الله، وقد ســـبق ذكر التقوى ومراتبها.

ثم ذُكر في الحديث بعض أمراض القلوب، ومنها:

١ ـ **الحسد**: وإليه ترجع كثير من الذنوب؛ كالبغي والظلم والاعتراض على حكم الله والإخلال بالرضا القلبي، وقد اجتمع الحسد مع الكبر في إبليس فأخرجه من الجنة، والحسد يمنع قبول الحق والنصح والمحبة، كما أنه نوع معاداةٍ لله في حكمه وفضائله، فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله[1]؛ ولهذا لا تستقر لحاسد أعمال قلب؛ لأن أعمال القلوب تحتاج إلى طمأنينة واستقرار ومحاسبة وتعلق بالله، والحاسد مشغول بالمحسود ملتفتٌ قلبه إليه، فانظر ماذا يفعل الحسد في القلب؟!

وعلاج الحسد يكون بتجريد التوحيد وتجديده، والإنابة إلى الله، والتأمل في بعض أسمائه وصفاته كاسمه العليم والحكيم والقابض الباسط والمعطي المانع وغيرها.

٢ ـ **بغض المؤمنين**: لقوله: «ولا تباغضوا» ومنشأ البغض جمرة تكون بالقلب لا يطفئها إلا إيقاع المكروه بمن أبغضه، وكما أن الله أولى بعبادة الحب الموجودة في القلوب، فينبغي ألا ينصرف الحب إلا له ولما يحبه سبحانه؛ فكذلك هو سبحانه أولى بشعور البغض الموجود في القلوب بأن يجعل بغضه تبعًا لبغض الله، فما أبغضه الله أبغضه المؤمن وزاد من بغضه لأن الله يبغضه، وما يكرهه الله فليقصر العبد كراهته على ما يكرهه الله، وبهذا يجعل مشاعره وشعوره وأحاسيسه وأعمال قلبه تحت حكم الله ولله وبالله.

(١) الفوائد، ص١٧٥.

والله يحب المؤمنين ولهذا يحرم بغـض من يحبه الله، وأذن الله بأن تبغض في المؤمن ما يبغضه الله من معاصيه، فإذا اجتمع في المؤمن بعض صفات يبغضها الله فالواجب أن تحبه لإيمانه وتبغض ما يبغضه الله فيه مما يخالف أمره، وهـذا مقتضى العبودية، فالعبد يحب ويبغض ما يبغض سيده ومولاه.

٣ ـ **احتقار المؤمنين**: بأن يستصغرهم في عينه، ويقوم في قلبه التعالي عليهم، والاحتقار هو من نفخ الشيطان ينفخه في قلب العبد، وهو المقصود في قول النبي ﷺ: «**أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه**»[1]، فنفخه هو الكبر ومنه احتقار غيره من المسلمين، والمحتقر في جوفه نَفَسُ إبليس، ولهذا الاحتقار آثار مذهبةٌ للإيمان من قلب العبد، ومنها:

أن المُحتقِر للمؤمنين لا يوجد في قلبه رحمةٌ لهم، ولا نصحٌ، ولا يرجو لهم النجاة، ولا يبذل لهم دعوته وإرشاده، وأشد الاحتقار ما كان لأجل الذنوب؛ بأن يحتقر حالهم مع الله، ويقارن بين طاعته ومعاصيهم، فيحمله ذلك على الترفع عنهم وعن نصحهم، وقد يحمله ذلك على التألي على ربه بأنه لا يغفر لهم، كما في حديث الرجل الذي قال لصاحبه: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله ﷻ: «**من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك**»[2]، فاصل هذا التألي هو الاحتقار؛ فانظر إلى أي مدى أودى الاحتقار بصاحبه؟!.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٢)

(٢) رواه مسلم (٢٦٢١)



الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الحق**: فالله هو الحق، وكلامه وأفعاله ووعده ووعيده حقٌ، وحديث الباب يبين تحريم إخفاء الحق والصدق سواءً في البيع والتعامل والأقوال، فالنجش مثلًا هو: أن يزيد في ثمن السلعة من غير إرادة شرائها، وهذا يخالف الحق، ونهى كذلك عن الكذب وهو خلاف الحق، فالله حقٌ ويُحِب الحق ويكره الباطل والكذب.

٢ ـ **الودود**: لقوله: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا**»، **فالله هو الودود المُحِب المحبوب بمعنى وادٌ ومودودٌ، فهو الذي يُحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويحبونه فهو أحب إليهم من كل شيءٍ قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودًا واخلاصًا وإنابة من جميع الوجوه**»[1]، وحديث الباب يدل على أن المحبة التي بين المؤمنين هي من آثار وُدِهِ سبحانه، ولأنه ودودٌ نهى عن التدابر والتقاطع والتهاجر والتخاصم.

٣ ـ **المتكبر**: لقوله: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه**»، **فالمُحتقِر مُتكبِّر على غيره، ولما في قلبه من التكبُّر احتقر غيره، فهناك تلازم بين الاحتقار والتكبر، والله هو المتكبر المتعالي عن النقائص والعيوب، ولا يليق الكِبر إلا بالله، فمَن تكبَّر فقد نازع الله في صفته اللائقة به والمختصة به، كما في** الحديث القدسي: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته**»[2]، فالله متكبر فحرَّم احتقار العبد للعبد.

---

(١) تفسير السعدي ٥/٦٢٥.

(٢) صحيح مسلم (٢٠٢٣).

٤ ـ **الرحمن الرحيم**: حديث الباب ينشر الرحمة بين المؤمنين بالتواد والتراحم والتآخي، والبعد عن التباغض والتحاسد، وهذا من رحمة الله بهم، فمولاهم رحمن رحيم، يُحب الرحمة ويأمر بها، ويحرم القطيعة وينهى عنها.

٥ ـ **الرازق**: فالله هو الرزاق ذو القوة المتين، والرزق كله عنده ومنه وحده سبحانه، فالقلب لا يتعلق إلا بالله في شأن رزقه وحوله وقوته، ولهذا حرَّم الله أن يبيع المؤمن على بيع أخيه، أو أن يشتري على شراء أخيه، فهذا يمحق الرزق؛ لأنه طلبٌ للرزق من غير ما أباح الله، ولأن فيه اعتمادًا على الحول والقوة في تحصيل الرزق.

٦ ـ **السلام والمؤمن**: لقوله: «**المُسلِمُ أَخو المُسلم، لَا يَظلِمهُ، وَلَا يَخذُلُهُ، وَلا يكْذِبُهُ**»، فالله سلامٌ ويُحب السلام، وهو مُؤمن ومنه الأمن، ولهذا حرَّم الظلم والخذلان والكذب بين المؤمنين، فالله سلامٌ ويأمر بالسلام وجعل دينه الإسلام، وشعار أهله السلام، ومن آثار الإيمان بذلك سلامه مع المسلمين، ومحبته لهم، وسعيه في نشر الإسلام والسلام، وقد سبق الكلام عن السلام.

٧ ـ **العدل**: لقوله: «**لَا يَظلِمهُ**»، فالله عدلٌ ويأمر بالعدل، وشرعه عدلٌ، وهو العدل الذي يحرم الظلم وينهى عنه ويكرهه سبحانه، ومن آثار الإيمان بالعدل امتثال العدل في النفس، والعدل حال الرضا والغضب، والعدل مع الأعداء، والحكم بالعدل بين الناس، وقد سبق الكلام على العدل.

٣٦

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ أَبي هُرَيرَة رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمِنٍ كُربَةً مِن كُرَبِ الدُّنيَـا نَفَّسَ اللهُ عَنهُ كُربَةً مِنْ كُـرَبِ يَوم القيامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ على مُعسرٍ يَسَّرَ الله عَلَيهِ في الدُّنيَا والآخِرَة، وَمَنْ سَتَرَ مُسلِمًا سَتَرَهُ الله في الدُّنيَا وَالآخِرَة، وَاللهُ في عَونِ العَبدِ مَا كَانَ العَبدُ في عَونِ أخيهِ، وَمَنْ سَـلَكَ طَريقًا يَلتَمِسُ فيهِ عِلمًا سَـهَّلَ اللهُ لهُ بِهِ طَريقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اجتَمَعَ قَومٌ في بَيـتٍ مِنْ بيوتِ اللهِ يَتلونَ كِتابَ اللهِ وَيتَدارَسـونَهَ بَينَهُم إِلا نَزَلَت عَلَيهُم السَّكينَة وَغَشيَتهم الرَّحمَة وحَفَتهُمُ المَلائِكة وَذَكَرهُم اللهُ فيمَـن عِندَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»، رواه مسلم.

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ أن من فرّج عن مسـلم شـدةً؛ فإن الله يفرج عنه شدةً من شدائد يوم القيامة جزاء لعمله، ومن يسّر على مسلم معسر في دينٍ له يسّر الله سـواءً أبرأه من دينه أو أنظره في أجله، فإن الله ييسر له في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم عيبًا ستر الله عيوبه في الدنيا والآخرة، وبيّن النبي ﷺ أن الله يعين العبد على قدر إعانة

العبد المؤمن لأخيه، وكذلك من دخل طريقًا يطلب فيه علمًا سهَّل الله له به علمًا إلى الجنة، وما جلس قومٌ في مسجدٍ من المساجد يقرأون كتاب الله ويتعلمونه، إلا جازاهم الله بنزول السكينة والطمأنينة عليهم، وشملتهم الرحمة، وصارت حولهم الملائكة، وذكرهم لله في الملأ الأعلى كما ذكروه في الدنيا، ثم ختم النبي ﷺ بقاعدةٍ هي: أن مَن أبطأ وتأخر به عمله فإن نسبه لا يسرع به ولو كان شريفًا.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى:** في الحديث الحث على المسارعة في تنفيس الكرب وتيسير العسير والستر على المسلمين.

• **الفائدة الثانية:** فيه أن الجزاء من جنس العمل، فمَن فرَّج فُرِّج له، ومن يسَّر يُسِّر له.

• **الفائدة الثالثة:** فيه السعي في تخفيف الكرب عن المسلمين ولو لم تزل الكربة بكاملها؛ لقوله: «**من نفَّس**».

• **الفائدة الرابعة:** جاء في رواية «**من نفَّس**» وفي رواية «**من فرَّج**» فتدل الروايتان على أن المسلم عليه أن يسعى إما لتفريج الكربة، فإن لم يستطيع فتنفيسها وتخفيفها.

• **الفائدة الخامسة:** من فرَّج عن مؤمن كربة فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، وكلما أكثر العبد في تنفيس الكرب عن المؤمنين نفّس الله عنه كربًا كثيرة يوم القيامة، ففي ظاهر الحديث حث على التكثير من السعي في تفريج الكرب.

• **الفائدة السادسة**: يقتضـي الحديـث تفقد المسـلمين من حيث الحوائج والكرب والإعسـار، فيكون المؤمن حي القلب تجاه إخوانه يسمع أخبارهم، ويتفقد حوائجهم.

• **الفائدة السابعة**: يربي الحديث المجتمـع على المحبة والأخوة بينهم، فإن مساعدة المحتاج وتفريج الكربات من الإيمان.

• **الفائدة الثامنة**: فيه فضل تنفيس الكربات والتيسـير على المعسر والستر على المسلم.

• **الفائدة التاسعة**: الحديث تفسـير عملي لقوله ﷺ: «**الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيـه**»، فمعونة الأخ تقتضي تفقد حوائجه ومساعدته وتفريج كربته.

• **الفائدة العاشرة**: فيه أن من أراد معونة الله وتوفيقه فليسعَ في إعانة غيره من المسلمين؛ لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

• **الفائدة الحادية عشرة**: يبين الحديث حياة المجتمع المسـلم بين أفراده، الغني يساعد الفقير، الجار يسعى لكسب مودة جاره، وهذا من فضل الله على أهل الإسلام.

• **الفائدة الثانية عشرة**: فيه الحث على طلب العلم، لقوله ﷺ: «**ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما**».

• **الفائدة الثالثة عشر**: فيـه تربية لطالب العلم على سـلوك الطرق الموصلة للعلم، والسفر، والغربة لأجله.

• **الفائدة الرابعة عشر**: طلب العلم الشرعي يوصل للجنة؛ لأن العلم النافع يورث العمل الصالح.

• **الفائدة الخامسة عشر**: في الحديث الحث على الجليس الصالح الذي يجتمع معه لتدارس كتاب الله؛ لقوله: «**يتدارسونه**».

• **الفائدة السادسة عشر**: فيه الحرص على تتبع حلق العلم ومجالس الذكر لما فيها من الخير العظيم، فمن حضر مجلس علم أو حلقة ذكر ثم تركها فقد حرم نفسه.

• **الفائدة السابعة عشر**: فيه أن المسـجد ليس خاصًا بالصلاة، بل تعقد فيه مجالس العلم وحلـق الذكر وحفظ القـرآن وتدارس العلم، لقوله: «**في بيت من بيوت الله**».

• **الفائدة الثامنة عشر**: فيه فضل مجالس الذكر وتدارس العلم حيث تنزل عليهم السكينة وتغشـاهم الرحمة وتحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده.

• **الفائدة التاسعة عشر**: فيه بيان المنهج السليم لقراءة القرآن وحفظه؛ وهو تلاوته ومن ثم تدارسـه ومعرفة معانيه، ولذلـك قال ﷺ: «**يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم**»، فلا تقتصر دراسة القرآن على حفظه.

• **الفائدة العشرون**: تلاوة القرآن وتدارسه يورث السكينة والطمأنينة؛ لقوله: «**إلَّا نزلت عليهم السكينة**».

• **الفائدة الحادية والعشرون**: المسـارعة في الإسلام تكون بالعمل لا بالنسب؛ ولذلك قال ﷺ: «**ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**».

• **الفائدة الثانية والعشرون**: فيـه أن التفاضـل بين أهل الإسـلام بالنسب غير معتبر شـرعًا أبدًا فلا يقدم ولا يؤخر عند الله، ولهذا كان التفاخر بالنسب من أمور الجاهلية التي حرمها الله.

• **الفائدة الثالثة والعشرون**: الحديث يدل على أن المسلم عليه ألَّا يتبع عثرة أخيه المسلم وسقطته ومن ثم ينشرها ويشهرها، بل يسترها.

• **الفائدة الرابعة والعشرون**: دلَّ على أن من ذكر الله ذكره الله في الملأ الأعلى.

• **الفائدة الخامسة والعشرون**: فيه أن جزاء الله أعظم من عمل العبد، وهذا من فضله سبحانه، فالعبد يعمل العمل الصغير فيتقبله الله ثم يجازيه الجزاء الأعظم، فالعبد ييسر على مسلم والله ييسر له في الدنيا والآخرة.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **التبتل**: وهو الانقطاع إلى الله بالكلية بالأعمال الظاهرة والباطنة، فحديث الباب يجعل المؤمن منقطع إلى الله بالأعمال المتنوعة، وأصل التبتل ومنشؤه هو محبة الله، فمَن أحب الله ارتبط به، وانقطع إليه، وقد سبق الكلام على التبتل.

٢ ـ **حياة العلم**: لقوله: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلتَمِسُ فيهِ عِلمًا سَهَّلَ اللهُ لهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**»، وهذا يدل على أن الروح ميتةٌ فيحييها الله بالعلم به، لأن العلم به حياة والجهل به موت، والعلم الذي يهدي للجنة هو العلم الموصل لله؛ وإذا كانت حياة القلب حياةً طيبة بالعلم بالله تبعته حياة الجوارح[1]، وذِكر الجنة في حديث الباب يدل على أن المراد ليس كل العلم نافع إنما النافع ما أوصل للجنة، وقوله: «**وَمَا اجتَمَعَ قَومٌ في بَيتٍ مِنْ بيوتِ اللهِ يَتلونَ كِتابِ اللهِ وَيتَدارَسونَه بَينَهُم إِلا نَزَلَت عَلَيهُم السَّكينَة**»، يشير إلى نوع العلم الذي تحيا به

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٦٧٧.



القلوب وهو تدارس القرآن الكريـــم، ومن آثار حياة العلم أن تحيا معه الإرادة والهمة والمحبة؛ فإن الإرادة تقوى بقوة العلم وتضعف بالفتور.

٣ ـ **السكينة والطمأنينة**: لقوله: «**إلا نَزَلَت عَلَيهُم السَّـكينَة**»، وهي من منازل المواهـــب، وهي الطمأنينة والوقار الـــذي ينزله الله في قلب عبده عند الاضطراب، وهذا يوجب للقلـــب اليقين والثبات[1]، والجار والجرور في قولـــه: «**نزلت عليهم**»؛ يدل على أن الســـكينة تتنزل على جميع القلب وأحاطت بالجوارح ولهذا تسكن الجوارح وتخشع، فينطق اللســـان بالحكمة، وتبادر الجوارح بالعمل، ويشـــعر باللـــذة والنعيم والسرور الذي تستريح به نفسه، وحديث الباب ذكر أعلى الوسائل في تحصيل السكينة وهو تدارس كتاب الله في بيتٍ من بيوت الله.

٤ ـ **الذكر والتذكُّر**: لقوله: «**وَذَكَرهُـــم اللهُ فيمَن عِندَهُ**»، فمن ذَكَرَ الله ذَكَرَه الله، وذكر الله هو بابه الأعظم المفتوح بينه وبين عبده مالم يغلقه العبد بغفلته، وذِكر العبد لربه محفوفٌ بذكرين من ربه له: ذِكرٌ قبله به صار العبد ذاكرًا له، وذكرٌ بعـــده به صار العبد مذكورًا، كما قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٥٢][2]، ولهذا اقتصـــر في حديث الباب على ذكر الله له؛ لأنه أعظم الذكرين، وقسَّم ابن القيم الذكر إلى أنواع:

ـ ذكر الثناء: فنحو: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

ـ ذكر الدعاء: فنحو: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، يا حي يا قيوم برحمتك أســـتغيث ونحو ذلك.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٥٥٢.

(٢) تقريب مدارج السالكين، ص٤٩١

ـ ذكر الرعاية: فمثل قول الذاكر: الله معي والله ناظر إلي الله شاهدي ونحو ذلك مما يستعمل لتقوية الحضور مع الله وفيه رعاية لمصلحة القلب ولحفظ الأدب مع الله والتحرز من الغفلة والاعتصام من الشيطان والنفس، والأذكار النبوية تجمع الأنواع الثلاثة[1].

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الرفيق والرؤوف**: فمن رفقه ﷻ أنه خلق الرفق في قلوب عباده، فبه يترافقون وينفِّس بعضهم لبعض، وييسر بعضهم لبعض، والله يُحب ذلك، ويثيبهم عليه؛ لأنه الرفيق ويعيط على الرفق ما لا يعطي على غيره.

٢ ـ **الكريم والجواد والواسع**: فمن يسَّر على معسرٍ في الدنيا يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن سَتَرَ على مسلمٍ في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة، فالله يجازي عبده بأوفى من عمل العبد وأكرم، حيث يجازيه في الدنيا والآخرة، وهو سبحانه الذي أعانهم على هذه الأعمال ثم تقبَّلها منهم، ثم أثابهم عليها، وهذا من جوده وكرمه وسعته سبحانه.

٣ ـ **الستِّير**: لقوله: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسلِمًا سَتَرَهُ الله في الدُّنيَا وَالآخِرَة**»، والستيِّر من أسماء الله الثابتة له، ومن محبته للستر يثيب عليه في الدنيا والآخرة؛ ولهذا ذمَّ المجاهرين فقال النبي ﷺ: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**»[2]، ومن هتك ستر الله على عباده تتبع الله عورته حتى يفضحه[3]، وبين العبد وبين الله سترٌ فمن هتك الستر الذي بينه وبين

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٤٩٩.

(٢) صحيح مسلم (٢٩٩٠).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٣٢) وقال: حسن غريب، وصححه الألباني.



الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس[١]، وأعظم الستر ستر أعمال القلوب عن عبث الشياطين، فمن أخلص لله ستر الله قلبه عن الشيطان.

٤ ـ المستعان: وقد ذكره جماعة من أهل العلم[٢]؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، والله يُخبر عنه بأنه يُعين عباده كما في الباب: «**والله في عون العبد**»، فمن أعان غيره أعانه الله، ومن استعان بالله أعانه، وأعظم ما يستعان به الله هو العبادة كما قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والاستعانة بالله هي لا حول ولا قوة إلا بالله، فعلى قدر العبودية تتنزَّل إعانة الله كما قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

ومن أفعال الله التي وردت في حديث الباب:

ـ **التسهيل**: لقوله: «**سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**»، والله يسهل لطالب العلم طريقه، فيسهل عليه طلبه والعمل به، وهذا هو طريق الجنة الذي وعد الله به السالك لطلب العلم.

ـ **ذكر الله**: لقوله: «**وذَكَرَهم الله فيمن عنده**»، فالله يذكر من ذَكَرَه، وعلى قدر ذكر العبد لربه يكون ذكر الله له، والله أكرم من عبده، إذ يذكر عبده عند الملأ الأعلى وهو خيرٌ من غيرهم.

---

(١) الفوائد، ص٣١.

(٢) منهم ابن العربي والقرطبي وابن حجر والحمود.

٣٧

الحديث السابع والثلاثون

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَـــنِ النبي ﷺ فِيْمَا يَرْوِيْهِ عَـــنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَـــنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْـــرَ حَسَـــنَاتٍ إِلَى سَـــبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلىَ أَضْعَاف كَثِيْرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

المعنى الإجمالي:

أخبر الله في هذا الحديث القدسـي بأنه كتب السـيئات وكتب الحسـنات، فمَن أراد فعل حسـنةٍ فلم يفعلها فإن الله يكتبها حسنة كاملـةً كأنه عملها، فـإن عمل تلك الحسـنة فإن الله يكتبها عشـر حسنات، ثم يضاعف تلك الحسـنات إلى أضعاف كثيرة، وإن أراد فعل سيئةٍ فلم يفعلها كتبها الله له حسـنةً، فإن عملها بعدما همَّ بها فإن الله يكتبها سيئةً واحدة.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى**: فيه دليل لمذهب أهل السنة والجماعة على أن الله كتب الحسنات والسيئات على الإنسان وقدرها وشاءها، لقوله «**إن الله كتب الحسنات**».

• **الفائدة الثانية**: فيه رحمة الله سبحانه بعباده، والله هو الرحيم.

• **الفائدة الثالثة**: فيه حث على النية الصادقة في فعل الخيرات، فمن همّ بحسنة كتبها الله ولو لم يعملها الشخص فيكون المسلم ما بين عمل صالح ونية صادقة.

• **الفائدة الرابعة**: دلَّ على أن العمل الصالح يضاعفه الله إلى عشر حسنات ثم إلى سبعمائة ضعف ثم إلى أضعاف كثيرة.

• **الفائدة الخامسة**: فيه أن الهمَّ بالحسنة يكتبه الله لصاحبه.

• **الفائدة السادسة**: فعل الحسنة بعد الهمَّ بها أفضل من مجرد الهم، فَفَرقٌ بين حسنة يكتبها الله حسنة واحدة وبين أن تضاعف إلى أضعاف كثيرة.

• **الفائدة السابعة**: فيه لطف الله سبحانه وتعالى بعباده؛ فلم يضاعف لهم السيئات.

• **الفائدة الثامنة**: دلَّ على أن الترغيب من أساليب الدعوة إلى الله؛ فالله سبحانه يرغب عباده في فعل الحسنات، ويزهدهم في السيئات.

• **الفائدة التاسعة**: الحديث يربي في المؤمن جانب الرجاء وهو من أعمال القلوب؛ لأنه يورث حسن الظن بالله ويقود للعمل.

• **الفائدة العاشرة**: لا تعارض بين أن الله كتب السيئات على الإنسان وبين أنه يعاقبه عليها، لقوله «**فعملها**» فنسب العمل للإنسان نفسه مع إرادته واختياره وبيان الله له أعظم بيان لفضل الحسنات وما أعده الله لمن عمل حسنة، فمن ترك بعد ذلك وذهب للسيئات باختياره فلا يلومنَّ إلَّا نفسه.

• **الفائدة الحادية عشرة**: فيه اطلاع الله على همِّ الإنسان وخواطره، ومن باب أولى أعماله، فسبحان من لا تخفى عليه خافيه.

• **الفائدة الثانية عشرة**: الحديث يزيد في جانب الحياء عند المؤمن؛ لأن الله مطلع على سريرته بل وعمله السيئات، فمن استحضر هذا زاد حياؤه من الله سبحانه.

• **الفائدة الثالثة عشر**: من فضّل السيئات وعملها بعد هذا الحديث فقد فرّط أعظم تفريط، وقامت عليه الحجة.

• **الفائدة الرابعة عشر**: الحديث يدل على كمال غنى الله ﷻ، فإنه يجازي بالهمِّ بالحسنة وبمضاعفة الحسنة ولا ينقص مما عنده شيئًا.

• **الفائدة الخامسة عشر**: الحديث يوجب شكر المولى ﷻ على صفاته العظيمة.

• **الفائدة السادسة عشر**: كتابة الله للحسنات والسيئات التي يعملها الإنسان حتى تقام الحجة عليه من نفسه، وتحقيقًا لكمال العدل، فلا يظن من عمل السيئات ونسيها أنها غابت وفاتت ونسيت، بل كتبها الله، وحفظها إن لم يتدارك نفسه بتوبة.

• **الفائدة السابعة عشر**: الحديث يربي في المسلم الخوف من الله؛ لقوله «**فمن هم بسيئة فلم يعملها**» أي خوفًا من الله، والخوف من مقامات القلوب.

• **الفائدة الثامنة عشر**: فيه فضل الخوف من الله ومراقبته سبحانه، فقد كتب لمن ترك السيئة ـ خوفًا من الله ـ كتبها له حسنة فهذا الذي يورثه الخوف من الله سبحانه ومطالعته ومراقبته.

• **الفائدة التاسعة عشر**: فيه أن الإنسان مع بيان فضل الله قد يغلبه هواه ونفسه والشيطان فيقع في الذنب، لكن من فضل الله ورحمته أنه يكتبها عليه سيئة واحدة، فإن تاب تاب الله عليه.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ الإرادة والهمة: لقوله: «**إذا همَّ أحدكم**»، والهمة هي مصدر الانبعاث للمقصود، وهمة العبد إذا تعلقت بالحق تعالى طلبًا خالصًا فتلك الهمة العالية، وصاحب هذه الهمة سريعٌ وصوله وظفره بمطلوبه[١]، فعلى العبد أن يتعلَّم الإرادة لأن عليها مدار العبودية، وقد سبق الكلام على الهمة والإرادة.

٢ ـ المراقبة: لقوله: «**وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**»، فلم يعمل السيئة لقيام المراقبة في قلبه، لكمال استحضار اسم الله السميع والعليم والبصير، وقد مضى الكلام على المراقبة.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٥٦٣.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الكتابة**: وهي من صفــات الله لقوله: «**إن الله كتب**»، فالله يكتب ما يشــاء متى شــاء، وهذا فرعٌ عن ملكه ســبحانه وإرادته ومشــيئته، وما كتبه الله فلا مبدل له إلا بإذنه فالله يمحو ما يشاء ويثبت، ومن آثار ذلك على العبد المؤمن التعظيم والرضا.

٢ ـ **الملك**: لأنه كتب الســيئات، فيفعل ما يشــاء ويكتب ما يريد، وما كتبه الله فهو كائن، وقد كتب الله الســيئات على العبد فيصيبه ذلك ولا بدَّ، وقد فتح الله باب التوبة للعبد، ومن آثار هذا الاسم على العبد أن يذعن العبد لله وأحكامه، وأن يعظمه في قلبه ويجله.

٣ ـ الكريـم: لقوله: «**كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْــرَ حَسَــنَاتٍ إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلــىَ أَضْعَاف كَثِيْرَةٍ**»، وهذا من كرمه ســبحانه على عبده، ومن كرمه أنه يكتب السيئة حسنةً إذا تركها العبد، ومن كرمه أنه لا يضاعف الســيئة كما يضاعف الحســنة، ومن آثار ذلك على العبد أنه يتعرض لنفحات كرم الله ويطلبها من أبوابها.

٤ ـ **البصير والخبير واللطيف**: لعلمه سبحانه بما همَّ به العبد، فهو يبصر خفايا قلبه، وخبيرٌ بمــا يدور في ذهنه، ويــدرك لطائف أحواله وأقواله وأفعاله، فالله يعلم هموم العبد وإراداتــه، وهذا يورث المراقبة وتجديد النية عند العبد.

٣٨

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِيْ بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. ولايَزَالُ عَبْدِيْ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِيْ يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِيْ يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِيْ بِهَا. وَلَئِنْ سَأَلَنِيْ لأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِيْ لأُعِيْذَنَّهُ» رواه البخاري.

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ عن الله بأنه قال: من يعادي وليًّا من أولياء الله؛ فإن الله يعلمه بالحرب انتقامًا لوليه، ولا يتقرَّب العبد لربه بشيءٍ كما تقرَّب بفعل الفرائض، ولا يزال العبد يتقرَّب لربه بفعل النوافل حتى يحبه ربه، فإذا أحبه الله فإنه يوفقه كل التوفيق، فيكون الله سمعه الذي يسمع به، فلا يسمع بأذنه إلا الخير، ويكون الله عينه التي يبصر بها، فلا ينظر إلا إلى ما يحبه الله، ويكون الله يده التي يعمل بها، فلا يعمل بيده إلا كل خير، ويكون الله رجله التي يمشي عليها، فإذا وصل العبد لهذه الدرجة من الولاية فإن الله يستجيب له أدعيته، ويعيذه ويحميه إذا احتمى به عبده.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• الفائدة الأولى: فيه الوعيد الشديد لمن آذى عبدًا من عباد الله الصادقين؛ حيث توعده الله بقوله: «**فقد آذنته بالحرب**».

• الفائدة الثانية: فيه فضل الولي عند ربه.

• الفائدة الثالثة: يدل على منزلة الإنسان المؤمن الصادق عند ربه، وأنها منزلة عالية؛ حيث ينتقم الله له إن أوذي.

• الفائدة الرابعة: الولاية لله تختلف على حسب زيادة الإيمان والتقوى في القلب، لأنها مأخوذة من الولي بسكون اللام وهو القرب، ولا شك أن القرب إلى الله يختلف باختلاف الطاعات، فعلى هذا كلما كان الشخص أكثر إيمانًا وأشد صدقًا وأعلى إخلاصًا كلما ارتفعت درجة ولايته.

• الفائدة الخامسة: فيه محبة الله لأوليائه؛ حيث ينتصر لهم إذا مُسوا بسوء.

• الفائدة السادسة: يدل على عظيم غضب الله وشدته لكمال قوته سبحانه.

• الفائدة السابعة: دلَّ على أن تَقَصُّد إيذاء المؤمنين معصيةٌ من المعاصي، وكبيرة من كبائر الذنوب؛ لأن الله رتب عليها الحرب.

• الفائدة الثامنة: الحديث يبعث الطمأنينة والراحة للمؤمن؛ لأن الله تكفل بالانتقام له.

• الفائدة التاسعة: دلَّ الحديث على أن الفرائض أعلى من النوافل جميعًا؛ لقوله «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه**».



• الفائدة العاشرة: قوله: «**وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل**»؛ فيه تفسير لمعنى الولي، وأن من أدى الفرائض ثم أتبعها بالنوافل حصل على ولاية الله، وكلما كان حرصه على ذلك أكمل كلما كانت درجة ولايته أعلى إلى أن يصل إلى درجة الحديث وهي الإحسان.

• الفائدة الحادية عشرة: فيه ردٌّ على الصوفية الذين يزعمون أن الولي منزلة من بلغها سقطت عنه التكاليف، فمن تأمل الحديث وجد أن من بلغ مرتبة الولاية فعليه أن يزداد حفاظًا على الفرائض والنوافل.

• الفائدة الثانية عشرة: فيه أن الله يحب الطاعات وعلى رأسها الفرائض؛ لقوله: «**وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه**».

• الفائدة الثالثة عشر: فيه أن أداء النوافل يحتاج إلى استمرار ومحافظة ومداومة حتى يرتقي الشخص إلى درجة أكمل؛ ولهذا قال: «**ولا يزال**» وهي كلمة تدل على المداومة.

• الفائدة الرابعة عشر: يدل على أن النوافل مما يتقرب بها إلى الله، لا كما ينظر إليها بعض الناس اليوم أنه لا يأثم تاركها فنظروا إلى الإثم وعدمه، وفاتهم أنها مما يقرب إلى الله.

• الفائدة الخامسة عشر: للنوافل فائدتان مذكورتان في الحديث:

ـ الأولى: أنها تُقرِّب إلى الله في المنزلة، ولهذا قال: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل**».

ـ الثانية: تورث محبة الله سبحانه للعبد لقوله: «**حتى أحبه**».

• **الفائدة السادسة عشر**: فيه إثبات صفة المحبة لله تبارك وتعالى.

• **الفائدة السابعة عشر**: الحديث فتح الباب أمام المسلم ليعمل ما يستطيع من النوافل وأنواع العبادات، ولهذا أَطلق النوافل ولم يقيدها بقيد.

• **الفائدة الثامنة عشر**: فيه أن العبودية لله هي حقيقة الولاية ولهذا كرر كلمة «عبدي» مرتين في الحديث.

• **الفائدة التاسعة عشر**: الحديث يربي المسلم على العمل الصالح ليلتمس محبة الله؛ لقوله: «**ولا يزال عبدي يتقرب**»، وهذا هو شأن المسلم في حياته يصرفها في طاعة الله ومرضاته.

• **الفائدة العشرون**: فيه كرم الله سبحانه؛ حيث يعين المؤمن على العمل الصالح، ثم يقبله منه ويحبه لأجله، فله الفضل أولًا وآخرًا.

• **الفائدة الحادية والعشرون**: في الحديث بيان لتوفيق الله لمن أحبه أيما توفيق، فقد حاز الفلاح كله.

• **الفائدة الثانية والعشرون**: ثمرات محبة الله للعبد تتجلى في أمور:

- **أولًا**: يوفقه الله في سمعه فلا يسمع إلّا ما يحبه الله.

- **ثانيًا**: يوفقه الله في بصره فلا ينظر إلى الحرام، بل يطيع الله في عينيه.

- **ثالثًا**: يوفقه الله في يده فلا يتصرف إلّا بما يحب الله ويهجر ما نهى الله عنه.

- **رابعًا**: يوفقه الله في رجله فلا تخطو إلّا لما يرضاه الله.

- **خامسًا**: يستجاب دعاؤه، حيث أكدَّ ذلك باللام والنون فقال «**لأعطينَّه**».



ـ سادسًا: يعيذه الله من كل سوء، حيث أكدّ الله ذلك باللام والنون فقال: «**لأعيذنَّه**»، نسأل الله الكريم من فضله.

• الفائدة الثالثة والعشرون: فيــه أن الطاعات إذا فعلها الإنســان ثم استمر عليها فإنها تطرد من قلبه أي محبة غير الله.

• الفائدة الرابعة والعشرون: فــي الحديــث تربيــة لأهــل الطاعة والأولياء أن ما حصل لهم من الطاعات والبعد عن السيئات إنما هو بفضل الله حيث أحبهم فيطرد هــذا الكبر والعجب من القلب ولا يترك للشيطان مدخلًا.

• الفائدة الخامسة والعشرون: يــدل الحديــث على أن من وقع في المعاصي واستمر فيها نقصت محبة الله له على قدر عصيانه، وهذا من شؤم المعصية، والله يعفو عن كثير.

• الفائدة السادسة والعشرون: قولــه: «**ولئن ســألني لأعطينَّه ولئن اســتعاذ بي لأعيذنَّه**» **ردٌّ على أهل الإلحاد والحلــول الذين فهموا من قوله:** «**كنت سمعه وبصره ويده ورجله**» **عقيدة الحلول الباطلة. فقد قال** «**لئن سألني**» فأثبت سائل وهو العبد ومسؤولٌ وهو الله.

• الفائدة السابعة والعشرون: قوله: «**كنت ســمعه الذي يسمع به**»؛ هذا تفسيرٌ لمعية الله الخاصة بعباده المؤمنين وأوليائه الصادقين.

• الفائدة الثامنة والعشرون: دلَّ الحديــث على أن أســاس الطاعة وأصلها محبــة الله في القلب، فمن أحب الله أطاعــه، فإن قويت محبته زادت طاعته.

• الفائدة التاسعة والعشرون: دلَّ الحديث على أن أساس المعاصي وأصلها محبة غير الله من هــوى أو نفس أو دنيا، فمــن أحب غير الله

نقص من طاعتـــه لله على قدر تلك المحبة، فـــإن زادت محبته لغير الله وقع في الشرك، ومن هنا قال النبي ﷺ: «**تعس عبد الدينار**»، فعبوديته له على قدر محبته له.

• **الفائدة الثلاثون**: قوله: «**يكره المـــوت**»؛ يدل على أن الجزع من الموت وعدم محبته لا إثم فيه، لأن الكلام في الحديث عن المؤمن.

• **الفائدة الحادية والثلاثون**: قوله: «**أكره مســـاءته**»؛ **يدل على شدة الموت وصعوبة نزوله ولهذا سماها الله** «**مساءة**» أي يحصل له سوء فيه، فنسأل الله أن يهون علينا سكرته.

• **الفائدة الثانية والثلاثون**: المراد بالتردد هنا أن الله كتب الموت على الناس جميعًا والمؤمن يكره الموت لما فيه من شـــدة وكرب، فالله كتبه على الناس ومع ذلك يكره سبحانه ما يسيء المؤمن فسمى ذلك ترددًا.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **عمارة الوقت**: والمقصود بهـــا «أن الله إذا أراد بالعبد خيرًا أعانه بالوقت، وجعل وقته مســـاعدًا له، وإذا أراد به شـــرًّا جعل وقته عليه، وناكده وقته، فكلما أراد التأهب للمسير لم يساعده الوقت»[1]، فحديث الباب يدل على أن مـــن عمَّر وقته باطلاع الله ومحبته، كان الله ســـمعه وبصره ويده ورجله، فيهديه لكل خير، فيمتلـــئ وقته بالعمارة، وتنقاد جوارحه للطاعة وعلى هذا تكون الولاية، ومدار ذلك كله على: المحبة والخوف والرجاء.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٦٢٢.



٢ ـ المحبة: وحديث الباب أصلٌ لها، وهي لا تأتي إلا بعد الفرائض والنوافـــل، وصيغة «يتقرَّب» تدل على اســـتمرار العبـــد بالتقرُّب حتى يقترب من ربه فحينئذٍ يُحبه سيده، فإذا أحبه سيده وضع في قلبه محبة الله، فـــإذا أحب العبد ربـــه أحبه الله مـــرة أخرى غير المحبـــة الأولى، فالأولى محبة هداية، وهذه محبة فضل وكرم، فرجع الفضل كله لله أولًا وآخرًا، والمقصود أن محبة الله مشروع عمر تأخذ من الإنسان كل وسيلة ليصل إليها، وقد سبق الكلام متفرقًا عن المحبة.

٣ ـ التحقيق والإتقان القلبي: والمقصود بها أن يُحَقِّق العبد توحيده وإيمانه عن العوارض والمفســـدات والقواطع التي تقطع قلبه عن الله، وقد جعل ابن القيم هذه العوارض والقواطع على نوعين[1]:

أ ـ عوارض محبوبة: بأن تعرض له أمـــورٌ تقطعه عن الله مما تُحبه نفسه وهواه وهي من مفسدات القلب أو مزعجاته، وما أكثرها في زماننا المعاصر الذي تميَّز بكثرة مغرياته.

ب ـ عوارض مكروهة: بأن تعرض له أمورٌ تقطعه عن الله أيضًا، لكنها ليست من محبوبات نفســـه، إنما هي من أقدار الله، كالمحن وبعض المصائب، وهذه تقطع عـــن الله أحيانًا بحكم طبيعـة الفقر لدى البشر.

وعلاج كلا النوعين: يكون «بعدم الوقوف مع هذه العوارض، وأن يتغافل عنها ما أمكنه، فإنها تمر مَرًّا سريعًا، لا يوسع دوائرها، فإنه كلما وسَّـعَها اتســعت، ووجدت مجالًا فســيحًا، فصالت فيه وجالت، ولو ضيَّقها بالإعراض عنها والتغافل لاضمحلت وتلاشـــت، فصاحب مقام

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٧٣١.

التحقيق ينســاها ويطمس آثارها، ويعلم أنها جاءت بحكم المقادير في دار المحن والآفات»[١].

وحديث البــاب يدل على أن هــذا العبد الولــي لله حقّق إيمانه وتوحيده، وصبر على هذه العوارض ولم ينقطع بها، فبقي مصحوبًا بالله ومع الله ولله، حتى غمرته محبة الله.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الوَلِّي**: يطلق على كل من وَلي أمــرًا أو قام به، والله تولّى أمور العالم والخلائق، وهو مالك التدبير، وهو الولــيّ الذي صرف لخلقه ما ينفعهم في دينهم وأخراهم، وقد سمّى الله تعالى نفسه بهذا الاسم.

والولي في حديــث الباب يُقصد به العبد الذي تولى عبادة ســيده والتقرب إليه ما أمكنه من أنواع القربات، وهذا العبد الولي يجازيه الله فيتولاه بولايته سبحانه إذ من اســمائه الولي، فيتولاهم بإخراجهم من الظلمات إلى النور، ويتولّى تربيتهم بلطفه، ويعينهم في جميع أمورهم وينصرهم، ويؤيّدهم بتوفيقه، ويسدّدهم[٢].

٢ ـ **النصير**: هو الموثوق منه بأن لا يُسلم وليه ولا يخذله، والله ﷻ النصيــر، ونصره ليس كنصــر المخلوق، وحديث البــاب ذكر النصرة بقوله: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَــرْبِ**»، ونصرة الله لعبده على قدر نُصْرَة العبد لله، كما قــال: ﴿**إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ**﴾ [محمد: ٧]، فمن نَصَر الله نَصَــرَه الله، ومن خذل الله ودينه خُذِل، ومــن آثار ذلك: القيام

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ملخص من كتاب: شرح أسماء الله الحسنى، سعيد بن وهف، ص٢١٣ وما بعدها.

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ هو نُصَرةٌ لله، ومحاسبة النفس على جوانب التقصير في النصرة.

٣ ـ **القريب:** حديث الباب يدل على قرب الله من عبده، «وقربه على نوعين:

أ ـ **قرب عام:** قرب عام من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، وإحاطته وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

ب ـ **وقرب خاص:** من عابديه وسائليه ومجيبيه وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول، والإثابة»[1].

٤ ـ **الودود:** وهو من أسماء الله التي تدل على محبة الله لأوليائه، ومن آثار ذلك محبة العبد لله، وحياؤه منه إذ استشعار تودد ملك الملوك لبعدٍ فقير يورثه الانكسار.

٥ ـ **المجيب السميع:** لقوله: «**وَلَئِنْ سَأَلَنِيْ لأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِيْ لأُعِيْذَنَّهُ**»، والمجيب من أسماء الله الثابتة له، التي تدل على أنه سمع عبده وأجابه، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وهذا يورث العبد: الطمأنينة والثقة بالله، وصحة الاعتماد عليه، وضرورة التعلق به، وتجريد الدعاء والضراعة له.

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي، ص٦٩.

٣٩

الحديث التاسع والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ» حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

المعنى الإجمالي:

بيَّن النبي ﷺ أن الله رَحِم أمة نبيه عليه السلام، فتجاوز عن ثلاثة أشياء لهم: ما أخطأوا به، وما أصابهم فيه النسيان، وما فعلوه وهم مُكرَهون، وفي هذا بيان لرحمة الله وفضله على هذه الأمة المباركة.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى:** فيه كرم الله تبارك وتعالى وعظيم عفوه، حيث تجاوز عن تلك الأمور.
- **الفائدة الثانية:** ظاهر لفظ الحديث في قوله: «أمتي» يدل على أن ذلك من خصائص هذه الأمة المحمدية.
- **الفائدة الثالثة:** دلَّ على أن: الخطأ والنسيان والإكراه معفو عنها متجاوز عن الإثم فيها.



• الفائدة الرابعة: الحديث يؤيد قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فالسنة توافق القرآن وتصدقه.

• الفائدة الخامسة: دلَّ على الفرق بين الخطأ والنسيان:

ـ فالخطأ: أن يقصد بفعله شيئًا فيصادف فعله غير ما قصده، كأن يقصد أن يقتل كافر فصادف قتله مسلمًا.

ـ والنسيان: أن يكون ذاكرًا الشيء فينساه عند الفعل ويُذهل عنه.

• الفائدة السادسة: المراد من قوله: «**تجاوز**» أي: عن الإثم، لكن قد يضمن أحيانًا ويعيد الفعل أحيانًا على حسب الفعل، فمن نسي الوضوء وصلى؛ فلا إثم عليه، لكن عليه الإعادة وهكذا.

• الفائدة السابعة: فيه سهولة الشريعة الإسلامية وتيسير الله لها.

• الفائدة الثامنة: فيه فضل الله على هذه الأمة.

• الفائدة التاسعة: دلَّ على محبة النبي عليه السلام لأمته؛ لقوله: «**أمتي**» فنسبهم له ﷺ.

• الفائدة العاشرة: الحديث يدل على مراعاة النقص البشري الذي يصيب العبد بحكم بشريته؛ كالخطأ والنسيان والإكراه.

• الفائدة الحادية عشرة: الحديث يدل على تعظيم إرادة العبد ولهذا تجاوز عن حال الإكراه.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ العزيمة: وهو العقد الجازم على امتثال الفعل، وحديث الباب يربي في القلب العزم على الرشد، وحسن القصد في العمل، والعزم هو

المرتبة الثانية من مراتب تعظيم الأمر الشرعي، «فأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به رغم القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأمورا به»[١]، والعزم قرين العمل، فإن كان العزم موجودًا في القلب فالله يعفو عن الخطأ والنسيان، والعزم آفته النسيان والفتور، والنسيان قد عفا الله عنه في هذه الحديث، والفتور علاجه الاستعاذة بالله من العجز والكسل، والعزم هو الذي يوطن النفس على الفعل.

٢ ـ اليقين والرضا: عفا الله عمَن أُكـره؛ لأن القلب إذا امتلأ باليقين بالله وشرعه ودينه وألوهيته وربوبيته؛ فلا يضره ما أُكره عليه مما يخالف ذلك، وهذا معنى قوله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، واليقين قرين التوكل كما قال: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، فالحق المبين هو اليقين المُستقر في القلب، فإذا استقر اليقين بالقلب أصبح مادةً لجميع مقامات الإيمان[٢]، فملأ القلب محبة لله وخوفًا منه ورجاءً له وإنابةً ورجوعًا إليه وهكذا بقية المقامات، وقد ذكر أهل السلوك أركان اليقين وهي[٣]:

أ ـ قبول دين الله وما أخبر بـه وأمر ونهى فتتلقاه بالقبول والإذعان والانقياد والتسليم.

ب ـ الإيمان بالغيب الذي أخبر الله عنه من أمور المعاد وتفاصيله.

ج ـ العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله وتوحيده مما أخبرنا الله به.

---

(١) الصواعق المرسلة ١٥٦٢/٤.

(٢) تقريب مدارج السالكين، ص ٤٧٨.

(٣) تقريب مدارج السالكين، ص ٤٧٩.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **العفو والغفور:** وهي من أسماء الله الثابتة التي تدل على صفحه وتجاوزه سبحانه، وهذا من كرمه وجوده وإحسانه على عباده، ومن عفوه أنه عفا عن الخطأ والنسيان وما أُكره عليه المسلم، ومن آثار ذلك على المؤمن: محبة الله فالقلب مجبولٌ على محبة العافي الذي يصفح، والتحلي بصفة العفو والصفح عن الناس، وللإيمان بصفة العفو لله أثرٌ على علو الهمة، فالعفو يعلق الهمة بمعالي الأمور.

٢ ـ **القاهر القهَّار:** «فهو الذي قهر جميع الكائنات، وذلَّت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادثٌ ولا يسكن ساكنٌ إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعًا، ولا ضرًا، ولا خيرًا ولا شرًّا، وقهره مستلزم لحياته وعزته وقدرته فلا يتمّ قهره للخليقة إلا بتمام حياته وقوة عزته واقتداره؛ إذ لولا هذه الأوصاف الثلاثة لا يتم له قهر ولا سلطان»[1].

فقوله في حديث الباب: «وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ» تدل على القهر والإكراه، فكل قَهْرٍ فهو تحت سلطان الله، وما كان إلا بإذن الله القهار، وهذا يجعل المؤمن يطمئن أنه تحت سلطان الله وأمنه وتدبيره، وأن من قهره فإنما كان ذلك بإذن الله ولو شاء ألا يكون فإنه لن يكون، ولله في ذلك حكم كثيرة، فمن آمن وعرف واستحضر معنى القاهر القهَّار، والقادر والقدير لم يضره إيمانه ما وقع عليه من إكراه.

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى، ص ٦٧.

٤٠

الحديث الأربعون

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ بِمنْكبيَّ فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيْلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُوْلُ: إِذَا أَمْسَــيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لمَوْتِكَ، رواه البخاري.

المعنى الإجمالي:

يخبر الصحابــي الجليل ابن عمــر رضي الله عنهما: أن النبــي ﷺ وضع يده الشــريفة على كتف ابن عمر وأوصاه: بأن يكون في الحياة الدنيا، مثل الرجل الغريب عن موطنه، أو المســافر الذي يقنعه مقدارٌ بســيط من العيش، وقلبه معلقٌ ببلده الأصلي، وموطنه الذي ســيرجع إليه، ثم إن ابن عمر رضي الله عنهما، فسَّر ذلك: بأنه انتظار لقاء الله، فإذا أصبح الرجل فليقصر الأمل ولا ينتظر المساء، وإذا أمســى فلا ينتظر الصباح، كحال الغريب الذي ينتظر العــودة إلى بلده بأقرب فرصة حصلت، ووســيلة ذلك أن يستغل وقت الصحة بالعمل الصالح، فإذا فاجأه مرضٌ وإذا به قد أخذ نصيبًا وافرًا من العبادة قبل ذلك، وأوصاه بأن يستغل وقت حياته فيتزود من الطاعات قبل الموت.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: الحديث أصلٌ في قصر الأمل في الدنيا.

- **الفائدة الثانية**: حديث الباب يضبط تعامل المؤمن مع الدنيا، فينظر لها على أنها ممر لا مقر.

- **الفائدة الثالثة**: يبين منزلة الدنيا عند المؤمن وأنها أقل شأنًا من أن يتعلق بها أو يصرف لها همه وهمته، بل يسخرها في طاعة الله.

- **الفائدة الرابعة**: لا يدل الحديث على ترك الرزق وتحريم ملذات الدنيا، بدليل فعل النبي ﷺ الذي قال هذه الوصية، وصحابته الكرام الذين طبقوها، فقد تاجروا وعملوا وتلذذوا بالحلال، مما يدل على أن المراد بالحديث: عدم التعلق بحيث أن تصده عن طاعة ربه.

- **الفائدة الخامسة**: يدل الحديث على أن النصيحة تبذل أحيانًا بدون سؤال وطلب، فقد أسدى النبي ﷺ هذه النصيحة لابن عمر رضي الله عنهما بدون سؤال وطلب منه، وهذا هو شأن المؤمن.

- **الفائدة السادسة**: يربي الحديث المسلم على أن يزيل من ذهنه الخلود في هذه الدنيا، كما هو حال الرجل الغريب الذي يمر ببلد، فإنه جعل في قرارة ذهنه أنه لن يستقر فيها.

- **الفائدة السابعة**: قوله «**غريب**» إشارة إلى أننا في هذه الدنيا على سفر للدار الآخرة.

- **الفائدة الثامنة**: من لوازم الغربة للرجل الغريب ما يلي:

أ ـ عدم الاستقرار في البلد الذي يمر عليه، وكذلك المؤمن لا يستقر في الدنيا.

ب ـ رضاؤه بالقليل من المتاع، وهذا هـو حال المؤمن التقي مع متاع الدنيا فيرضى بالقليل منه.

ت ـ الغريب لا ينافس أهل البلد في دنياهم وبنائهم وأموالهم وشؤونهم؛ لأن همته متعلقة بما أمامه من طريق، وكذلك المؤمن لا ينافس الناس في دنياهم، بل همه معلق بالآخرة والاستعداد لما أمامه.

ث ـ استعداده للسفر في أي لحظة أو ساعة، وكذلك أيضًا المؤمن مستعد للقاء ربه متى شاء الله سبحانه.

ج ـ الغريب لا يأسف ويحزن لفوات شيء من دنيا الناس في ذلك البلد؛ لأنها لا تعنيه وكذلك المؤمن لا يأسف ويحزن لفوات شيء من أمور الدنيا حزنًا يقطعه عن عمله وآخرته.

ح ـ الغريب لا يطمئن ويرتاح حتى تنقطع غربته بالوصول لما يريد، والمؤمن لا يرتاح ولا يطمئن حتى يوصله الله بفضله لدار كرامته.

خ ـ الغريب يجعل إقامته في ذلك البلد عونًا له على قطع سفره، فيتزود فيه من الماء والطعام والراحة ليواصل سيره، وكذلك المؤمن يجعل الدنيا عونًا له على سفره للدار الآخرة فيتزود بالأعمال الصالحة لتعينه على سفره.

• **الفائدة التاسعة:** قوله «**غريب أو عابر سبيل**» يشتركان في عدم الاستقرار والاستيطان والاستعداد للرحيل.

• **الفائدة العاشرة**: الحديث يربي المؤمن على التطلع للآخرة والنظر والاستعداد لها.

• **الفائدة الحادية عشر**: يبين الحديث مدة الدنيا بالنسبة للآخرة، وأنها كإقامة غريب في غربته مقارنة باستيطانه في بلده أو استراحة عابر سبيل مقارنة بمدة إقامته عند أهله.

• **الفائدة الثانية عشر**: يدل الحديث بمفهومه على خسارة من باع دنياه بدينه، لأنه باع فانٍ زائل بباقٍ دائم.

• **الفائدة الثالثة عشر**: قول ابن عمر رضي الله عنهما «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء»؛ تفسير لحديث الباب، وتطبيق عملي للحديث.

• **الفائدة الرابعة عشر**: الحديث لا ينفي طلب الرزق والتزود من الدنيا كما أن الغريب في حال غربته لا يقطعه ذلك عن التزود والأكل والرزق.

• **الفائدة الخامسة عشر**: وصف الغربة في الحديث يدل على أمرين:

ـ **الأول**: ينفي العجب والكبر والبطر والفخر لأن الغريب كذلك.

ـ **الثاني**: يوحي اللفظ بالمسكنة والذلة.

وكِلا الأمرين يجب أن يتحلى بهما المؤمن، فينفي الكبر والبطر والفخر، ويلبس لباس العبودية والفقر والذلة لله سبحانه وتعالى.



الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **الزهد والافتقار**: وذلك بعدم تعلق قلبه بشهوات الدنيا ومتاعها، وأن يسخر كل شيءٍ أبيح له بجعله وسيلة تقربه إلى الله، وهذا لا يكون إلا إذا امتلأ قلبه من التعلق بالله ومحبته، وقد مضى الكلام على منزلة الزهد.

٢ ـ **الشوق**: وهو اهتياج القلوب إلى الله، وكان النبي ﷺ أعظم الناس شوقًا إلى الله، والشوق أثرٌ من آثار المحبة، وحديث الباب يربي قلب المؤمن على الشوق لربه؛ لأنه يجعله في هذه الدنيا كأنه غريب ينتظر الرجوع، ولمنزلة الشوق للقاء الله حِكَمٌ منها[1]:

أ ـ حصول الأمن الباعث على العمل والأمل؛ لأن الخوف المجرد عن الأمن من كل وجه يصير قنوطًا.

ب ـ فرح يخالط القلب يجلو عنه حزنه، لأن الحزن مقعدٌ عن العمل.

ومما يزيد الشوق في قلب المؤمن:

أ ـ رؤيته منَّة الله عليه، وألطافه وإحسانه.

ب ـ معرفة أسماء الله وصفاته، فمَن عرف أسماء الله وصفاته وكانت معرفته له صحيحةً عن طريق النصوص الشرعية، وأعمل فكره وقلبه في تأملها، وشاهد آثارها في الحياة، فإنه سيشتاق لله ولا بدَّ، وهذه الدرجة أعلى من السابقة، وهي درجة أهل العلم العارفين به سبحانه.

---

(١) تقريب مدارج السالكين، ص٥٩١ بتصرف.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الآخر والوارث:** فالآخر الذي ليس بعده شيء، وإليه مرجع الغرباء كلهم، والوارث الذي يرث الدنيا والآخرة، فحديث الباب يدل على أن العبد مرتحلٌ عن هذه الدنيا وراجع إلى مولاه سبحانه، ومن آثار ذلك على المؤمن: الاستعداد للقاء الله، ومحاسبة النفس على هفواتها وزلاتها.

٢ ـ **الباقي:** وقال به عدد من العلماء[١]، والله يخبر عنه بأنه الباقي بعد فناء المخلوقات، وحديث الباب يدل على زوال الدنيا كلها ولا يبقى إلا الله، ومن آثار ذلك على المؤمن: التبتل والانقطاع إلى الله بالعبادة، ودفع التعلق بغير الله من القلب، والثقة به سبحانه وحده.

---

(١) منهم ابن حجر والبيهقي وغيرهم.

٤١

الحديث الحادي والأربعون

عَــنْ أَبِيْ مُحَمَّــدٍ عَبْدِ اللهِ بْــنِ عمْرِو بْــنِ العَاصِ رضي الله عنهما قَــالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»، حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ الحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ.

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ بأن الإيمان لا يكون كاملًا حتى يكون هوى العبد وإرادته تابعةً لما جاء به النبي ﷺ.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى:** دلَّ الحديــث على أن من جعل هواه يتبع دين الله وشرعه فقد استكمل الإيمان.

- **الفائدة الثانية:** الحديث يربي النفس على المجاهدة؛ لأن الهوى هو أمــل النفس ومرادهــا ومبتغاهــا، ولأجل ذلك يحتــاج إلى جهد ومجاهدة وإيمان، حتى يكون تبعًا للشرع.

- **الفائدة الثالثة:** فيه أن طاعة الهوى تصرف عن دين الله.

• **الفائدة الرابعة:** الأصناف ثلاثة: المؤمن يجعل هواه على حسب الشريعة، وناقص الإيمان يقدم طاعة الهوى أحيانًا، والمنافق والكافر فيحرف الشريعة على حسب هواه ورغبته.

• **الفائدة الخامسة:** الحديث يربي المسلم على محاسبة نفسه وهواه هل هي تتبع الشرع أم لا؟

• **الفائدة السادسة:** الحديث يدل على خطورة الهوى؛ لأنه إن لم يكن تبعًا للشرع فإنه ينقص الإيمان.

• **الفائدة السابعة:** فيه أن المسلم مستسلمٌ لأمر الله سواءً وافق هواه أم لا؟

• **الفائدة الثامنة:** فيه أن المؤمن يحب الله وأوامره، ويعظم نواهيه، وافق ذلك هواه أم خالفه، وهذا معنى أن يجعل هواه تبعًا لما جاء به النبي ﷺ.

• **الفائدة التاسعة:** يدل الحديث على أن المؤمن لا يبحث عما يشتهي هواه، لكن يبحث عن طاعة الله ثم يفعلها.

• **الفائدة العاشرة:** الحديث يربي المسلم على طلب الشرع والدليل ولو خالف هواه، فالمؤمن يبحث عن الدليل فإن صح عمل فيه ولو كانت نفسه وهواه ينازعه لأنه جعل هواه تبعًا لدين الله.

• **الفائدة الحادية عشرة:** فيه أن ما جاء به النبي هو ما أنزله الله، فلم يقل: تبعًا لما أنزله الله، بل قال: لما جئتُ به، لأن ما جاء به النبي ﷺ هو عين ما جاء به الله ﷻ وأمر به.

• **الفائدة الثانية عشرة:** وجوب تحكيم شرع الله في كل شيء وتقديمه.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **محبة الله**: لأن الهوى لا يكون تبعًا لما جاء به الشرع إلا إذا امتلأ القلب من محبة الله، فعلى قدر محبة الله يكون عصيان الهوى، وقد حُفت النار بالشهوات، والشهوات هي الهوى، والنفس لا تأمر إلا بما تهواه وافق الشرع أو خالفه، وتزكية النفس هو قصرها على دين الله ففيه كمالها.

وفي الحديث إشارة إلى خطورة مرض الهوى وأنه سبب لنقص الإيمان، ومن خلال الهوى عُصي الله؛ ولهذا فُرض على المؤمن جهاد الهوى، وجهاده فرضٌ على كل أحد، ويقابل الهوى بالإيمان الكامل، فإن الإيمان يقاوم الهوى، فأكمل المؤمنين من رُزِق إيمانًا كاملًا عند ورد الشهوات، وعقلًا وافرًا عند ورود الشبهات، ومن نهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى؛ لأن الجنة حُفت بالمكاره وأولها ترك الهوى وما تشتهيه النفس.

٢ ـ **التسليم لله**: لقوله: «**تبعًا لما جِئتُ بِهِ**» وهو الاستسلام لله ولرسوله ﷺ، والتسليم من آثار الإيمان باسم الله العليم والخبير والحكيم وغيرها، وقد سبق الكلام على التسليم.

٣ ـ **تعظيم الله**: وهذا فرع التسليم لله، فالتسليم لله يكون على قدر التعظيم له سبحانه ولأوامره ونواهيه وأخباره، والتعظيم يكون على قدر معرفة العبد بأسماء الله وصفاته، وقد سبق الكلام على التعظيم لله ولحرماته.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **العليم الخبير**: فكمال علمه وخبرته سبحانه يجعل العبد يسير متبعًا لشرعه ودينه، غير ملتفتٍ إلى ما تمليه عليه نفسه، ويغويه به هواه، وقد سبق الكلام على هذا الاسم وآثاره.

٢ ـ **الملك والقاهر والقهَّار**: فمن مِلك الله أن العبد لا يكون مؤمنًا حتى يكون هواه تابعًا لدين الله وشرعه، ومن أشرك مع الله بشيء تركه الله وشركه، وهذا من عزة الله أيضًا أنه لا يرضى بالشرك بأنواعه.

٤٢

الحديث الثاني والأربعون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ، يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِيْ لَا تُشْرِكُ بِيْ شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحَيْحٌ.

المعنى الإجمالي:

يخبر الله في هذا الحديث القدسي بأن ابن آدم إذا دعا ربه ورجا ثوابه؛ فإن الله يغفر له ولا يبالي بعِظَم الذنب، ولو بلغت ذنوب العبد رأس السماء وأعلاها، ثم طلب من ربه المغفرة والستر فإن الله يسترها عليه ولا يبالي بكثرتها، ولو جاء ابن آدم بملاء الأرض ذنوبًا وخطايا، ثم طلب الستر والمسامحة من ربه فإن الله يسترها عليه ولا يبالي بكثرتها ويبدلها له حسنات؛ وهذا من كرمه سبحانه.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

- **الفائدة الأولى**: الحديث أصلٌ في باب التوبة والحث عليها.
- **الفائدة الثانية**: الحديث يربي المسلم على إحسان الظن بالله ﷻ؛ لأن الله عند ظن عبده به.
- **الفائدة الثالثة**: فيه لطف الله ﷻ في مناداته لعبده وقربة منه.
- **الفائدة الرابعة**: فيه بيان سعة رحمة الله وعظيم مغفرته.
- **الفائدة الخامسة**: الحديث يربي جانب الرجاء في قلب المؤمن.
- **الفائدة السادسة**: دلَّ على أن الله يغفر كل شيء إذا تاب الإنسان لربه ويدخل في ذلك الشرك.
- **الفائدة السابعة**: يدل الحديث على أن الله ﷻ إذا أعطى عبده المؤمن وغفر له لا ينقص ذلك مما عنده لقوله: «**ولا أبالي**».
- **الفائدة الثامنة**: يدل الحديث على أن الدعاء يجب أن يكون معه رجاء بالله أنه يستجيب ويسمع وينصر ويعطي ولذلك قَرَن في الحديث بين الدعاء والرجاء فقال «**إنك ما دعوتني ورجوتني**».
- **الفائدة التاسعة**: يدل الحديث على أن الإنسان إذا تلبس بالمعاصي والذنوب والخطايا ينبغي ألَّا يمنعه ذلك من الدعاء بل إنه أحوج ما يكون إلى الدعاء، ويدل على ذلك في الحديث قوله: «**على ما كان منك**».
- **الفائدة العاشرة**: بيَّن الحديث أسباب مغفرة الذنوب والخطايا، وهي ما يلي:

١ ـ الدعاء لقوله «**ما دعوتني**».

٢ ـ الرجاء لله سبحانه لقوله: «**ورجوتني**».

٣ ـ الاستغفار في جميع الأوقات لقوله: «**ثم استغفرتني غفرت لك**».

٤ ـ التوحيد لقوله: «**ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا**».

• **الفائدة الحادية عشرة**: دلَّ على أن الاستغفار إذا تقبله الله واستجابة غفر الله لصاحبه ولو كانت ذنوبه عنان السماء.

• **الفائدة الثانية عشر**: الحديث يفتح باب الأمل للمسرف على نفسه بالمعاصي، ولذلك جميع ألفاظ الحديث تدل على ذلك:

قوله: «**على ما كان منك ولا أبالي**»، **وقوله**: «**لو بلغت ذنوبك عنان السماء**»، **وقوله**: «**لو أتيتني بقراب الأرض خطايا**».

وكلها ألفاظ موجهة للمسرف على نفسه بالذنوب وغيره من باب أولى.

• **الفائدة الثالثة عشر**: الإسلام لا يكبت النفس ويحطمها ولذلك عالج المذنب والمخطئ بفتح الأمل له وفتح باب المغفرة.

• **الفائدة الرابعة عشر**: الحديث يربي العبد على التعلق بالله ورجائه والانطراح بين يديه.

• **الفائدة الخامسة عشر**: الحديث يبين ضعف الإنسان وكثرة ذنوبه، وعظم الله وسعة رحمته.

• **الفائدة السادسة عشر**: دلَّ الحديث على أن الإنسان لا غنى له عن ربه طرفه عين، فيحتاج إعانته ومغفرته وتوفيقه وهداه.

• **الفائدة السابعة عشر**: فيه فضل التوحيد حيث يغفر الله لصاحبه ذنوبه وخطاياه لما قام بقلبه من توحيد الله وإخلاص العبادة له.

• **الفائدة الثامنة عشر**: من تأمل الحديث وجد أنه يربي جانب الحياء من الله، فإذا تأمل المؤمن ألفاظ الحديث وأن الله ينادي عباده، وفتح لهم باب المغفرة مع أنهم هم المحتاجون له، ومع ذلك يذنبون، لا شك أن ذلك يورث المؤمن الحياء من الله ﷻ.

• **الفائدة التاسعة عشرة**: فيه فقر العبد الذي لا يسده إلا ربٌّ غفور.

الأعمال القلبية المستفادة من الحديث:

١ ـ **الرجاء**: لقوله: «**وَرَجَوتَنِيْ**» **وهو تعلق القلب بالله وحسن الظن به، مع إقبال عليه بالعمل والاجتهاد فيه، وفي حديث الباب قوله:** «**ما دعوتني**» والدعاء عمل جليل، وقد استجاب الله لعبده مما يدل على أن الدعاء استكمل الشروط، وقد سبق الكلام على الرجاء وأركانه.

٢ ـ **الاعتراف بالظلم والفقر**: لقوله: «**ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ**» وهو طلب المغفرة على الذنوب، ففيه الاعتراف بظلم النفس، والتقصير في حق الله، وفي حديث سيد الاستغفار قوله ﷺ: «**أبوء لك بذنبي**»؛ أي: أُقرُّ واعترف.

والعابد لله إذا وقع منه الذنب بادر بالاعتراف بين يديَّ ربه، وعزم على ألا يعود، وندم على وقع منه، وهذا كله مما يحبه الله، كما أن الاعتراف بالذنب الوارد في حديث الباب يتضمن عدة أمور:

ـ الاعتراف بربوبية الله وأنه قادرٌ عليه، عالمٌ بأمره.

ـ الاعتراف بألوهية الله وأنه الذي تُنَزَّل الحاجات وتُطلب منه.

ـ الاعتراف بأنه لا غنى له عن سيده ومولاه؛ وإلا فمَن ذا الذي يستطيع أن يغفر له إن لم يتداركه الله برحمةٍ منه.



٣ ـ التوحيد والإخلاص: لقوله: «**ثُمَّ لقِيْتَنِيْ لَاتُشْرِك بِي شَيئًا**» فالتوحيد نقيض الشرك، والشرك شركان[1]:

أ ـ شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو نوعان:

ـ **أحدهما: شرك التعطيل**: وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون، وأهل وحدة الوجود، والملاحدة، وشرك من عطَّل أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامطة.

ـ **النوع الثاني: شرك من جعل معه إلهًا آخر** ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته: كشرك النصارى، وشرك المجوس، وشرك من يشرك بالكواكب العلويات، ويجعلها أربابا مدبرة لأمر هذا العالم.

ب ـ وشركٌ في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله:

وهذا الشرك يصدر ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وأنه لا يضر ولا ينفع إلا الله، ولكن لا يخص الله في معاملته وعبوديته، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة، فلله من عمله وسعيه نصيب، ولنفسه وحظه وهواه نصيب، وللشيطان نصيب، وللخلق نصيب، وهذا حال أكثر الناس، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يُفرد بالعبودية.

ويتبع هذا الشرك الشرك به سبحانه في الأفعال والأقوال والإرادات والنيات.

---

(١) هذا ملخص من فصل هام جدًا عقده ابن القيم يشرح فيه العلاقة بين التوحيد والشرك، وأصل كل واحدٍ منهما، وذلك في كتابه الجواب الكافي، ص١٢٩ وما بعدها.

فالشرك في الأفعال: كالسجود لغيره، والطواف بغير بيته، وتقبيل القبور واستلامها، والسجود لها.

ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ: كالحلف بغيره، ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك؟!

وأما الشرك في الإرادات والنيات: فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه، من أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئا غير التقرب إليه، وطلب الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته.

والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، وهي حقيقة الإسلام.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الرحمن والرحيم والوهاب والكريم والمجيب ونحوها من أسماء الجود والجمال**: ومن ذلك استجابته لمن دعاه ورجاه، وقد مضى الكلام على هذه الأسماء وآثارها على سلوك المؤمن.

٢ ـ **الغفور والغفَّار والتواب والعفو**: ومن ذلك مغفرته لذنوب العبد ولو بلغت عنان السماء، وقد مضى الكلام على هذه الأسماء.



الفهرس